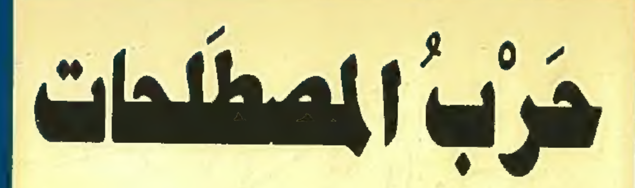
حرية... مسئولية



من مطبوعات
اتحاد
الصحفيين
العرب



دراساتٌ تصحيحيةٌ للمفاهيم والمصطلحات المتداوَلة فى الإعلام العربى حول الصراع العربى الصهيونى

إعداد

د. عبد الوهاب المسيرى — د. أحمد صدقى الدَّجانى
د. حنان عشراوى — محمد السمَّاك
د. مشهور الحبَّازى — أبو السعود إبراهيم
نعيم الطوباسى — فايز قنديل

تحرير: أحمد عبد الرحيم
إشراف وتقديم: صلاح الدين حافظ

الطبعة الثالثة:
القاهرة ٢٠٠٣
صادرة عن
اتحاد الصحفيين
العرب

حرية .. مسئولية





من مطبوعات
اتحاد
الصحفيين
العرب

حَرْبُ المصطَلحات

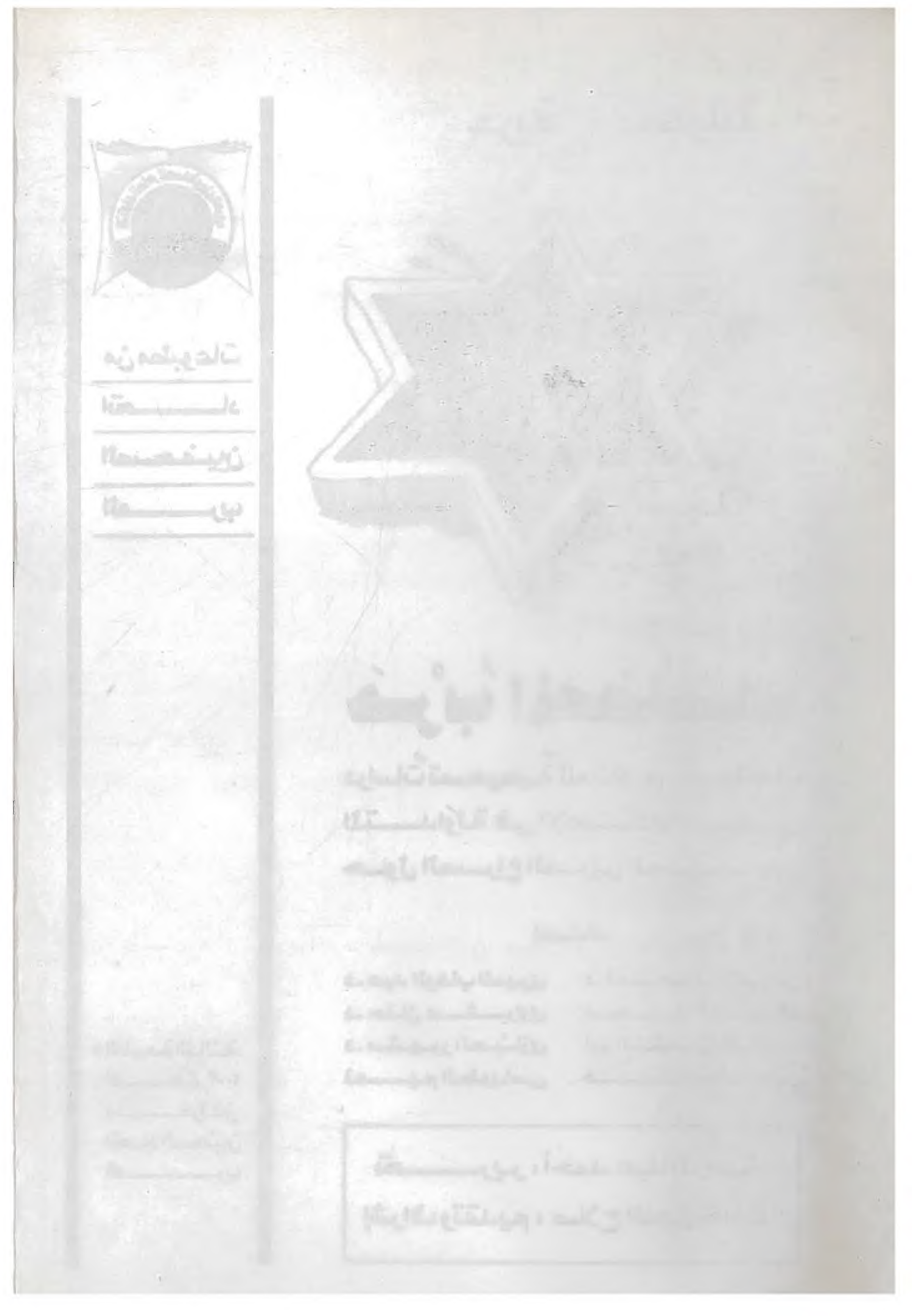
دراساتٌ تصحيحيةٌ للمفاهيم والمصطلحات المتداوَلة فى الإعلام العربى حول الصراع العربى الصهيونى

إعداد

د. عبد الوهاب المسيرى — د. أحمد صدقى الدجانى
د. حنان عشراوى — محمد السمَّاك
د. مشهور الحبَّازى — أبو السعود إبراهيم
نعيم الطوباسى — فايز قنديل

تحرير: أحمد عبد الرحيم
إشراف وتقديم: صلاح الدين حافظ

• الطبعة الثالثة: القاهرة ٢٠٠٣
صادرة عن اتحاد الصحفيين العرب



المحتويات

من هُدَى القـرآن المجيـد

﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا : «راعِنا»، وقولوا : «انْظُرنا»﴾

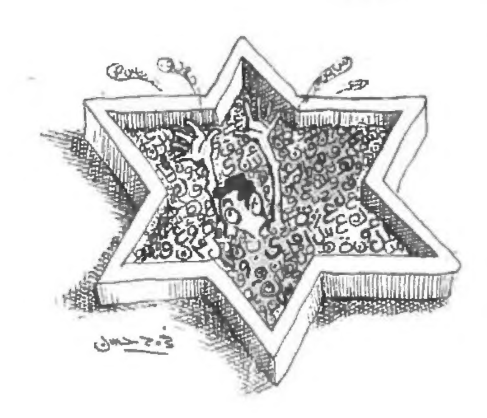
[سورة البقرة، آية : ١٠٤]

﴿من الذين هادوا يحرِّفون الكَلِمَ عن مَواضِعِه﴾

[سورة النساء، آية ٤٦]

مقدمة

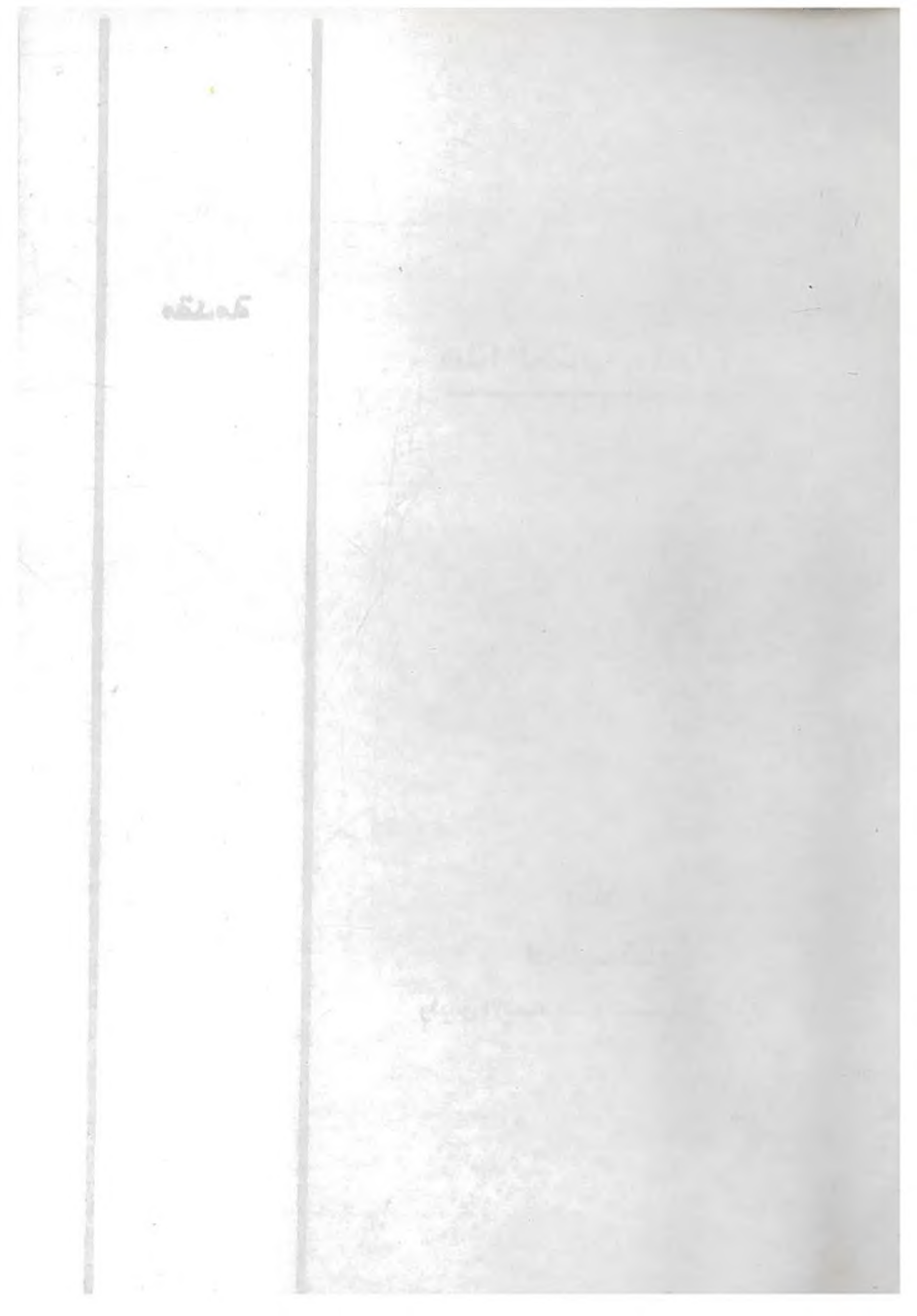
هذا الكتاب .. لماذا ؟



بقلم

إبراهيم نافع

رئيس الاتحاد العام للصحفيين العرب



على مدى العقود الماضية، خاضت الأمة العربية كما هو معروف معارك طاحنة ودامية ضد العدو الصهيوني، الذى اغتصب فلسطين وانتهك مقدساتها، ودمر معالمها وأهدر تراثها، وحاول قتل الروح في شعبها الأصيل..

ورغم أن المعارك المسلحة والصدامات الساخنة احتلت مساحة واسعة من الصراع الطويل الممتد، إلا أن الصراع على الجبهة الثقافية والإعلامية أخذ بعداً قوياً جديداً، مع تطور وسائل الاتصال الحديثة وتكنولوجياتها المعقدة والمتطورة، وقدرتها الفائقة على مزاوجة انتقال الأفكار وتبادل الآراء والمعلومات، واحتكاك الثقافات واللغات والحضارات.

والحقيقة أن إسرائيل - ومعها مناصروها وحلفاؤها على امتداد خريطة العالم - نجحت إلى حد كبير في استغلال منجزات ثورة المعلومات والاتصالات الحديثة في ترويج أفكارها وتسويق سياساتها، رغم كل ماتحمله من روح عدوانية وتطرف عنصرى دينى وسياسى، فإذا بها تفرض مواقفها على الرأى العام العالمى فى معظم الأحيان، عن طريق الكذب وتزييف الوقائع وتزوير الحقائق، فتقلب الحق باطلاً والباطل حقاً، بينما ظل العرب في موقف الدفاع عن النفس أحياناً، وفى موقف الساكت السلبى أحياناً أخرى.

ولعل أخطر مافعلته إسرائيل هو اختراقها كثيراً من أجهزة الإعلام، وخصوصاً الصحف وشبكات التليفزيون، بما فى ذلك - مع الأسف الشديد بعض الصحف والتليفزيونات العربية، واستخدمت فى ذلك أساليب ملتوية كثيرة ووسائل احترافية خادعة، لكى تصل إلى القارىء والمشاهد والمستمع العربى فى كل مكان، حتى تهتز قناعاته وتنكسر إرادته وتتخاذل شجاعته ويتراجع تصميمه على تحرير فلسطين من العدو الغاصب..

وقد لجأت الصهيونية فى سبيل ذلك إلى دس مصطلحات وأسماء عبرية عديدة فى لغة الإعلام العالمى، تزييفاً للواقع وتزويراً للتاريخ وسرقةً للموروثات، وسارع معظم الإعلام العربى إلى نقلها دون تمحيص ودراسة ومراجعة، فإذا ببعض إعلامنا يكرر هذه المدسوسات الإسرائيلية ويعممها ويروجها فى الرأى العام بقصد أو بدون قصد،

الأمر الذى شوه التاريخ عموماً، وتاريخ الصراع العربى الإسرائيلى خصوصاً.

ولذلك عكف اتحاد الصحفيين العرب على الاضطلاع بمسئولية متابعة هذا الدس وتصحيح الأخطاء ومحاربة التزوير والتشويه، بالطريقة العلمية السليمة، الأمر الذى أخذ وقتاً امتد نحو العامين فى إعداد هذا الكتاب بالغ الأهمية.

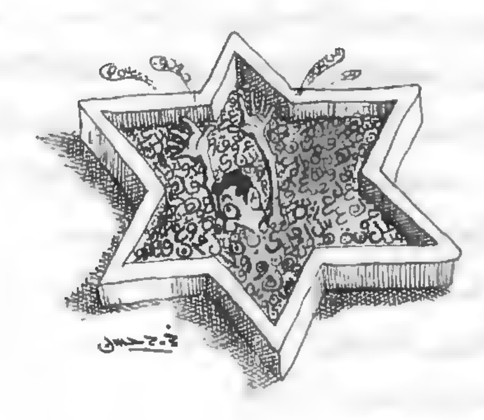
وسوف نعمل على توزيع كتاب «حرب المصطلحات» على أوسع نطاق، ونضعه بين أيدى الصحفيين والإعلاميين العرب عموماً، وبين أيدى المسئولين عن الصحف والإذاعات والتليفزيونات خصوصاً، حتى نعيد الأسماء والمصطلحات إلى أصولها العربية السليمة، وحتى نفضح التزوير ونعرِّى الدس الصهيونى بوسيلة عملية .

ونأمل أن يستفيد الصحفيون والإعلاميون العرب من هذا الجهد الواعى والعمل المثابر الذى أنجزته نخبة مميزة من كبار كتابنا ومفكرينا ومختصينا العرب المعروفين، الذين نتقدم إليهم بكل الشكر على جهدهم المخلص وأمانتهم العلمية وانتمائهم القومى، فقد كانوا خير عون لاتحادنا العريق فى إنجاز هذه المهمة الكبرى.

إبراهيم نافع

مقدمة

حرب المصطلحات .. والصراع الحضارى



بقلم
صلاح الدين حافظ*

* كاتب وصحفى من مصر ـ الأمين العام لاتحاد الصحفيين العرب



انصرف جهدنا فى اتحاد الصحفيين العرب، على مدى العامين الأخيرين، إلى استنفار العقول وتجميع الرؤى والتنسيق بينها، لإنجاز هذا المشروع الثقافى السياسى الإعلامى، بما يحمله من طابع قومى، يكتسب أهميته من أهمية القضية المركزية للأمة العربية.. القضية الفلسطينية والصراع العربى الصهيونى..

ومنذ البداية انطلقنا من أن القضية الفلسطينية ـ كما هو معروف – لُبُّ الصراع العربى الصهيونى، وهو صراع حضارى طويل الأمد، إن كان ضارباً فى الماضى مشتعلاً فى الحاضر، فهو قائم ومستمر فى المستقبل، لأنه صراع بين مشروعين قوميين متناقضين : المشروع العربى النهضوى القومى، والمشروع الصهيونى الاستعمارى الاستيطانى الغربى..

وسواء اتجه الصراع نحو الحرب والصدام العسكرى، أو أخذ سبيل التسوية والحوار أملاً فى السلام والاستقرار، فستظل جوانبه الرئيسية ومحتواه الأساسى قائماً، وهو الصراع الثقافى الحضارى، الذى يعتبر الفكر والثقافة والعلم والإعلام بعض أسلحته قوية التأثير والنفوذ.. خصوصاً أن العدو الصهيونى نجح خلال العقود الأخيرة فى استغلال الثقافة والإعلام والاتصال، لخدمة أهدافه التوسعية وترويج أفكاره المغلوطة، وصولاً إلى تزوير الحقائق وتزييف الوقائع بدرجة لم تحدث من قبل فى التاريخ، بفضل انحياز الغرب الأوربى الأمريكى له، وتبنيه لكل أطروحاته السياسية والفكرية ودفاعه عن ممارساته العسكرية العدوانية الرهيبة.

ولقد أثبتت المواجهات الساخنة والصدامات الدامية والحروب العسكرية بين أمتنا العربية وبين دولة إسرائيل الصهيونية، منذ حرب ١٩٤٨ إلى حرب الإبادة التى يشنها جيش الاحتلال ضد الشعب الفلسطينى المغوار فى ظل انتفاضته الثانية وخصوصاً أعوام ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٢ ـ أن الإعلام الحديث بكل تقنياته المتقدمة وسرعة انتشاره وعمق تأثيره قد لعب ويلعب دوراً محورياً فى تغليب رأى على رأى، وموقف على موقف، وصولاً إلى الكذب البواح والتزوير الفاضح للحقائق التاريخية والوقائع اليومية، وهو أمر برعت فيه إسرائيل وأنصارها وحلفاؤها فى الإعلام الغربى عامة، والأمريكى خاصة، على نحو بات منحازاً ومزعجاً وغير أمين فى آنٍ واحد.

وفى ظل هذه الأوضاع التى تفوق فيها الإعلام الصهيونى ونشر أكاذيبه عبر شبكات الإعلام الغربية، تراجع الإعلام العربى وتخلف عن المواجهة الحاسمة بسبب القصور الذاتى والقعود والكسل والترهل والبيروقراطية الكسيحة. والمواجهة التى نعنى، لا تكون بالأصوات العالية والشعارات الزاعقة والأغنيات الصاخبة، ولكنها المواجهة بالحقائق المزودة بالوثائق ، الثرية بالمعلومات، المسلحة بالتحليل المنطقى السليم، القادر على الإقناع العقلى واكتساب المصداقية، بل انتزاعها من غير المؤيدين لنا قبل المتعاطفين مع قضايانا..

وبينما غفونا على وقع كسلنا وتسليتنا بإعلام يخاطب نفسه، أو يعارك بعضه بعضاً وسط صخب كلامى وتشويش عقلى وتشويه فكرى - نجح الإعلام الصهيونى ليس فقط فى اختراق الإعلام ودوائر صنع القرار السياسى فى الغرب، بل فى اختراق الإعلام العربى ذاته، وصولاً إلى غرف نومنا، عبر شاشات التلفاز وصفحات الصحف وأمواج أثير الإذاعات المتكاثرة فى فضائنا المستباح..

فكيف كان ذلك ؟!.. ومتى ؟!

***

فى مناخات الترويج لثقافة السلام وموجات التطبيع ومناورات التسوية السياسية وخداع المصالحة، تلك التى بدأت عملياً بعد حرب أكتوبر- تشرين المجيدة عام ١٩٧٣، وازدادت خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، تزاحمت الجهود على الجانبين العربى والإسرائيلى، بتحريض وتمويل أمريكى، للعمل على إعادة صياغة العقل والوجدان العربى، وتحويل اتجاهاته وتغيير أفكاره وآرائه، من معاداة إسرائيل «دولة المشروع الصهيونى الاستعمارى الاستيطانى»، إلى محبة إسرائيل «دولة التسامح والسلام والحرية والديمقراطية» !

وكانت وسائل الإعلام المتعددة أهم الأسلحة فى عملية غسيل الأدمغة هذه، فإذا بالمواطن العربى البسيط، فضلاً عن المتعلم والمثقف، يقرأ ويسمع ويشاهد إعلاماً عربياً يكاد يتحدث بالعبرية، ويمدح الدولة الصهيونية ويعرض وجهات نظرها، ويحاور ويستضيف رموزها التى تدافع عن مصالحها وتبرر عدوانها وتكسب توسعها بعداً دينياً مقدساً..

وإذا بقلة من مثقفينا وإعلاميينا وسياسيينا يمارسون اللعبة ذاتها باسم الحوار مع الآخر، ومعرفة عدو الأمس وفهم صديق اليوم، ترسيخاً لثقافة السلام وطريقاً لتحقيق المصالحة التاريخية المزعومة .. بينما عدو الأمس ـ واليوم والغد ـ يمضي قُدُماً فى تدعيم دولته العدوانية وسياساته التوسعية على حساب مصالح الأمة العربية.. أوطاناً وشعوباً، وأرضاً وماءً وسماءً، وبشراً وشجراً وحجراً..

ووسط هذا الغبار الكثيف والضباب المشوش والأكاذيب المغلوطة، تسللت إلى لغة إعلامنا العربية، عشرات من المصطلحات والكلمات والأسماء والأوصاف العبرية، سواء عن طريق استعارتها من الإعلام الصهيونى مباشرة ، أو نقلها نقلاً حرفياً أعمى عن الإعلام الغربى ـ الحاضن الرئيسى للإعلام الصهيونى ـ ، حتى كادت هذه المصطلحات تستقر فى العقل العربى وتجرى على اللسان العربى ، باعتبارها من علامات السلام وبشريات المصالحة ولغة الحوار، وأمارات التحول والحداثة والتمدن والثقافة الجديدة والعلاقات الجديدة!

وعبر وسائل الإعلام العصرية، سَرَت هذه الموجة بسرعة شديدة، وراهن المراهنون على زرعها فى عقول الرأى العام العربى، كأنها مسلَّمات، عن طريق سرعة التداول وشدة الإلحاح واتساع الترويج.. بينما تكاسل المتكاسلون عن كشف خطورة نقلها عن مصادر أجنبية منحازة، دون تمحيص وتدقيق وتصحيح، ودون رد الأشياء إلى أصولها، أى التمسك بالأسماء والمصطلحات العربية الأصلية، ورفض تلك الدخيلة المدسوسة بهدف صهيونى بغيض..

ولاشك أن خلط المعانى، وتشويه المصطلح، وتأويل استخدامه على هذا النحو، لا يكتفى فقط بهدف نشره بين الناس، ولكنه يؤدى فى الواقع إلى خلط سياسى وتزوير تاريخى، وبالمجمل : يؤدى إلى غزو ثقافتنا ولغتنا الأم، وإلى تشويه أهدافنا وقوميتنا وديننا..

فاللغة، كما هو معروف، هى فى البداية والنهاية حاملة للثقافة ووعاء وناقل لها، وبالتالى فإن تشويه اللغة ـ عن طريق دس المصطلحات الأجنبية وخصوصاً المعادية ـ يؤدى بالضرورة إلى تشويه الهُوية الثقافية والحضارية. وهذا هو ما هدفت إليه

الصهيونية : اختراق حضارتنا وتشويه ثقافتنا بعدة طرق، ومن بينها دس المصطلح الصهيونى والترويج لاستخدامه، والتعجيل بسهولة تداوله على ألسنة الطبقة السياسية والثقافية خصوصاً، وبين أوساط الرأى العام بشكل رئيسى..

***

هكذا تابعنا بقلق شديد تلك الجهود المحمومة للتطبيع مع العدو الصهيونى، عبر دس المصطلحات والكلمات المستوردة - فضلاً عن المعانى- وغرسها عمداً فى لغتنا القومية، وخصوصاً اللغة الإعلامية والسياسية، حتى يصبح تداولها مستساغاً مقبولاً من العامة، دون شعور بغربتها عن لغتنا، ومعاداتها لثقافتنا، وبعدها عن عروبتنا، ومجافاتها لأذواقنا، وتناقضها مع أهدافنا وأفكارنا..

ولم تكن جهود التطبيع فى هذا المجال خصوصاً، إلا محاولة لـ «أسرلة» اللغة العربية، بعد النجاح المشهود فى أسرلة اللغات الغربية وغزو ثقافتها بمدسوسات إسرائيلية، وتهويد بعض مصطلحاتها ونحت ألفاظها، بما يحقق لها الرواج والتداول والاستمرار والانتشار، الأمر الذى نلاحظه بوضوح فى وسائل الإعلام الأوربية والأمريكية، فضلاً عن الأوساط السياسية، بل عبر مناهج الدراسة فى كثير من المدارس والجامعات تحت شعار وَحْدة الحضارة الغربية اليهودية المسيحية واشتراكها فى الأصول والموروث الثقافى!

والحقيقة أننا مطالبون - فى مواجهة ذلك كله - بضرورة حسم المعركة المصطنعة حول ضرورة استيعاب لغتنا العربية للمصطلحات الحديثة التى أفرزتها ثورة العلم والثقافة والإعلام فى الحضارة الحديثة - بما فى ذلك ما أنتجته عقول يهودية كثيرة وبارزة -، مقابل حماية لغتنا وثقافتنا من النَّخْر الأجنبى الهادف لتقويضها وتدمير أسسها الحضارية..

وموقفنا، أننا أولاً مع استيعاب ثقافتنا ولغتنا لكل جديد ومستحدث من إنجازات الحضارة الإنسانية الحديثة متعددة الروافد والمنابع، وإلا أصيبت ثقافتنا بالعجز والعقم، وازداد تخلفنا الحضارى يوماً بعد يوم. وأننا ثانياً لسنا ضد كل ما ينجزه العقل اليهودى المتميز والإيجابى، لأننا أبناء حضارة وقومية غير متعصبة ولا متطرفة

عنصرياً ضد الآخرين حتى ولو كانوا يهوداً، فقوميتنا وديننا يعترفان باليهودية وتعاليمها الأصلية السماوية وبأنبيائها ورسلها..

ولكننا ضد الصهيونية كحركة سياسية استعمارية ولدت فى الغرب الأوربى الذى شجعها وسلَّحها وموَّلها، ثم زرعها فى قلب الأمة العربية كبارجة مسلحة تدافع عن مصالح وأهداف وأفكار غربية معادية لكل ماهو عربى وإسلامى..

ومن ثَمَّ؛ فإننا مع كل ماهو إيجابى ينجزه العقل اليهودى لصالح الإنسانية، حتى ولو كان مجرد كلمة أو كان مصطلحاً، وضد كل ما تطرحه الصهيونية، باعتبارها دعوة عنصرية استعمارية متطرفة، أثبتت عنصريتها بشكل سافر عبر ما تمارسه إسرائيل كل يوم من خرق للقوانين والأعراف الدولية، ومن قتل وتدمير وعدوان، ومن عمل دؤوب لإبادة الشعب الفلسطينى، ودعوة فاضحة لتدمير العرب جميعاً ، لأنهم "حشرات وصراصير وأفاعٍ يستحقون الحرق والقتل وتخليص العالم من شرورهم، وأن الرب قد ندم بعد أن خلقهم..." على حد قول الحاخام الصهيونى العنصرى المتطرف عوفاديا يوسف الزعيم الروحى لحزب شاس الإسرائيلى!

وفى مقابل ذلك فإننا مطالبون بحماية هُويتنا الحضارية والثقافية، عن طريق حماية لغتنا العربية من التسلل والدس والنَّخر الأجنبى ، خصوصاً الإسرائيليات الهادفة إلى تقويضها وغزوها وإفراغها من محتواها بصورة منهجية منظمة وبدهاء شديد.

ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق التمسك بأساسيات لغتنا القومية وإجادة استعمالها، وتعميق التعريف بخصوبتها وتنوعها وقدرتها على التجديد، مع انفتاحها الواعى العاقل على مستجدات العصر وثقافاته المتطورة ولغاته ومصطلحاته السليمة، دون معاداة منغلقة أو حروب عنصرية، أو تقوقع يدفعها إلى التحجر والتجمد.

***

قضيتنا هنا مختلفة. هى قضية الدس الصهيونى وتسلل الإسرائيليات المزورة، عبر المصطلحات المزيفة، إلى لغتنا العربية بشكل عام، وإلى اللغة السياسية والإعلامية بشكل خاص، حين صحونا فوجدنا البعض منا يتداول كلمات ومصطلحات عبرية، تم نقلها ودون تدقيق وتفحص عن الغرب تارة وعن الدولة الصهيونية مباشرة تارة أخرى،

فصارت - مع الأسف - شائعة متداولة مستساغة - أو كادت - عند بعض الساسة والمثقفين و«المتثاقفين» العرب، عن جهل أو تجاهل، أو عن تفاخر وادعاء بالمعرفة والإلمام بلغات الآخرين!

المهم أن البعض منا لم يقدِّر بصورة عميقة أن الهدف الصهيونى هو تثبيت هذا الدس المصطلحى والرطانة اللغوية المنقولة فى العقل والوجدان وعلى طرف اللسان العربى، تعميقاً لما يسميه ثقافة السلام والتطبيع والتعرف على الهُوية والثقافة اليهودية واللغة العبرية..

ولايمكن تصور أن يتم ذلك فى الواقع إلا على حساب اللغة والثقافة العربية، وضد مصالح وأهداف الشعب الفلسطينى بصفة خاصة، فهو الذى تستباح هُويته، وتُدمَّر ثقافته، وتُسرق لغته، وتُشوَّه أسماء مدنه وقُرَاه ومؤسساته ومقدساته، وتسلب أصولها التاريخية والوطنية، لتحل محلها أسماء ومصطلحات عبرية، هدفها تغيير الواقع وتزوير التاريخ وسرقة التراث!

ولذلك جاء اجتهادنا المتواضع فى هذا المضمار. اجتهاد حشد بعض العقول والأقلام وتنسيق الرؤى والأفكار، وإعداد البحوث والدراسات الموضوعية الجادة، للوقوف فى وجه هذا التيار الراكب مركب التزوير المتأبط ذراع التزييف.. تزييف الوعى وتزوير التاريخ وتلبيس الحق بالباطل.

ومن حسن الحظ أننا وجدنا حماساً وجدية ودأباً وتشجيعاً من كثيرين فى الوطن العربى على امتداده، يأتى فى مقدمتهم بالطبع المساهمون فى تأليف هذا الكتاب المرجع، وهم الأساتذة: د . عبد الوهاب المسيرى، و د . أحمد صدقى الدجانى، و د. حنان عشراوى، و محمد السماك، و أبو السعود إبراهيم، و د . مشهور الحبازى ، نعيم الطوباسى، و فايز قنديل ..

إضافة إلى المحرر العام الأستاذ أحمد عبد الرحيم، الذى بذل فى هذا العمل جهداً كبيراً، و فضلاً عن أسماء عديدة وشخصيات بارزة كان لتشجيعها ومؤازرتها أكبر الأثر فى المضى قُدُماً فى تنفيذ هذا المشروع الثقافى الإعلامى الأولَى، القابل للنقد والتصحيح والتطوير فى المستقبل بإذن الله وتوفيقه، وبدعم الأصدقاء والأنصار فى كل مكان.

فهدفنا، كما سبق أن ذكرنا، هو إظهار الحق حقاً والباطل باطلاً، وتخليص التاريخ من المغالطات، وتصحيح اللغة الإعلامية خصوصاً من المدسوسات الإسرائيلية، وتنقية معلومات الكافة من التضليل والتلبيس الصهيونى المراوغ.

و الأمر كما يقول المفكر القومى الفلسطينى الدكتور أحمد صدقى الدجانى فى دراسته فى هذا الكتاب:

«إن أول ما ينبغى عمله فى هذا الأمر الخاص بالمصطلحات الغربية والصهيونية هو الوقوف أمامها قبل الوقوع فى فخ استخدامها، ويقيناً ستثمر الوقفة رفضَها ونبذَها، وهذا موقف مطلوب ولكنه غير كاف، إذ لابد أن نقرنه بطرح مصطلحاتنا نحن والعمل على تعميمها..

نعرف أن تعميم مصطلحاتنا ليس بالأمر السهل، ودونه صعوبات جمة. ونحن نعلم مدى قوة الإعلام الذى ينشر ذلك الفكر الاستعمارى الغربى بوسائل الاتصال المختلفة، بل إننا نعرف أن الوقوف أمام مصطلحاتهم ونبذها أمر صعب بسبب سيطرتهم على وكالات الأنباء الأقوى فى عالمنا.

ومع ذلك فلا بديل عن الوقفة. وبذل قصارى الجهد لتعميم مصطلحاتنا. وأضعف الإيمان أن نبدأ بالامتناع عن استخدام مصطلحاتهم فى إعلامنا وأن نستخدم مصطلحاتنا نحن...».

ويضيف الكاتب اللبنانى المرموق محمد السمّاك قوله:

«تُغرق أخبار وكالات الأنباء الغربية الكبرى ، الإعلام العربى خاصة، وإعلام العالم الثالث بصورة عامة، بأخبار يتم اختيارها وصياغة مفرداتها وعباراتها وفقاً لمعايير اجتماعية وسياسية لا تراعى مصالح المجتمعات الموجهة إليها أو أولوياتها العَقَدية، ولكنها تحاول تمرير العبارات والمصطلحات ذات المضامين الفكرية والسياسية، التى تراعى فى الدرجة الأولى مصالح القوى والجهات الدولية التى تعمل على تدجين واحتواء الوطن العربى ثقافياً وسياسياً. ولعل أهم مؤشر على نجاح ذلك هو إقبالنا على استخدام هذه العبارات والمصطلحات وكأنها نابعة من ذاتنا، معبرة عن أفكارنا، مترجمة لقناعاتنا!».

وهذا بالضبط ينطبق أكثر ما ينطبق على اللغة المتداولة فى بعض وسائل الإعلام العربى، بعدما تسللت إليها - عمداً أو جهلاً - المصطلحات الإسرائيلية المدسوسة، فصار استخدامها يومياً من قبيل التفاخر بالمعرفة والاطلاع على الثقافات الأخرى واللغات الأجنبية، وخصوصاً اليهودية. فإذا بكل ذلك يتحول إلى حرب ثقافية حضارية، تمارسها الصهيونية بكل إمكاناتها ضد كل ماهو عربى عموماً وفلسطينى خصوصاً..

وفى هذا يقول الكاتب الفلسطينى المعروف مشهور الحبّازى:

«لم تتخذ الحرب الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى وجهاً أو مساراً واحداً، بل اتخذت أوجهاً ومسارات بمقدار تعدد مجالات حياة الشعب الفلسطينى كلها، وقد اهتمت الحركة الصهيونية منذ مؤتمر بازل ١٨٩٨- لا.. بل قبله - بتغيير أسماء الأماكن والآثار الفلسطينية، وطمس أية أدلة على عروبتها أو إسلاميتها أو امتدادها الحضارى الإنسانى غير اليهودى..

لقد عمدت الحركة الصهيونية إذن منذ البداية إلى اختلاق علاقة بين اليهود وفلسطين، من خلال تغيير أسماء المواقع والأماكن والبلدان، وربطها بالتوراة والتاريخ اليهودى الطارىء فى فلسطين. وفى سبيل ذلك قاموا بعملية تزوير وتغيير واسعة لكل مكان وأثر وشارع وحى وطريق ووادٍ ونهر وجبل وسهل وتلٍّ فى فلسطين، بحيث يتطلب رصد عملية التغيير والتزييف عملاً كبيراً وجهداً متكاملاً...».

***

ولعلنا بإعداد ونشر هذا الكتاب - الوثيقة - «حرب المصطلحات» نكون قد قطعنا خطوة وبدأنا طريق الألف ميل، دفاعاً عن هُويتنا الثقافية والحضارية، وتنقية لغتنا العربية الخصبة الأصيلة، تثبيتاً لحقوقنا التاريخية فى وجه الحرب العدوانية الصهيونية، التى لا تكتفى بالإسراف فى استخدام السلاح القاتل، ولا بامتلاك الترسانة النووية الوحيدة فى المنطقة شبحاً يثير الرعب، ولا بالتوسع العدوانى الدائم، والإبادة المنظمة للشعب الفلسطينى البطل، ولا بالاحتلال المقيم للأراضى السورية واللبنانية، ولا بخرق قرارات الأمم المتحدة، وانتهاك القانون الدولى كل لحظة .. ولكنها

تمارس، فوق ذلك كله، تزييفَ التاريخ وتزوير الحقائق، وتلبيس الحق بالباطل، ودس المصطلحات الإسرائيلية المشوهة في لغتنا بدهاء شديد ..

أما حين تعمى العيون، وتنغلق العقول، وتضمر القلوب، وتزيغ الضمائر.. فإن بعضنا - مع الأسف - يمارس ما تريده الدولة الصهيونية، ويردد ما تدفعه نحونا، ويروج لأفكارها ومصطلحاتها، وهذا هو الكفر بعينه..

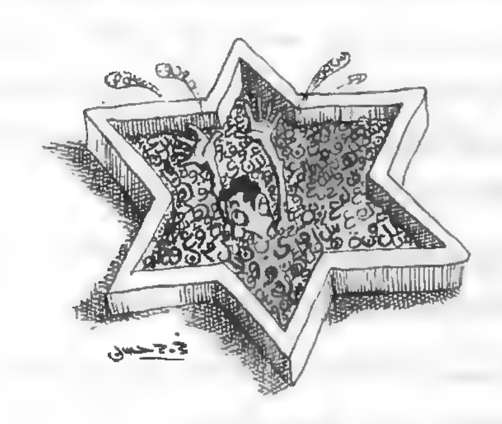
وضد هذا الكفر، نحن نقف اليوم وغداً، كما وقفنا بالأمس .. دفاعاً عن وطن يُنتهك، وقومية تُستباح، وثقافة تُهمَّش، وحضارة تُزدَرى، ولغة تُشوَّه، ودين يُتَّهم بالعنصرية والتطرف والعنف..

وعلى الله قصد السبيل .

صلاح الدين حافظ

مقدمة
المحرر

لُعبة المصطلح .. معركةُ المصطلح !



بقلم

أحمد عبدالرحيم*

* باحث وكاتب من مصر.



«.. إن هؤلاء الصقوا بموضوع وفعلٍ ما لفظاً معيناً.. فتملكوهما!»
[نيتشه]

(١)

«المصطلح» اسم مشتق على زنة «مُفْتَعل» من الفعل الخماسى «اصطلح». يقال: «اصطلح القوم» أى زال مابينهم من خلاف، و«اصطلحوا على الأمر» أى تعارفوا عليه واتفقوا. ففى «الاصطلاح» معنى الاتفاق والتواطؤ.

والاصطلاح فى العلم هو : اتفاق طائفة ما على شىء مخصوص.

وقيل فيه أيضاً : إنه عبارة عن اتفاق قومٍ على تسمية شىء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول، لمناسبة بينهما أومشابهة فى وصف أوغيره. وبعبارة أوضح، هو: اتفاق جماعة من المتخصصين فى مجال معين على مدلول كلمة أو رقم أو إشارة أو مفهوم، وذلك يتم عادة نتيجة تراكم معرفى وحضارى، ونتيجة ممارسات فكرية لمدة من الزمن، ويتبع ذلك محاولة تقنين هذه المعرفة وضبط إطار مفاهيمها، لتيسير هضمها ونقلها بعبارات وألفاظ محددة.

و «علم المصطلح» من أحدث أفرع علم اللغة التطبيقى، وقد تزايد الاهتمام به - تأصيلاً وتطبيقاً - خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين.

وهو علم يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها. ووضع المصطلحات - فى ضوء المعايير المعاصرة - يتم على أساس البحث المفرد فى كل مصطلح على حدة. فهناك معايير أساسية تنبع من علم اللغة ومن المنطق ومن نظرية المعلومات ومن التخصصات المعنية. هذه المعايير تنمو بالتطبيق، لتكوِّن الإطار النظرى لعلم المصطلح(١).

على أنه تجدر الإشارة إلى أن قضية المصطلح شغلت علماء المسلمين من قديم. فقد ألف فيها الخوارزمى «مفتاح العلوم»، والجرجانى «التعريفات»، وأبو البقاء الكَفَوى « الكليات»، والتهانوى « كشاف اصطلاحات الفنون».. وغير ذلك كثيرٌ، ليس استقصاؤه من غرضنا الآن. وثمة علمٌ مهم من علوم اللغة اسمه «علم الوضع» أفرد

---

(١) انظر فى ذلك كله : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (المجلد الأول : الإطار النظرى)، د. عبدالوهاب المسيرى، دار الشروق - القاهرة، ط ١ / ١٩٩٩م، ١ / ٤١.
و : الكليات، أبو البقاء الكَفَوى، وزارة الثقافة بدمشق، ط ٢ / ١٩٨١م، ١ / ٢٠١.
و : الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د. محمود فهمى حجازى، مكتبة غريب - القاهرة، (د. ت)، ص ٩، ١٩.

لمعالجة قضية الاصطلاح ووضع الألفاظ بإزاء المعانى، وفيه مؤلفات مستقلة كثيرة، ولكن تضاءل الاهتمام به فى الفترة الأخيرة فى جامعاتنا ومعاهدنا العلمية، مع أنه يضع القواعد والضوابط المنظِّمة لعملية الاصطلاح، وأحسب أن إحياءه سيساهم فى عملية الضبط المنشودة فى هذا المجال.

(٢)

وتحديد المفاهيم وضبط الاصطلاحات عملية فى صميم قضية الهُوية. فالاصطلاحات - كانعكاس للجوهر الحضارى - ليست سوى منظومة فكرية يفترض فيها الانسجام والتكامل. وذلك لأن الإنسان - بوصفه فرداً، وباعتباره جزءاً من مجتمعه وأمته - يعبر عن رؤيته للواقع والوقائع من خلال اللغة، وطريقة تعبيره تؤثر بدورها فى الرؤية. فنحن كما نخلق طريقة تعبيرنا، نتأثر كذلك بالنظام الإشارى الذى نستخدمه.

وبناءً على هذا؛ فمن الطبيعى جداً أن يكون كل دالٍّ - مصطلحاً أو رمزاً - متجذِّراً فى تشكيل حضارى خاص، له لغته المعجمية والحضارية المتميزة. ولذا؛ فالدالُّ - وحقله الدلالى - مرتبط بسياق حضارىٍّ محدَّد، ويشير إلى ظواهر متعيِّنة دون غيرها. والدالُّ بطبيعة الحال لايشير إلى مدلولٍ خارجىٍّ وحسب، وإنما يحمل أيضا وجهةَ نظر منشئه، وزاويةَ رؤيته، واجتهاداته (أى منظورَه الخاص). ويزداد الأمر تركيباً إذا كانت الدوالُّ ذات طابع عَقَدىٍّ أو سِجَالىٍّ، من مصلحة فريقٍ ما الترويجُ لها؛ إذ يصبح المنظور داخل الدوالِّ أكثر أهمية.

ومن هنا؛ فليس مستغرباً أبداً أن يضع «صاحبُ زاوية الرؤية» نفسَه فى المركز، ولا أن يعيد ترتيب كل التفاصيل حسبما يتفق ورؤيتَه.

فنحن لايمكننا أن «نتطهر» تماماً من هُوياتنا وانتماءاتنا وتحيُّزاتنا وسياقنا الحضارى؛ لأن هناك أشياء فى «اللاوعى» والتكوين الحضارى العميق تفرض نفسها، وإن حاول البعض كَبْتَها أو نَفْيَها. إن تخيُّر الدالِّ (المصطلح - الرمز) يتحكم فيه - ولابد! - نوعان من التحيُّز : تحيُّز سياقه، وتحيُّز صائغه (١).

---

(١) انظر فى ذلك : مقدمة أساسية حول عملية بناء المفاهيم، د. سيف الدين عبدالفتاح (ضمن مشروع «بناء المفاهيم : دراسة معرفية ونماذج تطبيقية»، إعداد مجموعة من الباحثين، بإشراف : د. على جمعة ود. سيف الدين عبدالفتاح، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة، ط١ /١٤١٨هـ ، ١/ ٢٧).

و : اللغة والمجاز.. بين التوحيد ووحدة الوجود، د. عبدالوهاب المسيرى، دار الشروق القاهرة، ط١/ ٢٠٠٢م، ص ١٥٠، ١٩٦، ٢٠٢.

وفى هذا السياق تبرز أهمية لَفْت النظر إلى مدى الخطورة التى نقع فيها عندما تتميَّع المفاهيم، وتختلط الدوالُّ، وتتداخل المصطلحات . هذا فى حالة إذا كنا نَسُكُّ مصطلحاتنا بأنفسنا. أما فى حالة «استراقنا» المصطلحات من هنا ومن هناك ، تحت دعوى الترجمة والنقل تارةً، أوخضوعاً لمقولة مثل «العالم كله صار قريةً واحدةً، ولا مجال للتقوقع حول الذات» تاراتٍ أخرى .. فالأمر يكون أخطرَ وأمرَّ.

فنحن ـ كما يقول د. عبد الوهاب المسيرى ـ أدمنَّا تماماً عملية نقل المصطلحات دون إعمال فكر أو اجتهاد ، ودون فحص أو تمحيص، حتى أصبحت العلوم الإنسانية عندنا «عقلها فى أذنيها» .. تنقل آخر ماتسمع بكل «أمانة» و «موضوعية» تبعثان على الضحك! ولهذا فقد الإنسان العربى المعاصر القدرة على التعامل مع واقعه بكفاءة. أما من يدرك الواقع حق الإدراك، ثم يصنفه حسب مقولاته هو، ويسميه بما يتفق وهذا الإدراك؛ فهو ـ وحده ـ الذى تُمكِنه الحركة فيه بقدر معقول من الحرية؛ إذ أنه سيراكم المعلومات داخل مقولاته وأُطُرِه هو، مما قد يزيد من مقدرته على التنبؤ بمسار هذا الواقع، ويحسِّن من مقدرته على التعامل معه (١).

(٢)

ولكن.. فى ظل عصر «العولمة» و«الكوكبة» يقول الكثيرون ـ فى محاولة للتهوين من الاهتمام بهذا الأمر ـ : «لا مُشَاحَةَّ فى الاصطلاح».

وهذه العبارة تتردد بمعنى: لاحرج على أى كاتب أن يستخدم أى مصطلح مؤدٍّ لمعنى، بصرف النظر عن البيئة الحضارية أو الإطار الفكرى أو الملابسات المعرفية أو الفلسفية والعقدية التى ولد ونشأ وشاع فيها.

فالمصطلحات والألفاظ مجرد «أوعية» توضع فيها المضامين، و«أدوات» تحمل المعانى، التى هى ميراث لكل الملل والمذاهب والحضارات، ولجميع ألوان المعرفة ونظرياتها، ولكل بنى الإنسان.

وهذا حق.. ولكن يراد بِه باطل!

---

(١) اللغة والمجاز، ص ١٩٦.

فهذه العبارة - «لا مُشَاحَّةَ في الاصطلاح» - قرَّرها علماؤنا الأقدمون، ولكن يحتاج مفهومُـها إلى ضبط، وإطلاقُها إلى تقييد، وعمومُها إلى تخصيص؛ حتى لايشيع منها الخَلْطُ والخداع.

فعندما أطلق الأقدمون هذه القاعدة كانوا يريدون منها الإشارة إلى أن الحقيقة يجب أن يُسعى إلى تحصيلها من المعاني وليس من الألفاظ، لأن «من طلب الحقيقة من الألفاظ هلك» - كما يقول حجة الإسلام الغزالى فى كتابه المهم «معيار العلم» .. وهذا - كما هو واضح - يسهم فى توحيد المعانى وفهم السامع مراد المتكلم على ماهو عليه. ولقدْ تقرَّر فى علم الوضع - وهو، كما سبقت الإشارة، العلم المختص بإنشاء المصطلح - أن استعمال الألفاظ من صفة المتكلم، وأن حملها على المعانى المخصوصة من صفة السامع، وأن عملية وضع الألفاظ بإزاء المعانى قبل ذلك الاستعمال وهذا الحمل . ومثل هذه القاعدة تبين مدى اهتمام علمائنا الأقدمين بفهم الناس بعضهم عن بعض، حتى لانصل - كما هى أحوالنا الآن فى كثير من المواقف - إلى «حوار الطرشان»!

وقد وُضعت قاعدة عدم المشاحَّة فى الاصطلاح لتستخدم فى كل فنٍّ مخصوص على حدة. حيث الألفاظ (المصطلحات) قوالبُ للمعانى (المفاهيم)، والهدف منها - أى الألفاظ - نقل الأفكار من ذهن المتكلم أو الكاتب إلى ذهن السامع أو القارئ. ومادام اللفظ المتعيِّن - أيّاً ما كان موضوعه - بإزاء معنى معين فى فن معين ولا يستعمل إلا داخل هذا الفن؛ فلا بأس باستعماله من حيث هو وعاءٌ وأداة.

أما الآن؛ فإن عبارة : « لا مُشَاحَّةَ فى الاصطلاح » فقدت شرطها الأساسي، وهو أن تستعمل المصطلحات بين أهل الفن الواحد العارفين بمسائله، لابين أهل فنٍّ معين وأهل فنٍّ معين آخر، فضلاً عن أن تكون - كما هى الحال الآن فى ظل «ثورة المعلومات»!- بين أهل فن ما وبين أهل العرف العام والعوام على حد سواء.

فعلماؤنا الذين قالوا: لامُشَاحَّةَ فى الاصطلاح قالوا أيضاً : "إن لكل فنٍّ اصطلاحاً، ولا يُحْتَجُّ باصطلاح قوم على آخرين".

وهم أيضاً الذين فرَّقوا بين نوعين من الخلاف: الخلاف اللفظى، والخلاف الحقيقى. حيث عرفوا الأول فإنه ما لو اطلع كل فريق على ما قاله الآخر لوافقه، كما عرفوه بأنه ما لا يترتب عليه أثر. بينما عرفوا الخلاف الحقيقى بعكس ذلك، فهو الذى

لو اطلع كل فريق على ماقاله الآخر لم يقل به، وهو مايترتب عليه أثر. والحاصل الآن فى فوضى الاصطلاح أنه لو اطلع كل فريق على المعنى الذى يقصده الآخر من استخدامه مصطلحه لرفضه. والواقع كذلك أن كل نحت لمصطلح جديد غامض المفهوم يترتب عليه نزاع وخلاف. فالخلاصة أن «لا مُشَاحةَ فى الاصطلاح» ليس معناها أن يضع من شاء ماشاء من ألفاظ بإزاء مايشاء من معان، فإن هذا يؤدى إلى مايعرف عند علماء الاصطلاح باختلال المصطلح.واختلال المفهوم[1].

هذه واحدة.

وأما الأخرى - وهى الأخطر - : فهى أننا صرنا فى الكثير جداً من المصطلحات أمام «أوعية» عامة، و«أدوات» مشتركة بين الحضارات والأنساق الفكرية والعَقَدية والمذهبية، وفى ذات الوقت.. أمام «مضامين» خاصة، و «رسائل» معينة تختلف فيها، وتتميز بها هذه الأوعية العامة والأدوات المشتركة لدى أهل كل حضارة من الحضارات، وعند كل نسق من الأنساق الفكرية، ومذهب من المذاهب الاجتماعية، وعقيدة من العقائد الدينية، وخاصة منها تلك التى تمتلك من السمات الخاصة والقَسَمات المميِّزة مايجعلها ذاتَ مذهبية خاصة وطابع مستقل..

فإذا كان إغفال هذا التمايز القائم بين مضامين المصطلح الواحد فى مذهبٍ وعلوم الحضارة الواحدة يؤدى إلى خلط مذهبى وفكرى فى إطار ذات الحضارة.. فإن إغفال هذه التماين، عندما تعبر المضامين والمعانى عن التمايز الحضارى للحضارات المختلفة؛ يعد باباً واسعاً للخلط والتشويه المعرفى، يجعلُ من القاموس الذى لاينبه على تمايز مضامين المصطلح فى الحضارات المتمايزة، أداةَ تزييف لوعى أبناء الحضارة المتلقية لهذا القاموس.. تزييفٍ لوعيهم بالمضامين المتميزة لهذه المصطلحات فى حضارتهم، وأداةَ تبعية وإلحاق لهم بالحضارة التى أحلَّ هذا القاموس رؤيتها لهذه المصطلحات محلَّ مفاهيمهم الخاصة فى حضارتهم التى إليها ينتسبون![2].

---

(١) انظر: مدخل لقضية المفاهيم والمصطلحات، د. على جمعة (ضمن: بناء المفاهيم.. المرجع السابق)، ص ١٧، ٢٤.
وكذلك: المصطلح الأصولى ومشكلة المفاهيم، د. على جمعة ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ط١/ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) انظر: الخصوصية الحضارية للمصطلحات، د. محمد عمارة (ضمن: إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، إعداد جماعة من الباحثين، وتحرير: د. عبدالوهاب المسيرى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ـ القاهرة، ط٣/ ١٩٩٨، ١/ ٢٥: ٢٧).

فكيف - بعد هذا كله - إذا كانت المصطلحات التى يراد منا استخدامها وتداولها مصطلحاتِ عدوٍّ لنا، لايُحسن إخفاء عداوته لنا مهما حاول من تصنُّعٍ ومُدَارَاة ؟!

أحسب أن الجواب أوضح من أن يذكر!

(٤)

وعدوُّنا هذا «يُلاعِبنا» بالمصطلح على جبهتين.. أوقل: بطريقتين..

فهو يسطو على لغتنا، وينهَب تراثها الحيَّ، ويتشبَّع به وهو ثوبُ زورٍ له.. وهذه خُطَّةٌ قديمة منه. ولعل ابرز من قام بجهودٍ محمومة فى هذه السبيل شخص يدعى إليعازر بن يهودا (١٨٥٨ - ١٩٢٢م)، الذى قام بدور كبير منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر وحتى وفاته لإحياء اللغة العبرية من موات طويل. وحين أحس بالنقص الشديد الذى يَسِمُ المعجم العِبْرى، بما يجعله عاجزاً عن تلبية مطالب الدولة اليهودية المزمع إنشاؤها بعد نحو سبعين سنة، لم يجد أمامه مصدراً غنياً يستكمل منه ذلك النقص سوى اللغة العربية الثرية.. فطبق عليها الرؤية التلمودية فى جواز نهب «الأغيار» واغتصاب حقوقهم! وألقى فى ذلك محاضرة أمام «مجلس اللغة العِبْرية» بعنوان «سدُّ النقص فى لغتنا»، قال فيها : «لقد اكتشفت جذوراً عبرية.. لن أخفى المكان الذى وجدت فيه هذه الكنوز.. الحق أننى اكتشفتها فى المعاجم العربية. (...) كل الكلمات الموجودة فيها ليست عربية خالصة، بل هى ساميةٌ، وهى على كل حال عبرية أيضاً. إنها مِلْكُنا. لقد فقدناها ثم عثرنا عليها.. »[١].. وطبق الرجل الخبيث خطته، وأكملتها الدولة الصهيونية فيما حرَّفت ونهبت من أسماء البقاع والأماكن والبلْدات فى أرض فلسطين.. مما تجد تفاصيل له فى دراسات هذا الكتاب الذى بين يديك..

وأما الطريقة الثانية التى انتهجها عدونا فى «ملاعبتنا» بالمصطلح..

فقد سرَّب إلينا - عبر وسائل الإعلام «العالمية» - مصطلحات من بُنيَّات أفكاره، ضمَّنها مفاهيمَ من سَمَاديره (والسَّمَادير، عافاك الله، أحاديث المخلَّطين والمخمورين!).. كأن يطلق على مايقوم به من قتل للأبرياء وهدم للبنايات واكتساح

(١) انظر فى تفصيل ذلك: اللسان العربى.. الهُوية. الأزمة. المخرج، عبدالوارث مبروك سعيد، مكتبة الوفاء ـ القاهرة (د. ت)، ص ٢١٨: ٢٢٠.

للأراضى مصطلح «الدفاع عن النفس»، وفى المقابل.. يطلق على مقاومة الاحتلال ورد العدوان والجهاد فى سبيل الحرية والاستقلال مصطلح «الإرهاب»!.. وغير ذلك عشرات مما ستراه مفصلاً فى طَيّات هذا الكتاب..

ونحن ـ ببلاهة مُفْرِطةٍ أحياناً ـ نتلقف مثل هذه المصطلحات ونرددها ببراءةٍ تَغِيظ الصديق وتُبهج العدو! بل إننا حين «نتذاكَى» ونريد أن نؤكد يقظتنا وانتباهنا ندعو إلى مانسميه «الموضوعية» و«الحياد» فى لغة الخبر، وذلك حتى لانُتَّهم ـ من قِبَل وسائل الإعلام «العالمية» ـ بالتحيز إلى أنفسنا!(١).

أرأيت مثلَ هذا البلاء بلاءً؟!

(٥)

من أجل هذا كله.. كان هذا العمل.

انتدب الاتحاد العام للصحفيين العرب عدداً من المهتمين بقضايانا العربية المصيرية عموماً، وبهذه القضية تحديداً، ليقوموا بدراستها من مختلف جوانبها، حتى نتدبَّر أمرنا فى ظل هذا «الانمياع» الإعلامى الجارف الذى نُساق إليه سوقاً!

فلبَّى الدعوة عدد من خِيْرة الباحثين والمهتمين.. وأنس الأستاذ الكبير صلاح الدين حافظ (أمين عام الاتحاد والمشرف على إعداد هذا الكتاب) فى الضعيف خيراً، فعهِد إليه ـ بترشيح كريم من الأستاذ الجليل الدكتور محمد سليم العوَّا، عافاه الله ومتعه بالصحة وبارك فى جهده ـ بالقيام بتحرير الكتاب.

وقد رأيت أن أجعله فى قسمين، يكون الأول بمثابة المدخل العام للموضوع، وفيه ثلاث دراسات. والثانى: تطبيقات وأمثلة واقعية، وفيه خمس دراسات.

والدراسة الرئيسية فى القسم الأول ـ بل وفى الكتاب كله ـ هى لأستاذى الجليل الدكتور عبد الوهاب المسيرى ـ متعه الله بالصحة والعافية، وردَّه إلينا سالماً غانماً

---

(١) على سبيل المثال.. دعا بعضهم ـ ممن لا تنقصهم، فى تقديرى الخاص، الغَيْرةُ والإخلاص ـ إلى عدم استخدامِ كلمة «شهداء» وصفاً لمن تقتلهم آلة الدمار الصهيونية المتوحشة، وذلك بدعوى أنه «مصطلح دينى»، وأنه لا ينبغى ـ بحَسَبه ـ الخلط بين لغة الخبر واللغة الدينية! (أنس زاهد، جريدة الشرق الأوسط، ١٥/ ٧/ ٢٠٠٢م)، وهذا نموذج لا أكثر.. وسيتسع الخَرْقُ على الراقع حتماً إن لم نتدارك «وجودنا» من الضياع!

معافىً ـ.. وقد بذلت جهداً خاصاً فى تحريرها من موسوعته / المَعْلَمَة «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ورأيت أن أبدأها بما عنونته بـ«مقدمة فى ضبط المفاهيم والمصطلحات»، التى استللتُها من المجلد الأول من الموسوعة (الإطار النظرى)، وهى تدور حول أهمية المصطلح وضبطه عموماً، وفى مجال صراعنا مع الصهيونية خصوصاً، وقد حرصت على الإبقاء على ماذكره المسيرى فيها حول منهجه فى نحت وتقويم المصطلحات فى الموسوعة، حيث إنه يصلح أن يكون بمثابة ضوابط عامة فى هذا السياق.. ثم كان جزؤها الثانى عبارة عن نماذج مفصلّة من المصطلحات والمفاهيم التى طبق عليها المسيرى منهجه، وقد جعلتها (٣٨ مصطلحاً رئيسياً) فى مجموعتين: فى السياسة والتاريخ، وفى المكان والجغرافيا.. وقد اجتهدت فى انتقائها وترتيبها لتبدو أقرب إلى الموضوع المتكامل..

وأجدنى مضطراً إلى الاستطراد قليلاً فى الكلام عن منهج المسيرى الذى انتهجه فى هذه الموسوعة الضخمة ـ وعلى وجه الدقة: فى كل كتاباته المهمة ـ، لأهمية ذلك فى سياق تناولنا لقضية المصطلح..

فمنهج المسيرى التأسيسى يتجاوز أسلوب سرد الوقائع ورصد المعلومات، إلى محاولة تحليل العلاقات والتفاصيل المتصلة بالظاهرة محلِّ الدراسة، وإعادة تفكيك المعطيات المتاحة، ثم ترتيبها من جديدٍ للتوصل إلى الأنماط المتكررة، والروابط العميقة فيما بينها. وهو ينطلق فى ذلك من رفضه النظرةَ «الموضوعية التوثيقية المحايدة» (تلك التى يتبناها بعضُهم، بل الكثيرون مع الأسف، بدعوى طبيعة البحث العلمى الذى يتطلب «الحياد» و «عدم التحيز» !) ، ومن اعتقاده أنه لاقيمة للمعلومات فى حد ذاتها إن لم توضع فى إطار تحليلى أشمل، لتصبح بالتالى جزءاً من رؤية كلية.

ولذلك فـ «المصطلح» فى الموسوعة عنصر متحرك فاعل (ديناميكى)، ذو دورٍ معرفىٍّ أساسى فى عملية الوعى الصحيح بذاتنا وبالآخر.. وهو الدور الذى من شأنه أن يُفضى إلى الحركة فى الاتجاه الصحيح فى ميدان المواجهة والصراع الماديين.

وقد نجحت الموسوعة فى هذا الصدد فى أمرين مهمين ..

الأول: نقض «جيتوية المصطلح الصهيونى» ـ بتعبير المسيرى ـ.. تلك الجيتوية التى

تُغلِّف المصطلحات الصهيونية، وتُضفى عليها طابعاً أسطورياً غير إنسانى، بما يجعل المتلقى ـ خاصة ذلك الذى لا يعرف العبرية ـ يقف أمامها مدهوشاً، ثم مستوعَباً نفسياً، ومهزوماً تماماً!

والأمر الثانى: هو نجاحها فى هدم نقيض هذه الجيتوية أيضاً، وهو محاولة «تطبيع الظواهر الصهيونية» ـ بتعبيره أيضاً ... ذلك التطبيع الذى يحاول إضفاء صفة العمومية والطبيعية عليها، على الرغم مما تتسم به ـ فى بعض جوانبها الأساسية ـ من تفرُّد، بسبب طبيعتها الاستيطانية الإحلالية.

ولم يكتفِ المسيرى بذلك الجانب التفكيكى التقويضى، الذى تجاوز به العقبات التى تضعها المصطلحات الصهيونية فى سبيل المتلقى بغرض إخضاعه لرؤيتها و«رواياتها» الخاصة. بل جاوزه إلى الجانب التأسيسى، باجتهاده فى التوصل إلى مصطلحات أخرى بديلة أكثر تركيبيةً وتفسيريةً وشموليةً ودقةً. وهذه المصطلحات التى اجتهد المسيرى فى نحتها وسكِّها تنبع ـ كما يقول هو نفسه ـ من «نموذج تحليلى جديد مركب، لايتبنى المرجعية الغربية أو الصهيونية، بل يستند إلى إدراك عربى إسلامى للظواهر، وإلى مرجعية عربية إسلامية كذلك».. وهذا كله يصب فى خانة تشجيعه العقلَ العربى ليتجاوز مرحلة التلقى والتلقين، وليمارس من ثَمَّ الإبداعَ من خلال تجربته الحضارية المتعيِّنة ومُعْجمه الخاص، ليكون قادراً على تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية، بعيداً عن الديباجات والاعتذاريات.. وبعيداً أيضاً عن الادعاءات حول الذات والأرض. وذلك هو الطريق الأقوم للانتصار فى ميدان الصراع.

أما الدكتور أحمد صدقى الدجانى (الكاتب الفلسطينى الكبير) فيؤكد فى مشاركته «التحيز فى المصطلح فى قضايا الصراع والحضارة»[١] على أن قضية ضبط المصطلحات مرتبطة بقضايا كثيرة مهمة من قبيل: تحديد الهُويَّة وتأكيد الذات، والموقف من الآخر، والدوائر الحضارية، والتفاعل أو التصادم بينها.. وهو يركز على أن التحيز فى المصطلح يرتبط بالصراع بين الحضارات.

---

(١) سبق لها ان نشرت تحت عنوان «التحيز فى المصطلح» ضمن العمل الضخم الذى حرره د. عبدالوهاب المسيرى «إشكالية التحيز» والذى سبقت الإشارة إليه فى هامش سابق، وقد راينا ان نضمها ـ بعد استئذان صاحبها وموافقته مشكوراً ـ إلى هذا الكتاب لأهميتها فى هذا السياق.

ويستعرض النجانى عدداً من المصطلحات التى نستخدمها من غير تنبه إلى خلفيات التحيز التى تكمن وراءها، وذلك مثل مصطلحات: العالمية، والتقدم، والإرهاب.. وغيرها. كما يتوقف عند تنبُّه أجدادنا إلى هذه المسألة، ونحتهم مصطلحاتهم الخاصة وتمسكهم بها، انطلاقاً من إدراكهم هُويتَهم المتعيِّنة، واقتداءً بقواعد الشرع واللغة والمنطق.. ومن ثَمَّ؛ فإنه يدعو إلى متابعة الحديث والنقاش المعمَّق حول هذه القضية؛ لأن معالجتنا إياها ضرورة من ضرورات دعم نضالنا والانتصار على عدونا.

أما الأستاذ محمد السمَّاك (الكاتب اللبنانى الكبير)؛ فيذكر أن محاولاتٍ محمومة تجرى منذ القرن التاسع عشر لتحويل الإنسان العربى إلى أن يكون مجرد شاشة تنعكس عليها اهتمامات الآخرين وتطلعاتهم، بحيث يعتقد عندما تعرض عليه أنها من ذاته العربية، وليست من ذات هؤلاء الآخرين الذى يعملون على «تدجيننا» بما يتوافق وبرامجَهم ومخططاتِهم.

وهو يرصد فى سياق «التدجين» هذا عباراتٍ ومصطلحاتٍ مُرِّرت إلينا ـ وعبر وسائل إعلامنا نحن! ـ حاملةً مضامينَ فكريةً وسياسية تعبر عن رؤية «الآخر» لنا.. وذلك نحو: الأصولية الإسلامية، الإرهاب الإسلامى، الصراع الحضارى بين الإسلام والغرب، الشرق الأوسط، التطبيع.. بل إنه يرى أن فى التعبير عن القضية الفلسطينية بـ «الصراع العربى الإسرائيلى» إيحاءً بدلالات سلبية ينبغى تجنبه لتلافيها.. وفى ختام مشاركته يشير ـ آسفاً ـ إلى أننا لم نستطع أن ندخل مصطلحاً عربياً واحداً إلى لغة الإعلام الإسرائيلى، فى الوقت الذى وقع فيه إعلامنا العربى ضحية عشرات المصطلحات التى يشكل استخدامها خدمة للمصالح الصهيونية.. بل إن الأمر يصل بنا إلى أن نطالب بحقوقنا بلغة فيها من المصطلحات والتعابير ما يوحى بعكس مرادنا!

هذا عن القسم الأول من الكتاب.

أما القسم الثانى؛ فيضم مشاركات متميزة لكلٍّ من: الدكتوره حنان عشراوى، والأستاذ نعيم الطوباسى، والأستاذ أبو السعود إبراهيم، والدكتور مشهور الحبَّازى، والأستاذ فايز قنديل.. حاول فيها كل واحد منهم رصد ما استطاع من مصطلحات

ومفاهيم وأسماء محمّلة بالرؤية الصهيونية مما اختلقته آلة الإعلام الصهيونية أو سَطَت عليه وحرّفته من مفاهيمنا ومصطلحاتنا..

والذى أريد أن أشير إليه فيما يخص هذا الرصد فى هذا الكتاب.. أنه ليس نهائياً، بقدر مايمثّل دعوة إلى الالتفات إلى هذه القضية المهمة، وفتح باب الاجتهاد فيها - تأصيلاً وتطبيقاً -... ومن هنا؛ فلا بأس بأن تكون لواحد منا رؤية أو رأى مخالف حول هذا المصطلح أو ذاك؛ حول وجه انتقاده مثلاً، أوحتى إيراده من الأساس.. فالمهم هو العمل على بلورة قاعدة رئيسية تصلح للانطلاق فى سبيل إكمال هذا الموضوع المهم.. الذى نرجو أن يكون هذا العمل لَبِنةً مهمة فى سبيل توفيته مايستحق من جهد واهتمام، تتلوه متابعة تنفيذية فى وسائل الإعلام المختلفة، وذلك حتى تثمر جهودنا ولاتبقى مدفونةً بين طيات الكتب!

(٦)

كان نيتشه مُحِقًّا فى قوله : «إن حق السيد فى إطلاق الأسماء يذهب إلى مدىً بعيد.. إلى حد أنه يمكن اعتبار عمل أهل اللغة فِعْلَ سُلطةٍ صادراً عن هؤلاء الذين يهيمنون. إن هؤلاء قالوا: هذا كذا وكذا، والصقوا بموضوع وفعل ما لفظاً معيناً.. فتملكوهما!» (١)..

تلك هى حقيقة الخطر الذى نطمح للإشارة إليه والتنبيه عليه فى هذا الكتاب.

فالدعوة إلى إعادة النظر فى المفاهيم والمصطلحات المستخدمة فى الإعلام ضرورةٌ مُلحَّة، لأسباب ثلاثة:

- تحقيق الانضباط، والخروج من حالة فوضى المفاهيم المتسللة إلى إعلامنا بما يخالف رؤيتنا وروايتنا العربية للقضية.

---

(١) « عن أمركة الكرة الصغيرة بعد الكبرى ! »، عبدالسلام بن عبدالعالى، مقال بجريدة الحياة - لندن، ملحق «تيارات»، ١٤/ ٧/ ٢٠٠٢م.

- ولتأكيد الهُوية والاختصاص والتمايز لمنظومة مفاهيمنا.. عربيةِ الطابع والمصدر والوسائل والغايات.

- وللعمل على التعامل مع المتلقى العربى بوِحْدات من المفاهيم قادرة على أن تَمسَّ حقيقة تكوينه الحضارى، حيث تستطيع هذه المفاهيم أن تفجر الطاقة الحضارية الكامنة إلى أقصى مدى من الفاعلية.

***

إن المطلوب اليوم هو بلورة خطاب سياسى وإعلامى عربى فعَّال، لمواجهة الحرب المعلنة على الذاكرة العربية والعالمية بشأن الجرائم الإسرائيلية فى أراضينا المحتلة .

وإذا نجحنا فى ذلك، نكون قد قطعنا خطوةً على طريقٍ طويل.. طريقِ الاستقلال الحضارى، الذى هو جوهر الاستقلال!

أحمد عبد الرحيم

القاهرة: ٢٠ / ٥ / ١٤٢٣ هـ

٣٠ / ٧ / ٢٠٠٢م

القسم الأول



القسم الأول

(١)

حول المفاهيم والمصطلحات المتداولة فى الصراع العربى الصهيونى

د . عبدالوهاب المسيرى*

* المفكر المصرى الكبير . مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.



(١)

مقدمة فى ضبط المفاهيم والمصطلحات

تحديد المفاهيم والمصطلحات مسألة ضرورية لضبط وتنظيم العملية الفكرية وتأطير ممارسات الفكر الاجتماعى فى سياق منهجى، بعيداً عن الفوضى والشتات الذهنى، من أجل صياغة منطق مشترك بين تفاعلات الأفراد.

ولمشكلة المصطلح شقان :

أ) محاولة توليد مصطلحات جديدة نتيجة تعريف المفاهيم ووصف الظواهر الأساسية ثم تسميتها.

ب) ترجمة المصطلح، فالترجمة شكل من أشكال التفسير، ومترجم المصطلح يجد نفسه، شاء أم أبى، يتوجه للقضايا الفلسفية والمعرفية الكامنة وراءه.

والقضيتان رغم انفصالهما متداخلتان وتثيران الإشكاليات نفسها.

ولكن، إذا كان المُصطلح أو الاصطلاح قد تصالحا، فما العمل إن كان من يَسُكُّ المصطلح لم يتصالح معنا؟ أو كان يسك المصطلح لتغييبنا نتيجة لخصومته معنا ولأن وجودنا يعنى غيابه؟ أو يسك مصطلَحاً يخبىء مفاهيم وقيماً تتنافى ومفاهيمنا وقيمنا، ويتبنَّى نموذجاً تحليلياً معرفياً متحيزاً ضدنا؟ وهذه هى الإشكالية التى تواجهنا، بخصوص المُصطلَحات المستخدمة فى وصف الظواهر اليهودية والصهيونية. فقد تم سكُّها فى العالم الغربى بعناية بالغة، وهى مُصطلَحات تنبع من تجارب تاريخية ونماذج تحليلية ورؤى معرفية ووجهات نظر غربية وصهيونية، متمركزة حول الذات الغربى واليهودية ، وتحتوى على تحيزات إنجيلية وإمبريالية وعِرقية لا نشارك فيها بل ونرفضها، وهى تحيزات جعلت الدارسين الغربيين والصهاينة يضخمون كثيراً من جوانب بعض الظواهر ويهملون الجوانب الأخرى ، وجعلتهم يفترضون وجود وحدة حيث لا وحدة، ولا يدركون فى الوقت ذاته العلاقة بين ظواهر نرى نحن أنها وثيقة الصلة. وهى مُصطلَحات تعبر عن خلل واضح (من وجهة نظرنا) فى المستوى التعميمى والتخصيصى، فإنهم يتحدثون بصيغة العام عن ظواهر خاصة وفريدة،

وبصيغة الخاص عن ظواهر عامة، ويهمشون ما هو مركزى وأساسى، ويضفون المركزية على ما هو هامشى من وجهة نظرنا.

ويمكن أن ندرج بعض سمات المصطلحات الغربية/ الصهيونية فيما يلى:-

١ - تنبع المُصطلَحات الغربية من المركزية الغربية، فالإنسان الغربى يتحدث، على سبيل المثال، عن «عصر الاكتشافات» وهى عبارة تعنى أن العالم كله كان فى حالة غياب ينتظر الإنسان الأبيض لاكتشافه، والصهاينة يشيرون أيضاً إلى أنفسهم على أنهم «رواد»، والرائد هو الشخص الذى يرتاد مناطق مجهولة فيستكتشفها بنفسه ويفتحها لينشر الحضارة والاستنارة بين شعوبها البدائية.

وحروب العالم الغربى تُسمَّى «الحروب العالمية»، ونظامه الاستعمارى يُسمى «النظام العالمى الجديد». ويتبع الصهاينة نفس النمط، فقد كان هرتزل يحاول تأسيس دولة يضمنها «القانون الدولى العام» وكان يعنى فى واقع الأمر «القانون الغربى» أو بمعنى أصح «القوى الإمبريالية الغربية». والمنظمة الصهيونية توجد أساساً فى العالم الغربى حيث تتركز الغالبية الساحقة ليهود العالم، إذ لا يوجد يهود فى الصين، أو الهند أو اليابان، أو فى معظم بلاد آسيا (باستثناء بضعة أفراد فى الصين وبضع عشرات فى اليابان وبضع مئات فى الهند).

ولا يوجد يهود فى أفريقيا إلا فى جنوب أفريقيا (فى الجيب الاستيطانى الغربى) وبضعة آلاف فى المغرب. ورغم هذه الحقيقة، إلا أن المنظمة الصهيونية تشير إلى نفسها باعتبارها «المنظمة الصهيونية العالمية». لا.. بل «المنظمة الصهيونية الغربية». وحينما صدر وعد بلفور، وردت فيه إشارة إلى «الجماعات غير اليهودية» أى سكان فلسطين من العرب البالغ عددهم آنذاك ما يزيد عن ٩٥٪ من عدد السكان، أى أن الغالبية الساحقة من سكان فلسطين تم تهميشها لصالح المستوطنين الصهاينة. ولا يمكن فهم عملية التهميش هذه إلا فى إطار أن الصهاينة هنا هم ممثلو الحضارة الغربية. التى تظن أنها تحتل مركز الكون والتاريخ، ولذا فإن حقوقهم فى فلسطين حقوقٌ مركزية مطلقة. أما حقوق غيرهم من البشر، ممن أقاموا فى هذه الأرض وزرعوها وحصَدوا ثمارها وبنوا منازلهم فيها عبر آلاف السنين، فهى هامشية، وهم مجرد «جماعات غير يهودية» !.

ومن أهم المصطلحات التى أحرزت شيوعاً فى لغات العالم مُصطلَح «معاداة السامية»، وهو مصطلح يعكس التحيزات العِرْقيَّة والمركزية الغربية التى ترجمت نفسها إلى نظام تصنيفى (آرىٌ / سامىٌ). والسامى بالنسبة للغرب هو اليهودى، وهو ما لا يمكن لأى دارس للتشكيل الحضارى السامى أن يقبله. ومع هذا، شاع المُصطلح وسبب الخلل. وهو ترجمة حرفية (أمينة!) لعبارة Anti Semitsm . ويتحذلق البعض ويقول «اللاسامية» أو «ضد السامية» (وليلاحظ أن القضية تحولت من قضية رصد ظاهرة وتسميتها، إلى قضية مدى دقة ترجمة المُصطلح، بغض النظر عن مدى دقة وتفسيرية الدال ومدى مطابقته للواقع !). وقد نحت مصطلح «معادادة السامية» فى أوربا فى القرن التاسع عشر وانتشر فيها، وهو يفترض أن ثمة هُوُّة سحيقة من الاختلافات العرقية البيولوجية التى تفصل بين الأعراق والحضارات، وخاصة بين الساميين والآريين، وأن اليهود هم ممثلو الحضارة السامية. وكلا الافتراضين خاطىء تماماً، فنحن نعرف أنه لا يوجد عرق خالص فى أى مكان فى العالم، إذ تختلط الناس والأجناس (ولعل كلاً من العرب وأعضاء الجماعات اليهودية خير مثل على ذلك)، كما تختلط الحضارات وتتفاعل، ولا يمكن تصور الحضارة الغربية دون كل المؤثرات الشرقية التى صبت فيها (من تراث مصرى قديم، وبابلى، ثم عربى إسلامى). كما لا يمكن تصور الحضارة العربية الإسلامية دون كل المؤثرات الأجنبية التى صبت فيها. ويرى دارسو التشكيل الحضارى السامى أن خير ممثل له هم العرب، وأن العربية هى أقرب اللغات للغة السامية الأصلية الأولى (الافتراضية Ur Semitic Ianguage) التى تفرعت عنها كل اللغات السامية. ومعظم العلماء الغربيين والمسلمين يعرفون هذه الأمور، فهى ليست من اكتشافنا أو اختراعنا، بل إنها إحدى بدهيات علم الأنثروبولوجى المعاصر. ومع هذا كله نُصرُّ على استخدام هذا المصطلح الذى يعبر عن جهل أوربا وعنصريتها، وعن نظرتها إلى العالم فى القرن التاسع عشر وعن نظرتها للعالم.

وقد أصبح المجال الدلالى لُمصطلح «معاداة السامية» يشير إلى أى شىء، ابتداءً من محاولة إبادة اليهود، وانتهاءً بالوقوف ضد إسرائيل بسبب سياستها القمعية ضد العرب، مروراً بإنكار الإبادة!

٢ ـ يَصدُر الغرب عن رؤية إنجيلية لأعضاء الجماعات اليهودية. وحتى بعد أن تمت علمنة رؤية العالم الغربي لليهود، ظلت بنية كثير من المُصطلَحات ذات طابع إنجيلي، فاليهود هو «شعب مقدس» أو «شعب شاهد» أو «شعب مدنس» أو «شعب ملعون». وبغض النظر عن الصفات التى تلتصق باليهود، فإن صفة الاستقلال والوحدة هى الصفة الأساسية، فسواء كان اليهود شعباً مقدساً أم مدنَّساً فهم شعب واحد. وقد ترجم هذا المفهوم نفسه إلى فكرة «الشعب اليهودى»، تماماً كما أصبح «التاريخ المقدس» الذى ورد فى التوراة هو «التاريخ اليهودى». وتُشكِّل مفاهيم الوحدة والاستقلال هذه الإطار النظرى لكل من الصهيونية ومعاداة اليهود.

ومشكلة هذه المُصطلحَات أنها تفترض وجود وحدة تاريخية بل وعضوية بين يهود الصين فى القرن الرابع عشر ويهود الولايات المتحدة فى القرن العشرين. وهى تؤكد وجود استمرارية حيث هناك انقطاع. والعكس أيضاً صحيح، فهى تفترض وجود انقطاع كامل بين اليهود والأغيار وحيث يوجد فى واقع الأمر استمرار، وقد نجم عن ذلك إخفاق فى رصد كثير من العناصر التى تفاعل معها أعضاء الجماعات اليهودية وتأثروا بها وأثروا فيها.

٣ ـ انطلق الصهاينة من المركزية الغربية هذه وعمقوها بإضافة المركزية الصهيونية. وجوهر هذه المركزية هو أن اليهود كيان مستقبل، لا يمكن دراسته إلا من الداخل فى إطار مرجعية يهودية خالصة، أو شبه خالصة، وهو ما أدى إلى ظهور ما أسميه «جيتوية المصطلح». فكثير من الدراسات التى كُتبت عن الموضوع اليهودى والصهيونى تستخدم مصطلحات من التراث الدينى (بعضها بالعبرية أو الآرامية) أو من تراث إحدى الجماعات اليهودية (عادة يهود اليديشية) أو من الأدبيات الصهيونية لوصف الظواهر اليهودية والصهيونية، وكأن هذه الظواهر من الاستقلالية والتفرد بحيث لا يمكن أن تصفها مفردات فى أية لغة أخرى.

وتتضح جيتوية المصطلح الصهيونى الكاملة فى أوجه عدة أهمها ظهور مصطلحات مثل «التاريخ اليهودى» و «العبقرية اليهودية» و «الجوهر اليهودى»، وهى مصطلحات تفترض وجود تاريخ يهودى مستقل له حركياته المستقلة عن تاريخ البشر، ومن ثم لا يفسر سلوك أعضاء الجماعات اليهودية فى ضوء تاريخ المجتمع الذى

يعيشون فيه، وإنما فى إطارحركيات تاريخ مقصور عليهم (ومما يجدر ذكره أن المعادين لليهود يتبنون جيتوية المُصطلَح هذه ايضاً حين يتحدثون عن «الجريمة اليهودية» وعن «المؤامرة اليهودية»).

وتتضح هذه الجيتوية بشكل متطرف فى رفض المراجع الصهيونية ترجمة الكلمات العبرية، وفى الإصرار على إبرازها بمنطوقها العبرى. وعدم ترجمة المصطلح نابع من الإيمان «بتفرد» التراث اليهودى و «تميز» الذات اليهودية وقدسيتها.. إلخ، ولذا تتحدث هذه المراجع عن «الليكود» و «المعراخ» و«احدوت هاعفوداه» و «المتسفاه». أما حرب اكتوبر فهى حرب «يوم كيبور».

والمراجع العربية مع الأسف تتبع المصادر الصهيونية فى معظم الأحيان. فنحن نترجم عبارة Conservative Party إلى العربية فنقول «حزب المحافظين» (ولا نقول «الكونسيرافتيف بارتى» مثلا). بينما يظل «الليكود» أو «احدوت هاعفوداه» على شكلهما العبرى الغريب والشاذ . وأقول «الغريب والشاذ» لا لأن اللغة العبرية غريبة وشاذة، فهى لغة مثل أية لغة فى العالم، لها قواعدها وقوانينها. ولكن الغرابة والشذوذ يكمنان فى السياق العربى نفسه. فإذا كانت عبقرية اللغة العربية تتجه نحو الترجمة، إذن فلنترجم ولا نستثنى من القاعدة إلا ما يُستثنى عادة ، مثل بعض الكلمات التى يتصور المترجمون أن لغتنا عاجزة عن التعبير عنها، مثل «الجمهورية الفيدرالية»، أو الاختصارات مثل «اليونسكو» وصاروخ «سام».. فهذه الاختصارات أصبحت مثل أسماء الأعلام (وإن كان يجرى أحياناً ترجمة الاختصارات فحلف «الناتو» أصبح «حلف شمال الأطلنطى»). ولكننا لا نطبق هذه القواعد على المصطلح الصهيونى، ونتركه عبرياً دون تغيير أو تعديل، وكأنه قدس الأقداس الذى يجب ألا يطأه إلا كبير الكهنة وحده، أو كأنه «الشيم هامفوراش» الذى ينطق به كوهين جادول مرة واحد كل عام!

وبقاء المصطلح على شكله العبرى يجعلنا مُستوعَبين نفسياً فيه وفى حالة انهزام كامل أمامه، فالتركيبة الصوتية التى تخلط بين الهاء والعين (هاعفوداه)، والتركيبة الصوتية الأخرى «تسى» (الكيبوتس) لا تتواتران فى اللغة العربية، وبالتالى فهى تسبب جهداً لدى القارئ ولدى السامع العربيين على حد سواء. وهذا على عكس

التركيبات الصوتية المألوفة للأذن العربية، كما أن معنى «أحدوت» أو معنى «هاعفوداه» يظل شيئاً غريباً على العقل، يضرب الإنسان أخماساً فى أسداس ليصل إليه، ولا يملك المرء أمام هذا إلا أن يكرر الأصوات التى يسمعها دون أن يحيط بها إحاطة كاملة!

كما تظهر جيتوية المصطلح أيضاً فى ترجمة أسماء الأعلام (والأسماء لها دلالة خاصة فى الدين اليهودى). فالمصطلح الصهيونى نابع من الإيمان بأن اليهودية انتماء قومى، ولذا يجب عبرنة كل الأسماء، فيصبح «موسى هس» هو «موشيه» بغض النظر عن انتمائه القومى الحقيقى، ويصبح «سعيد» هو «سعديا» ويصبح «إسحق» هو «يتسحاق»، كما لو كان الأمر المنطقى هو أن تنطق هذه الأسماء بالعبرية، مع أن بعض حملة هذه الأسماء لا يعرفون العبرية، ولم ينادَوا بهذه الأسماء مرة واحدة طيلة حياتهم!

ويظهر الانغلاق الجيتوى التام فى اصطلاحات مثل «الهولوكوست» و «العالياه»، وهى اصطلاحات وجدت طريقها أيضاً إلى اللغة العربية. والعالياه اصطلاح دينى يعنى العلو والصعود إلى أرض الميعاد ولا علاقة له بأية ظاهرة اجتماعية، ومع هذا يستخدم الصهاينة الكلمة فى الإشارة إلى الهجرة الاستيطانية، أى أن الظاهرة التى لها سبب ونتيجة أصبحت شيئاً فريداً، وظاهرة ذاتية لا تخضع للتقنين والمناقشة. و «الهولوكوست» هو تقديم قربان للرب فى الهيكل يحرق كله ولا يبقى منه شىء للكهنة، ومع هذا يستخدم الصهاينة هذه الكلمة للإشارة إلى الإبادة النازية لليهود. والغرض من استخدام كل هذه المصطلحات الدينية العبرية هو إزالة الحدود والفوارق بين الظواهر المختلفة، بحيث تصبح «عالياه» هى «الهجرة الصهيونية الاستيطانية»، وتصبح الهجرة الصهيونية هى العلو والصعود إلى أرض الميعاد، أما الهجرة منها فهى «يريداه» أى الهبوط والنكوص والرِّدَّة. ولعل مما له دلالته فى السياق أن العبرية توجد فيها كلمة محايدة تصف الهجرة وحسب، ولكن الصهاينة استبعدوها، وهو ما يؤكد المضمون الأيديولوجى المتعمد من استخدام هذا المُصطلَح.

ويُقسِّم علماء اليهود إلى «جاؤونيم» و «نتائيم» و «تنائيم».. وهكذا، وتشير إليهم كثير من المراجع بهذه الكلمات. وهذا يعنى أن القارئ الذى لا يعرف العبرية يقف مدهوشاً أمام هذه الأسماء والظواهر وكأنه أمام شىء عجائبى غير إنسانى (فالشىء الفريد الذى يتأيقن يضع نفسه خارج حدود ما هو إنسانى). وقد اختار الصهاينة عدة مصطلحات دينية مختلفة ليطلقوها على كيانهم الاستيطانى فسموه «كنيست يسرائيل»، ثم «يشوف»، ثم سمى أخيراً «إسرائيل»، وكلها مصطلحات تحمل دلالات دينية لا علاقة لها بأية ظواهر سياسية أو اجتماعية. ولكن الغرض من استخدام المصطلح الدينى فى الإشارة إلى ظاهرة سياسية هو الخلط بين الحدود، ونقع نحن فى المأزق ونجد أنفسنا نناقش ما إذا كانت حدود إرتس يسرائيل كما وردت فى العهد القديم مطابقة لحدود إسرائيل كما فرضت نفسها على الوطن الفلسطينى، وننسى أن ما حدد هذه الحدود هو العنف الذاتى الصهيونى والدعم الغربى من الخارج.

وتصل الجيتوية إلى قمتها فى رفض المراجع الصهيونية وبعض المراجع الغربية استخدام كلمة «فلسطين» للإشارة إلى هذه الرقعة الغالية من الأرض العربية، حتى قبل عام ١٩٤٨. ولذا فليس من المستغرب أن نجد مرجعاً صهيونياً «علمياً» يتحدث عن المسرح العربى فى فلسطين فى الثلاثينيات فيشير إلى المسرح العربى فى «إرتس يسرائيل»، ولا يملك الإنسان إزاء هذه الوقاحة إلا أن يضحك فى مرارة من سخف وتفاهة الجيتوية وتحيزاتها!

٤ ـ وهناك بُعد آخر فى المُصطلَح الصهيونى يقف على طرف النقيض من «الجيتوية» وهو ما نسميه «التطبيع» وهو محاولة إسباغ صفة العمومية والطبيعية على الظواهر الصهيونية رغم ما تتسم به فى بعض جوانبها من تفرد، بسبب طبيعتها الاستيطانية الإحلالية. فالدعاية الصهيونية، فى إحدى ديباجاتها، تحاول تقديم الحركة الصهيونية، ومن بعدها الكيان الصهيونى، باعتبارهما ظواهر سياسية عادية، وكأن الكيان السياسى الإسرائيلى لا يختلف فى أساسياته عن أى كيان سياسى آخر، فيتم الحديث عن «نظام الحزبين فى الديمقراطية الإسرائيلية»، وعن الصهيونية باعتبارها «القومية اليهودية»، بل و عن «حركة التحرر الوطنى للشعب اليهودى»، وكأن

الأقليات اليهودية فى العالم إن هى إلا شعب صغير مثل شعوب العالم الثالث، وكأن الصهيونية ليست شكلاً من أشكال الاستعمار الاستيطانى الإحلالى وإنما حركة تطرد المغتصبين وتستعيد لهم أرض الأجداد المستعمرة.

وقد سُميت بعض جوانب التجربة الاستيطانية الصهيونية بـ «الحركة التعاونية» و «الصهيونية الاشتراكية»، ولهذا نجحت الصهيونية فى تطبيع ذاتها على مستوى المصطلح واكتسبت مضموناً عاماً وعادياً وطبيعياً غير مضمونها الحقيقى.

ورغم رفضنا فكرة تفرد الظواهر اليهودية والصهيونية، ورفضنا جيتوية المُصطلحَ، وإيماننا بأن الظاهرة التى يشير إليها دال ما تخضع فى كثير من جوانبها للقوانين العامة التى تحكم هذه الظاهرة.. إلا أن كل ظاهرة تظل لها خصوصيتها (المنحنى الخاص للظاهرة) وما يميزها عن غيرها من الظواهر. وعملية التطبيع تتجاهل هذا كله. فكلمة «ديمقراطية» حينما تُطبَّق على إسرائيل فهى تطبَّق على كيان سياسى يستند إلى عملية سرقة تاريخية لا تزال آثارها واضحة، ولذا يجب على هذا الكيان «الديمقراطى» قمع أصحاب الأرض بشكل مستمر حتى يضمن بقاءه، كما أن هذا الكيان يستند إلى عملية تمويل ودعم مستمرة من الغرب تضمن أمنه وانتماءه للغرب وعمالته له، وهو ما يعنى أن هذه الديمقراطية فى واقع الأمر ليست لها إرادة أو سيادة مستقلة.

ومُصطلَح مثل «التفسير» فى العقائد الدينية (التوحيدية) يعنى بذل جهد من جانب المؤمن لتفسير الكتاب المقدس الذى يؤمن به، ومع هذا يظل التفسير تفسيراً (إنسانياً)، ويظل الكتاب المقدس هو كلام الإله. أما كلمة «تفسير» فى اليهودية فهى تدور فى إطار «الشريعة الشفهية» التى تضعها اليهودية الحاخامية فى منزلة تفوق منزلة الكتاب المقدس.

ونفس الشىء ينطبق على مفردات مثل «الإله» و «النبى» فهى تكتسب مضموناً جديداً يختلف عن مضمونها فى العقائد الأخرى، ولعل ما حدث للدال «يهودى» مَثَلٌ مثير على ما نقول.

فمن المفروض أن يكون أبسطَ الدوال، ولكنه أصبح من أكثر المدلولات خلافيةً، حتى إننا نصل إلى المصطلح المختلط تماماً، الدال الذى لا مدلول له : «اليهودى

الملحد» (و «اليهودية الإلحادية»)، وهو مصطلح ليس له نظير فى أىٍّ من العقائد التى نعرفها. وعملية التطبيع المصطلحية تسقط كل هذا وتُسطِّحه.

وفى محاولة منا لتجاوز هذه الصعوبات وللوصول إلى مصطلحات أكثر تركيباً وتفسيريةً وشمولاً ودقةً اجتهدنا فى «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» فى نحت مُصطلَحات تنبع من نموذج تحليلى جديد مركب لا يتبنى المرجعية الغربية أو الصهيونية، و إنما يستند إلى إدراك عربى إسلامى للظواهر وإلى مرجعية عربية إسلامية . وكان ديدننا فى ذلك هو محاولة تشجيع العقل العربى على أن يتجاوز التلقى لينطلق إلى الإبداع من خلال تجربته الحضارية المتعينة ومعجمه الحضارى الخاص، كما فعل الفلاحون الفلسطينيون فى نهاية القرن الماضى حينما قابلوا المستوطنين الصهاينة فلم يسموهم «الرواد» أو «الحالوتسيم» ـ كما نفعل نحن «الموضوعيين» المتجردين من الذات! ـ، وإنما سموهم «المسكوب» أى «أولئك الذين جاءوا من موسكو»، أى «الغرباء الغربيين» الذين جاءوا لاغتصاب الأرض، شأنهم فى هذا شأن كل النفايات البشرية التى كانت تسبق جيوش الاحتلال الغربى وتمشى فى ذيلها. ففلاحوا فلسطين فى هذه الحالة نظروا بعيونهم العربية، وشعروا بما شعروا به، ثم سموا الأشياء بأسمائها خارج نطاق الديباجات والاعتذارات والادعاءات عن الذات وعن الآخر. كما أننا نتصور أن المصطلحات التى تستند إلى تجربتنا التاريخية الحية ستتضمن جوانب من الواقع آثر الغربيون والصهاينة تجاهلها، عن وعى أو غير وعى، ولذا ستكون مصطلحاتنا أكثر تفسيرية. وكون مصطلحاتنا تعبر عن ذاتيتنا العربية الإسلامية لا يعنى بالضرورة أنها محصورة فى هذه الذاتية لا تتجاوزها. ومن هنا تأتى أهمية إصرارنا على إبراز مقدرة هذه المصطلحات التفسيرية، رغم أنها تنطلق من ذاتيتنا.

وقد عبَّر كل هذا عن نفسه من خلال المصطلحات التى استخدمت فى هذه الموسوعة فى أشكال عديدة:

١ ـ يصدر النموذج المركب الذى نستخدمه عن الإيمان باستقلال الإنسان عن الطبيعة، وهو ما يعنى ضرورة فصل مصطلحات العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية،

والتزام الحذر تجاه المصطلحات التى تستعار من عالم الطبيعة، خصوصاً الصور المجازية العضوية التى تفترض مركزية الطبيعة/ المادة. ويظهر هذا فى استخدامنا لمصطلح «الإنسان الطبيعى» فى مقابل مصطلح «الإنسان الربانى» (او «الإنسان الإنسان»). وكذلك حينما استخدمنا مصطلح «عضوى»، كما فى «القومية العضوية» او «الشعب العضوى» ، حيث بينا دلالة الصور المجازية العضوية على وجه العموم. وقد استخدمنا مصطلحى «أكثر تفسيريةً» و « أقل تفسيريةً » بدلاً من «موضوعى» و «ذاتى» لنفس السبب وهو ما نوضحه بإسهاب فى المدخل المخصص للموضوع فى المجلد الأول من الموسوعة.

٢ ـ يَصدُر النموذج المركَّب عن الإيمان بوجود ثنائية أساسية فى الكون (الإنسان والطبيعة) تتبدى فى حالة اللغة من خلال ثنائية الدال والمدلول، أى ثنائية المصطلح والمفهوم الكامن وراءه والاستقلال النسبى للواحد عن الآخر، وهذا يجعل من الممكن مراجعة المصطلحات عن طريق تفكيكها والوصول إلى مرجعيتها الكامنة (كمونية أم متجاوزة ـ واحدية أم ثنائية؟) . وقد قمنا بمناقشة معظم المصطلحات المتداولة فى حقل الدراسات اليهودية والصهيونية وبينا عدم كفاية الكثير منها وتحيزها، ثم طرحنا مصطلحاتنا الجديدة.

ومن المصطلحات المستخدمة فى هذه الموسوعة كلمة «ديباجة»، وهى كلمة يمكنها فى تصورنا التعبير عن المسافة التى تفصل الدال عن المدلول. فالديباجة «تضاف» إلى النص فيمكن أن توضحه، ويمكن أن تخفى معانيه، ويمكن أن تبرره عن حق أو عن باطل. وقد استخدمنا هذا المصطلح لنشير إلى الصهيونيات كافة، فنقول «الصهيونية ذات الديباجة المسيحية» بمعنى أنها صهيونية تدعى أن لها أسساً مسيحية وهى فى واقع الأمر ليست كذلك، كما نقول «الصهيونية ذات الديباجة الديمقراطية» فهى صهيونية تدعى الديمقراطية، ولكنها تظل صهيونية تلتزم بالصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة.

٣ ـ تفرز النماذج الاختزالية تفسيرات نهائية مغلقة، ومن ثم فالمُصطلَحات النابعة من هذه النماذج تتسم بالانغلاق والطموح إلى الشمول الكامل واليقين التام. أما النماذج التحليلية المركبة ـ التى نستخدمها ـ فهى تؤدى إلى ظهور مصطلحات

منفتحة ذات مقدرة تفسيرية معقولة ولا تتسم بالتماسك العضوى الصلب، ولذا فهى قادرة على رصد الأجزاء فى علاقتها بالكل، دون أن يذوب الجزء فى الكل، وترصد العام والخاص دون أن تتجاهل أياً منهما. وهى مُصطلحات منفتحة قابلة للتعديل، ولا تطمح للوصول إلى مستوى من الدقة واليقينية يقترب من المستوى الذى يتوهم البعض أن بإمكانه الوصول إليه فى العلوم الطبيعية. والبناء المصطلحى ككل لا يتسم بالدقة والالتزام بالمعايير المجردة الثابتة، وإنما بالتركيب. والتركيب لا يعنى عدم الدقة، وإنما يعنى محاولة الإحاطة بأكبر عدد ممكن من المكونات المادية الواضحة للظاهرة، مع إدراك وجود جوانب مجهولة لا يعرف عنها الإنسان الكثير، وبعضها لا يمكن رده لقوانين المادة، ومع هذا يمكن الإشارة إليها والتعبير عنها بطرق مختلفة.

وفى إطار النموذج المركب يتم تحديد المستوى التعميمى والتخصيصى للمصطلح ليتناسب والظاهرة، بدلاً من محاولة الوصول إلى أعلى مستويات التعميم دائماً، فمثل هذه محاولة تنتهى بنا دائماً إلى عالم الجبر والهندسة والرياضة والأشياء، وهو عالم يقتل الإنسان ولا يعرف الضحك أو البكاء. ولعل مصطلح «جماعات يهودية» المركب فى مقابل مصطلح «اليهود» البسيط (الذى يتأرجح بشدة بين العمومية والتفرد) هو مثل على هذا، فهو مصطلح يحاول أن يشير إلى قدر من الوحدة وإلى قدر أكبر من عدم التجانس فى ذات الوقت، كما أنه يتعامل مع الخاص(«جماعات») والعام («يهودية») فى آنٍ، ولذا فهو مصطلح دقيق لا بسبب بساطته وإنما بسبب تركيبيته. ونفس الشيء ينطبق على مصطلح «تواريخ أعضاء الجماعات اليهودية». ونحن نتحدث كذلك عن المسألة اليهودية» بشكل عام، ثم نخصص فنقول «المسألة اليهودية فى شرق أوربا» ثم نزيد فى التخصيص فنقول «المسألة اليهودية فى روسيا»، وبذلك نربط بين العام («المسألة اليهودية») والخاص («فى شرق أوربا») ، والخاص الذى يقترب من التفرد («فى روسيا»)، نربط بينهما دون أن نغلِّب مستوى على الآخر. فالمستوى التحليلى هو الذى يحدد المصطلح المناسب لدرجة التعميم أو التخصيص.

ونحن نشير على سبيل المثال إلى «حركة الاستنارة الغربية» و «حركة التنوير اليهودية» لنميز بين الأصل والفرع والكل والجزء والفاعل والمفعول به. فحركة الاستنارة حركة غربية قامت بتنوير أعضاء الجماعات اليهودية، ولذا فهى حين تنتقل

إلى صفوفهم تصبح «حركة تنوير»، والنمط نفسه يوجد فى مصطلح «آداب مكتوبة بالعبرية» بدلاً من مصطلح «أدب عبرى». ففى أواخر القرن التاسع عشر كان يوجد أدباء يكتبون بالعبرية، ولكن العبرية نفسها كانت لغة فجة جامدة، ليس لها تراث أدبى يعتد به، ولذا كانت المرجعية الأدبية والعاطفية والحياتية للأدباء هى التراث الأدبى للبلاد التى يعيشون فيها، ومن ثم فأدبهم هو «أدب مكتوب بالعبرية». ومن ثم فهناك «آداب مكتوبة بالعبرية». أما الأدب العبرى نفسه، فنحن نرى أن المصطلح يمكن استخدامه ابتداء من الستينيات بعد أن استقرت التقاليد الأدبية العبرية فى إسرائيل وأصبحت من الثراء بما يكفى لإلهام الأدباء الإسرائيليين وغيرهم ممن يكتبون بالعبرية.

ويُلاحَظ أن مدلولات المصطلحات قد تتغير من مرحلة تاريخية لأخرى ومن منطقة جغرافية لأخرى، ومع هذا يظل هناك دال واحد. وهذا ما لاحظناه فى مصطلح «الماسونية»؛ إذ اكتشفنا وجود «ماسونيات» عديدة يشار إليها باعتبارها «الماسونية». أما نحن، فقد قسمناها إلى «ماسونيات ربوبية».و «ماسونية إلحادية» و«ماسونية العالم الثالث»... إلخ.

٤ ـ وفى محاولة زيادة تركيب الهيكل المصطلحى قمنا بإدخال مصطلحات جديدة تعبر عن مفاهيم تحليلية جديدة مثل «حوسلة» (كلمة منحوتة من صياغتنا بمعنى «التحول إلى وسيلة») ـ «العربى الغائب» و«اليهودى الخالص» (مفاهيم تحليلية كامنة فى الخطاب الصهيونى ولم يفصح عنها لأنها تفضحه وتسبب له الحرج) ـ «الجماعة الوظيفية» (مفهوم تحليلى جديد) ـ «الإقطاع الاستيطانى» (مفهوم تحليلى جديد يستند إلى مفاهيم قديمة).

وقد حاولنا تفتيت بعض المُصطلَحات الصهيونية التى تشير إلى أكثر من ظاهرة، فاصطلاح «إسرائيل» فتتناه إلى «إسرائيل» (الدولة الصهيونية)، و«يسرائيل» (العبرانيون بالمعنى الدينى)، و«يسرائيل (إفرايم)» (مملكة يسرائيل العبرانية)، وحاولنا توضيح الحدود بين مصطلحات متداخلة مثل «عبرانى» و «إسرائيلى» و «يسرائيلى» و«صهيونى». واصطلاح «الصهيونيتان» هو أيضاً محاولة لتفتيت مصطلح يشير إلى

ظاهرتين : «الصهيونية الاستيطانية» و«الصهيونية التوطينية» اللتين تبدوان كما لو كانتا ظاهرة واحدة، ومن خلال التفتيت بينا حدود وتاريخ تطور كل منهما (والشيء نفسه ينطبق على مفهوم «العلمانيتان»).

ونحن نشير إلى «المسيح المخلِّص اليهودى» باعتباره «الماشيَّح» حتى نحتفظ بمسافة بين التراث الدينى اليهودى والتراث الدينى المسيحى.

٥ ـ طورنا طريقة جديدة فى التعريف نطلق عليها «التعريف من خلال دراسة الحقل الدلالى لمجموعة من المصطلحات المتداخلة المتشابكة»، وتوصلنا إلى تعريف لـ «النموذج» و«العلمانية» و«الحلولية الكمونية» من خلال هذه الطريقة. وهى طريقة تتسم بالتركيب، نقوم فيها باستعراض كل التعريفات المتاحة بدلاً من الإتيان بتعريف جديد ثم نحاول اكتشاف الرقعة المشتركة (النموذج الكامن) فيما بينهما ونجردها، ويصبح هذا هو التعريف الجديد.

كما أن تَعدُّد المُصطلَحات وتَنوُّعها يفرض علينا الا نكتفى بدراسة التعريفات المعجمية الهزيلة، بل يدفعنا إلى أن نخرج من نطاق الكلمات والتعريفات لنتواصل مع الظواهر الاجتماعية والتاريخية نفسها، ومن ثم يتسع نطاق عملية التعريف. وإذا كان التعريف هو النموذج النظرى، فتوسيع نطاق عملية التعريف يعنى دراسة الطريقة التى تمت من خلالها ترجمة هذا النموذج فى الواقع، والمشكلات الناجمة عن هذا التطبيق، وهو الأمر الذى تتجاهله طريقة التعريف السائدة.

وفى تعريفنا للصهيونى رفضنا كل التعريفات القائمة. ومن خلال عملية تفكيك وتحليل توصلنا إلى ما نتصور أنه الثوابت البنيوية أو المسلَّمات الأساسية الكامنة، ثم قمنا بعملية إعادة تركيب تهدف إلى التركيز على هذه الثوابت والمسلمات، ووصلنا إلى ما سميناه «الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة».

٦ ـ نجد أن النماذج الاختزالية المغلقة تدفع بنا عن غير وعى إلى الثنائيات المتعارضة، إذ تنقسم كل الأشياء إلى: سالب وموجب، قابل ورافض، ناجح وساقط، صقور وحمائم... إلخ (كما تقول إحدى قوانين الديالكتيك). ولعل مثل هذه الثنائيات المتعارضة فى المصطلحات قد تسللت إلينا من نماذج العلوم الطبيعية والرياضية.

فنحن نميل إلى التحدث عن الطبيعة باعتبارها أشياء إما سالبة أو موجبة، وهو أمر مريح للغاية، حتى وإن كان غير دقيق. ولكن حينما ينقل هذا إلى عالم الإنسان، فإن النتيجة تكون سلبية إلى أقصى حد. ولعل هذا هو أحد العيوب الأساسية في الخطاب السياسي العربي وطريقته في التصنيف، أعني سقوطه في الثنائيات المتعارضة التي استوردها من العلوم الطبيعية من خلال المراجع الأجنبية.ولكن الواقع الإنساني (بما يتضمن من ثغرات وتركيب واستمرار وانقطاع) أكثر تركيبيةً ورحابةً وأقرب إلى أن يكون قوسَ قُزَح، تتداخل فيه الألوان برغم استقلالها، لا توجد له بداية حادة ولا نهاية حادة ولا حتى وسط مطلق (رغم إمكانية افتراض وجود هذه الأشياء من الناحية التحليلية). ومع هذا، توجد نقطة تركُّزٍ للظاهرة يمكن أن يجتهد الإنسان في اكتشافها. ولذا، فإن النموذج التركيبي يشجع على رصد الواقع من خلال كَمٍّ متصل مستمر من المقولات المتداخلة ليست بالضرورة سالبة أو موجبة، وإنما بين بين. والمقولات الوسطية عادة ما تكون أكثر تركيباً ودلالة من المقولات المتطرفة. كما أن هذه المقولات الوسطية تعبر عن نفسها من خلال مصطلحات جديدة استبعدها تماماً الصهاينة (والمعادون لليهود كذلك!)، فهم يدورون في إطار ثنائيات صلبة متعارضة سانجة. وتتضح المقولة الوسط المستبعدة في مجموعة من المصطلحات الجديدة، فبين ثنائية «الرفض اليهودي للصهيونية» و «الإذعان اليهودي لها» يمكن أن يوجد «التملص اليهودي» منها. وبين «العداء لليهود» و «التحيز لهم «التحامل عليهم» و«عدم الاكتراث بهم». وبين ثنائية «نجاح التحديث» و «إخفاقه» يوجد «تعثُّر التحديث».

٧ ـ في إطار النموذج المركب يمكن استخدام المجاز كوسيلة تعبيرية تحليلية مشروعة، فالمجاز هو اعتراف ضمني بتركيبية العالم واستحالة رده إلى عالم الطبيعة/ المادة الأحادي. والمجاز ليس مجرد زخرفة، وإنما هو أداة لغوية مركبة طورها الإنسان لتساعده على إدراك حالات إنسانية بعينها لا يمكن للغة النثرية العادية أن تحيط بها. واستخدام المجاز ليس أمراً جديداً أو غير مألوف، فنحن حين نتحدث عن «الإنسان الاقتصادي» أو «رجل أوربا المريض» نستخدم صوراً مجازية تتسم بقدر من التركيب من وجهة نظر صاحبها، كما تتسم بمقدرتها التفسيرية للواقع. وقد استخدمنا المجاز أيضاً في صياغة المُصطلَحات، فبجوار «رجل أوربا المريض» وضعنا «رجل أوربا

النهم»، كما أن اصطلاح «التركيب الجيولوجى التراكمى» هو صورة مجازية تقف بين ثنائية العضوى والآلى، واصطلاح «العربى الغائب» يستند كذلك إلى قدر من المجاز.

٨ ـ حاولنا بقدر الإمكان الإتيان بمصطلحات تتسم بقدر من الحياد وتتجاوز التحيزات الغربية والصهيونية، فبدلاً من كلمة «يهود» أو «الشعب اليهودى» استخدمنا مصطلح «جماعات يهودية»، وأسقطنا مصطلحات متحيزة مثل «العبقرية اليهودية» و«المؤامرة اليهودية» و«عداء الأغيار الأزلى لليهود»، وهى مصطلحات تمتلىء بها كتب الصهاينة وأعداء اليهود على حد سواء. فكنا نتحدث عن «العباقرة من أعضاء الجماعات اليهودية» أو «المجرمين من أعضاء الجماعات اليهودية». وبالطبع واجهنا قضية محاولة نقل وجهة نظر العدو للقارىء. وفى هذه الحالة كان علينا أن نورد المصطلح كما هو، بترجمته ترجمة مباشرة ودقيقة من العبرية أو الإنجليزية أو الألمانية فـ «الفولك Volk» هو «الشعب العضوى»، و«الجويش بيبول Jewish People» هو الشعب اليهودى». وقد عرَّفنا هذه المصطلحات لنبين للقارىء مضمونها الأيديولوجى الصهيونى، وكلما وردت فى نصوصنا فإننا ننسبها للعدو ولمرجعيته ونحرص على وجود مسافة بيننا وبينها.

٩ ـ تبنينا نفس هذا المنطق فى ترجمة المصطلحات:

أ) فكلمتا «إكزايل exile» الإنجليزية و«جالوت» العبرية لم نترجمهما حرفياً إلى «منفى» أو «شتات»، إذ أن هذا يعنى تبنى المرجعية والتحيزات الصهيونية. وكلمة «أنتى سيميتيزم anti-semitism» لم نترجمها إلى «معاداة السامية»، وكلمة «هولوكوست» لم ننقلها بمنطوقها العبرى، بل أشرنا إلى الظاهرة الأولى بعبارة «انتشار الجماعات اليهودية فى العالم»، وإلى الظاهرة الثانية بعبارة «معاداة اليهود»، وإلى الثالثة بعبارة «الإبادة النازية لليهود». وما فعلناه فى ذلك هو قريب مما فعله الفلاحون الفلسطينيون فى نهاية القرن الماضى؛ إذ أننا نظرنا إلى الظاهرة ودرسناها ودرسنا المفاهيم الكامنة وراءها، ثم أطلقنا عليها مصطلحات تقع خارج نطاق التحيزات الغربية والصهيونية . ولم ترد كلمات مثل «منفى» و«جالوت» إلا فى محاولة نقل وجهة نظر الآخر للقارىء العربى.

ب) وفى بعض الأحـيـان كنا نتـرجم المصطلح إلى العـربيـة ثم نضع المصطلح البولندى أو الألمانى أو العبرى بين قوسين، لأن المصطلحات تعبر عن ظواهر تتسم بقدر عالٍ من الخصوصية مثل: «التعجيل بالنهاية (دحيكات هاكتيس)» ـ « شال الصلاة (طاليت)» ـ «الشعب العضوى (فولك)» ـ « طبقة النبلاء البولنديين (شلاختا)».

ج) ومع هذا، فهناك كلمات لم نتمكن من تطبيق هذا المنطق عليها:

* فالاختصارات على سبيل المثال (الهستدروت ـ ويزو) تم نقلها كما هى.

* بعض الاصطلاحات الأعجمية التى شاعت مثل «الكيبوتس» و«المشناه» و«الجيتو».

* حاولنا قدر استطاعتنا استبعاد صيغة الجمع العبرية «الكيبوتسيم»، وبدلاً من ذلك نقول «الكيبوتسات».

د) فيما يتصل بأسماء الأعلام:

* اليهود الذين نشأوا خارج فلسطين ترجمنا أسماءهم من لغاتهم الأصلية مباشرة «فموسى هيس» هو «موسى هس» وليس «موشيه هس»، و «إسحق لامدان» ليس «يتسحاق لامدان» وإنما «إسحق» وحسب.

* اليهود المولودون فى فلسطين «عَبْرَنَّا» أسماءهم، لأن هذه هى لغتهم «فموسى ديان» هو «موشيه ديان» و «إسحق رابين» هو «يتسحاق رابين»، ورغم أن اسم «موسى» عادة ما يعرب («موزيس» الإنجليزية تصبح «موسى») إلا أننا عبرنًا أسماء الأعلام الإسرائيلية حتى نكون متسقين مع أنفسنا، ولأن أسماءهم العبرية قد شاعت.

هـ) ادخلنا أداة التعريف العربية على المصطلحات التى لم يمكن ترجمتها مثل «الهاجاناه». ولكن حينما يرد المصطلح الأعجمى بين قوسين بعد الترجمة فهو يرد دون أداة التعريف.

و) حاولنا قدر الإمكان استخدام كلمات عربية وتفعيل إمكانيات المعجم العربى (استخدام المثنى ـ النحت... إلخ). وحينما كانت ترد كلمة أعجمية كتبت بالحروف اللاتينية نضع قبلها منطوقها بالحروف العربية، حتى يمكن للقارىء العربى أن يتعامل مع الكلمة بشىء من الألفة ولا يجد فى نفسه الرهبة منها. ومع أنه لا توجد قواعد محددة لطريقة كتابة نطق الكلمات الأعجمية بالعربية، فقد أخذنا بهذه الطريقة من باب الدعوة إلى أن يفتح باب الاجتهاد فى هذه الناحية.

ز) لكن مذهبنا فى تناول الكلمات الأجنبية لم يكن بالضرورة الانغلاق، فحينما وجدنا مثلاً صعوبة فى توليد كلمة لتقابل كلمة «إثنيك ethnic الانجليزية عربنا الكلمة واستخدمنا كلمة «إثنى» جنباً إلى جنب.

ح) لكن كل هذا لا يعنى بطبيعة الحال أننا رفضنا كل الاصطلاحات والتعريفات القائمة ، فقد أخذنا بكثير منها، ولكن بعد أن وضحنا بُعدها المعرفى والنهائى.

* * *

(٢)
نماذج تطبيقية مفصلة*

أولا : فى السياسة والتاريخ

١ - التطبيع
Normalization

«التطبيع» هو تغيير ظاهرة ما بحيث تتفق فى بنيتها وشكلها واتجاهها مع ما يعده البعض «طبيعيا». ولكن كلمة «طبيعة» لها عدة معان . وقد استخدمنا هذه الكلمة بمعنى «الطبيعة / المادة»، والتطبيع فى هذه الحالة يعنى إعادة صياغة الإنسان حسب معايير مستمدة من عالم الطبيعة / المادة بحيث تصبح الظاهرة الإنسانية فى بساطة وواحدية الظاهرة الطبيعية / المادية .

ولكن كلمة «طبيعى» يمكن أن تستخدم بمعنى «مألوف» و«عادى»، ومن ثم فإن التطبيع هو إزالة ما يعده المطبِّع شاذاً، ولا يتفق مع المألوف والعادى و«الطبيعى».

وقد ظهر المصطلح لأول مرة فى المعجم الصهيونى للإشارة إلى يهود المنفى (العالم) الذين يعدهم الصهاينة شخصيات طفيلية شاذة منغمسة فى الأعمال الفكرية وفى الغش التجارى، ويعملون فى أعمال هامشية مثل الربا وأعمال مشينة مثل البغاء. وقد طرحت الصهيونية نفسها على أنها الحركة السياسية والاجتماعية التى ستقوم بتطبيع اليهود، أى إعادة صياغتهم بحيث يصبحون شعباً مثل كل الشعوب (انظر فى الموسوعة الباب المعنون «مسألة الحدودية والهامشية» وانظر أيضا المداخل التالية : «إصلاح اليهود واليهودية» - «نفع اليهود» - «تطبيع الشخصية اليهودية»). ومع إنشاء الدولة الصهيونية اختفى المصطلح تقريباً من المعجم الصهيونى بسبب حاجة الدولة الصهيونية الماسة لدعم يهود العالم لها .

ولكن المصطلح عاود الظهور مرة أخرى فى أواخر السبعينيات بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد . ولكنه طُبِّق هذه المرة على العلاقات المصرية الإسرائيلية، إذ طالبت الدولة الصهيونية بتطبيع العلاقات بين البلدين، أى جعلها علاقات طبيعية عادية، مثل تلك التى تنشأ بين أى بلدين. وقد قاوم الشعب المصرى مثل هذا التطبيع .

* هذه النماذج منتقاة من أجزاء الموسوعة السبعة بكثير من الاختصار فى بعضها نظراً لطبيعة هذا الكتاب، مما يعنى أن قراءة هذه المختارات لا يغنى عن قراءة أصلها فى الموسوعة، وحسبُ هذا الكتاب أن يدلّ عليها ويشير إلى أهميتها (المحرر).

٢ - التطبيع السياسى والاقتصادى
Normalization Political and Economic

«التطبيع السياسى والاقتصادى » هو إعادة صياغة العلاقة بين بلدين بحيث تصبح علاقات طبيعية . وتصر إسرائيل على أن التطبيع السياسى والاقتصادى بينها وبين الدول العربية شرط أساسى لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط . ولكن هناك خللاً أساسياً فى المفهوم وفى المحاولة ؛ فالتطبيع السياسى والاقتصادى يجب أن يتم بين بلدين طبيعيين، وهو الأمر الذى لا يتوافر فى الجيب الاستيطانى الصهيونى بسبب شذوذه البنيوى، فالدولة الصهيونية لاتزال تجمُّعاً استيطانياً وليس دولة للمواطنين الذين يعيشون داخل حدودها، ويعطى قانون العودة ليهود العالم الحق فى "العودة" إلى فلسطين المحتلة باعتبارها وطن أجدادهم بعد أن تركوها منذ الفى عام، وينكر هذا الحق على الفلسطينى الذى اضطر لمغادرة فلسطين منذ بضعة أعوام. كما يتبدى الشذوذ البنيوى فى علاقة الدولة الصهيونية بالمنظمة الصهيونية وبالوكالة اليهودية، فهى علاقة شاذة ليس لها نظير فى الدول الأخرى. وإسرائيل هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تتمتع بعضوية مشروطة بهيئة الأمم المتحدة، وشرط قبولها فى المنظمة الدولية هو إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين، وهو الأمر الذى لا توجد أية مؤشرات على تنفيذه فى المستقبل القريب.

ويتبدى شذوذ إسرائيل البنيوى بشكل واضح فى علاقتها بالفلسطينيين ومحاولتها الدائبة أن تحاصرهم مجازياً وفعلياً، وأن تفتت وجودهم القومى، وأن تضرب عليهم بيد من حديد، وأن تستغلهم باعتبارهم مادة بشرية وسوقاً للسلع. كما يتبدى فى علاقتها بالعالم العربى الذى تراه باعتباره "المنطقة"، أى مجرد مكان لا تاريخ له ولا اتجاه، ولذا فهى تعتبره سوقاً للسلع ومصدراً للمواد الخام والعمالة الرخيصة وحسب، ومن هنا تطرح السوق الشرق أوسطية بديلاً للسوق العربية المشتركة . لكل هذا تصبح محاولة التطبيع مع الدول العربية محاولة يائسة، ترتطم ببنية الكيان الصهيونى الشاذة غير الطبيعية، التى تتبدى فى سلوكة الشاذ غير الطبيعى .

٣ - تطبيع المصطلح
Normalization of Terminology

حاول الخطاب السياسى العربى أن يتعامل مع الظاهرة الصهيونية فى تفردها وعموميتها، فهى كانت بالفعل ظاهرة جديدة كل الجدة على الشعب العربى سواء فى فلسطين و فى خارجها : أن تأتى كتلة بشرية، تحت رايات الاستعمار البريطانى، وتدريجيا تبدأ فى احتلال الأرض إما بالقوة العسكرية أو من خلال شراء الأراضى إما مباشرة من بعض كبار الملاك أو بشكل غير مباشر من خلال وسطاء، ثم تتحول هذه الكتلة البشرية الغازية بين يوم وليلة إلى دولة تستولى على جزء كبير من فلسطين ثم تقوم بطرد السكان الأصليين، يساندها فى ذلك العالم الغربى بأسره .

ورغم أن التجربة الصهيونية الاستيطانية تجربة فريدة فى كثير من جوانبها إلا أن هناك جوانب منها مشتركة مع ظواهر أخرى، فهى جزء من الغزوة الاستعمارية التى أخذت شكل استعمار عسكرى مباشر في بعض البلدان العربية. فهناك التجربة المصرية والسودانية والعراقية واليمنية مع الاستعمار البريطانى، والتجربة السورية واللبنانية والمغربية والتونسية مع الاستعمار الفرنسى، والتجرية الليبية والصومالية مع الاستعمار الإيطالى. كما أن الغزوة الاستعمارية أخذت شكل الاستعمار الاستيطانى الفرنسى فى الجزائر، كما يُلاحَظ أن الاستعمار الإنجليزى أخذ شكل الاستعمار الاستيطانى الإحلالى فى جنوب السودان، حيث قام بنقل (ترانسفير) السودانيين المسلمين حتى يجعل الجنوب خالياً من العرب (بالألمانية : أراب راين (Arabrein

وفى محاولة الخطاب العربى وصف الغزوة الصهيونية فى خصوصيتها وعموميتها، كان أول مصطلح استُخدم هو «إسرائيل المزعومة »، وهو مصطلح ليست له أية مقدرة تفسيرية، وكان تعبيراً عن عدم التصديق العربى لما حدث. كما ظهرت مُصطلَحات مماثلة أخرى مثل «شُذّاذ الآفاق»، وهو مُصطلَح استخدم فى فلسطين للإشارة إلى المستوطنين الصهاينة ، يحاول التهوين بشكل مبالغ فيه من ظاهرة

الغزو الصهيونى، وإن كان قد نجح فى رصد ظاهرة عدم التجذر التى تسم المجتمعات الاستيطانية. ولكن مع منتصف الخمسينيات بدأ الحديث عن إسرائيل باعتبارها "مخلب القط " للاستعمار الغربى (وهو مصطلح استمر فيما بعد فى عبارة "إسرائيل كحاملة طائرات")، وباعتبارها "قاعدة الاستعمار الغربى" وهى مصطلحات تقترب إلى حدٍّ ما من الطبيعة الوظيفية للظاهرة الصهيونية .

ولا يزال الخطاب العربى يتأرجح فى محاولته تسمية دولة إسرائيل فهى أحياناً «الدولة الصهيونية» وأحياناً أخرى «الدولة اليهودية»، وهناك من يشير إليها أحياناً بأنها «الدولة العبرية» ونحن لا نستخدم اصطلاح «الدولة اليهودية» (إلا إذا اضطرنا السياق لذلك) لأنه ليست له قيمة تصنيفية أو تفسيرية ؛ إذ لا يمكن تفسير سلوك إسرائيل استناداً إلى التوراة والتلمود. كما أننا لا نستخدم مصطلح «الدولة العبرية» لأنه لا دلالة له، ولأنه يحاول تطبيع الدولة الصهيونية إذ أنه يفترض وجود ثقافة عبرية وهوية عبرية ذات مصالح قومية محددة، وهو أمر خلافى إلى حدٍّ كبير. فالدولة الصهيونية لاتزال تُدعى أنها دولة كل يهود العالم، وهى ولا شك مجتمع مهاجرين غير مستقر ولم تتحدد هويته بعد، وهى لا تزال تشغل الأرض الفلسطينية وترفض عودة الفلسطينيين. ومن ثم فنحن نشير لإسرائيل باعتبارها «الدولة الصهيونية». «الصهيونية » هنا تعنى «الاستعمار الاستيطانى الإحلالى الصهيونى»، كما نشير لها بأنها «الدولة الوظيفية » أو «الدولة الصهيونية الوظيفية».

وهناك بعض المصطلحات مثل «فلسطين المحتلة» – «التجمُّع الصهيونى» – «الكيان الصهيونى» ذات مقدرة تفسيرية عالية لأنها لاتعكس الإدراك العربى للظاهرة الصهيونية وحسب، وإنما تقترب إلى حدٍّ كبير من بنية الكيان الصهيونى .

٤ – فلسطين المحتلة

Occupied Palestione

«فلسطين المحتلة» مصطلح يتواتر فى الخطاب السياسى العربى يؤكد أن وضع فلسطين لم يتقرر بعد، وأنها لم تصبح بعدُ إسرائيلَ بشكل نهائى، وأن الأمور لم يتم تسويتها وتطبيعها، وأن فلسطين فى نهاية الأمر ليست " أرضاً بلا شعب" كما كان الزعم. لكل هذا فنحن نرى أن مُصطلَح «فلسطين المحتلة» مصطلح منفتح يترك الباب مفتوحاً أمام الجهاد والاجتهاد، فهو لا يقبل الأمر الواقع والوضع القائم (المبنى على

الظلم) باعتباره نهائياً. وبعدعام ١٩٦٧ تشير كثير من الأدبيات العربية إلى «فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨» مقابل «فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧».

وكثير من الصهاينة يدركون هذا البُعد فى الخطاب العربى. فقد صرح مناحم بيجين وغيره أنه لو كانت «إسرائيل» هى «فلسطين» لفقدت الصهيونية صفتها باعتبارها حركة تحرُّر وطنى للشعب اليهودى وأصبحت عملية استعمار واغتصاب. وعلى كلٍّ، فقد قررت الدولة الصهيونية من جهتها ألا تغلق «الاجتهاد» تماماً، ولذا فهى لم تحدد حدودها حتى الآن، وهى مستمرة بكل إصرار فى إقامة المستوطنات للصهاينة والمعازل للفلسطينيين. أى أنها بمعنى من المعانى رفضت تطبيع ذاتها، مما يعنى أن الحلبة لا تزال مفتوحة لكل أشكال الحوارالأخرى بما فى ذلك الحوار المسلح. ومن ثم، فإسقاط مثل هذا المصطلح هو سقوط فى عملية التطبيع المعرفى والمصطلحى.

٥ ـ التجمع الصهيونى
Zionist Aggregate

«التجمُّع الصهيونى» مصطلح يُستخدَم فى الخطاب التحليلى العربى للإشارة إلى الدولة الصهيونية التى تشير إلى نفسها أحياناً بأنها «الدولة اليهودية». والمصطلح يحاول أن يؤكد حقيقة أن إسرائيل لا تشكل مجتمعاً عادياً متماسكاً متجانساً يتسم بقدر معقول من الوحدة، وإنما هو مجرد تجمُّع من مجموعات بشرية تتصارع فيما بينها إلا عند مواجهة عدو خارجى (فهى أقرب إلى التركيب الجيولوجى التراكمى). والإشارة إلى الدولة الصهيونية باعتبارها «تجمعاً» لايشكل سباً لها أو تقليلاً من شأنها، وإنما هو محاولة جادة للتعرف على السمات الأساسية لهذا الكيان الغريب الذى له صفاته الخاصة (وأحياناً المتفردة).

٦ـ الكيان الصهيونى
Zionist Entity

«الكيان الصهيونى» مصطلح يستخدم فى الخطاب السياسى العربى للإشارة إلى الدولة الصهيونية وهو مصطلح له مقدرة تفسيرية عالية لأنه منفتح، فهو لايقبل القول بأن ما أُسس على أرض فلسطين هو مجتمع يهودى متجانس تحكمه دولة عادية، وإنما

هو كيان كائن لم تتحدد صفاته بعد. أى أن المصطلح هنا يؤكد الشذوذ البنيوى لهذا الكيـان الذى غُرس فى فلسطين المحتلة غـرسـاً وفُرض عليـهـا فـرضـاً. ولأنه كيـان «مشتول» لا جذور له، فإنه يمكن أن «يُنفَض» كما يُنفَض الغبار (ومن هنا كان مصطلح «الانتفاضة»).

واستـخدام كلمة «كيـان» ـ شـأنهـا شـأن عـبـارتى «فلسطين المحتلة» و«تجمُّع» ـ لايتضـمن أى شكل من أشكال السب أو القدح، وإنما هو مـحـاولة جادة للابتـعـاد عن القـوالب اللفظية الجـاهزة، التى تسـقط فى العـمـوميـات وتتـجـاهل المنحنى الخـاص للظاهرة، وتقوم بالتطبيع المعرفى للظاهرة الصـهيونية. واسـتـخدام هذه المصطلحات لايعنى أن «الكيان الصـهيونى» أقل قوة أو بطشـاً أو خطورة من الناحية العسكرية من التعبير بـ «الدولة الصـهيونية»، فـجـمـاعـات المغول التى اكتـسـحت العـالم الإسـلامى وأسقطت الخـلافة وهدَّدت العالم المسيحى، لم تكن تشـكل دولة ولا حتى قبـائل رعوية فى بقعة مـحـددة، وإنما كانت ـ كمـا يبدو ـ فـائضـاً سكانيـاً ضـخمـاً قذفت به سـهول منغوليا الشاسعة عبر موجات متكررة، فاكتسـحت الصين والهند ثم العالم الإسلامى. وكان هذا الفـائض يتسم ببراعة عسكرية فـائقة، ومقدرة على إدارة الحـرب النفسـية، وكان يحمل رغبة صـادقة فى تحطيم الحـضـارة الإنسـانية باعتبارها تعبيراً عن شكل من أشكال الانحلال.

والكيان الصـهيونى هو أيضـاً شـىء فريد: فائض بشرى أرسلته أوربا إلى فلسطين، بعد أن قامت بتسليحه ودعمه وتغطيته عسكرياً وسـياسـياً واقتصـادياً. وأوربا تشـكيل حضـارى أحرز تقدمـاً تكنولوجيـاً ضـخمـاً تملَّك ناصـيته المسـتوطنون الصـهاينة، كما تملَّكوا ناصـية أساليب الإدارة المتقدمـة التى طوروها. ولكن كل هذا لايجـعلهم مجتمـعاً أو دولة «عـادية»، ومن هنا تأتى دلالة استخدام مصطلح مثل «تجمُّع» أو «كيان».

٧ـ المشروع الصـهيونى

Zionist Project

«المشروع الصـهيونى» عبـارة تتردد فى الخطاب السيـاسى العربى يُقصـد منهـا أحيـانـاً المخطط الصـهيونى لاحتـلال فلسطين وطرد أهلهـا أو الهيمنة عليهم، ويُقصـد منها أحياناً أخرى «المؤامرة اليهودية» التى لا تنتهى.

ويمكن القول بأن المشروع الصهيونى هو النموذج المثالى الصهيونى (ماينبغى أن يكون). وتتبدى من خلال هذا المشروع كل سمات الشذوذ البنيوى التى اتضحت فيما بعد من خلال الأداء الصهيونى. فالمشروع يتحقَّق فى الزمان والمكان، الأمر الذى يعنى أن التناقُض بين ما ينبغى أن يكون وبين ما يتحقَّق بالفعل يأخذ فى الظهور، ومع هذا يردد كثير من العرب أن المشروع الصهيونى خطة محكمة آخذة فى التحقُّق بحذافيرها، وأن هرتزل على سبيل المثال تنبأ بأن الدولة الصهيونية ستُقام بعد خمسين عاماً وأن نبوءته قد تحققت بالفعل. وما يغفل عنه الكثيرون أن عدد النبوءات الصهيونية التى لم تتحقق يفوق كثيراً عدد ما تحقَّق منها ! فقد تنبأ هرتزل عام ١٩٠٤ أن ألمانيا هى التى ستأخذ الدولة الصهيونية تحت جناحيها، أى قبل أن تأخذ الدولة النازية أعضاء الجماعات اليهودية فى أوربا تحت جناحيها (على طريقتها الجهنمية الخاصة !) بثلاثين عاماً. وقد تنبأ بن جوريون بأنه بعد إنشاء الدولة بسنتين أو ثلاثة ستستسلم كل الدول العربية وستوقِّع معاهدات سلام مع الدولة الصهيونية، وأن الفلسطينيين العرب سيتركون أراضيهم بحثاً عن الثروة فى بقية العالم العربى .

ولكن الأهم من هذا كله هو التناقضات العميقة التى ظهرت، والتى زادت من الشذوذ البنيوى للكيان الصهيونى. فقد خطط الصهاينة على سبيل المثال لتأسيس دولة يهودية خالصة كان من المفروض أن يُهْرَع إليها كل يهود العالم أو غالبيتهم. وكان المفروض أن تكون هذه الدولة دولة مستقلة تعتمد على نفسها وتشفى اليهود من طفيليتهم. وغنىٌ عن القول أن شيئاً من هذا لم يحدث، وأن أعضاء الجماعات اليهودية لايزالون فى أوطانهم الأصلية الحقيقية، فهم ليسوا شعباً بلا أرض، وهم يتساءلون الآن عن يهودية الدولة اليهودية، و«الأسوأ» من هذا أن العرب لايزالون يقاومون هذا الكيان الصهيونى ومشروعه، فيفضحونه ويكشفون شذوذه البنيوى ويؤكدون أن فلسطين ليست أرضاً بلا شعب .

٨ ـ التحدى الحضارى الإسرائيلى

Israeli Cultural Challenge

«التحدى الحضارى الإسرائيلى» عبارة دخلت الخطاب السياسى العربى، ومفادها أن التجمُّع الصهيونى يُمثِّل كياناً حضارياً مستقلاً متفوقاً على الكيان

الحضارى العربى، وأن هزيمة العرب العسكرية هى نتيجة تخلُّفهم الحضارى، وأن العرب لو حَذَوا حذوَ الصهاينة لحققوا الانتصار عليهم.

والتحدى الحضارى هو عملية تغطى كل جوانب الحياة حيث يطرح الآخر رؤية للحياة وأسلوباً لتنظيمها يحققان نجاحاً على جميع المستويات، ويحققان كل تطلعات الإنسان كإنسان. فالتحدى الحضارى ليس مجرد إنجاز تكنولوجى أو تفوُّق عسكرى إلا اضطررنا للقول بتفوق التتار على العرب لأنهم عبروا نهر دجلة على جسرٍ من المخطوطات العربية، وللقول بتفوق البرابرة على الرومان لأنهم نجحوا فى غزو روما وتحطيم منجزاتها الحضارية. ولكن من الصعب قبول مثل هذا المعيار، لأنه معيار أحادى يتجاهل الوجود الإنسانى المُركَّب، ولأن التفوق العسكرى فى نهاية الأمر ليس هو التفوق الحضارى. وقد تحوَّل هذا العنصر الوحيد إلى أن يكون المعيار الأوحد بتأثير الحضارة الغربية ذات الرؤية الداروينية الصريحة، التى منحته مركزية لا يستحقها.

ولعلنا لا ندَّعى حين نقول إن التحدى الحضارى للأمة التى أنتجت ابن خلدون والمتنبى والغزالى وابن رشد والحسن بن الهيثم والبيرونى.. ينبغى أن يأتى من شعب أو حضارة أنتجت أرسطو وماركس مثلاً، وألا يهبط إلى مستوى بناء حضارى متخلف تسيطر عليه الأفكار الجيتوية ويتزعمه بن جوريون الذى يتصور أنه يحدد سياسة بلاده الخارجية وتحركات جيوشه حسب رؤى العهد القديم وأقوال التلمود وأساطير الأولين، بشرط أن يكونوا من اليهود !

٩ - السلام الشامل الدائم

Comprehensive Permanent Peace

«السلام الشامل الدائم» عبارة تصف السلام الحقيقى، وهو سلام دائم لأنه شامل يتوجه لجميع القضايا، ويهدف إلى تغيير حقيقى فى بنية العلاقات بين طرفين لإزالة أسباب التوتر بينهما، فيسود العدل، ويرى الطرفان أن لهما مصلحة فيه. أما السلام الجزئى فهو سلام غير دائم، مبنى على الظلم، لا يحاول تحقيق العدل من خلال إعادة صياغة بنية العلاقات وإنما هو مجرد ترجمة لموازين القوى القائمة فى أرض المعركة. ولذا، فإن أحد الطرفين يقبله إذعاناً وليس اقتناعاً، ويظل يتحيَّن الفرص لإعادة تعديل

موازين القوى لصالحه (كما يقول الأستاذ هيكل) كما حدث فى ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ومعاهدة فرساى. وهذا السلام الأخير سلام مبنى على الحرب، ولذا فهو فى واقع الأمر حالة من اللاحرب واللا سلم، قد يختلف عن «وقف إطلاق النار» الذى عادةً ما يستند إلى اتفاقية مؤقتة تتيح للأطراف المتحاربة فرصة لالتقاط الأنفاس ولإنجاز أمور إنسانية أساسية مثل قضاء عيد أو السماح بمرور معدات طبية أو مرور بعض الأطفال، ولكنها لا تختلف كثيراً عن «الهدنة» التى تستند إلى اتفاقية لا ترقى إلى مستوى حالة السلام، ولكنها فترة يرى فيها كلا الطرفين (أو أحدهما) أنهما يمكنهما الإبقاء على حالة الحرب إلى أن تسنح لهما فرصة لتحقيق انتصار عسكرى والسلام الشامل الدائم فى الشرق الأوسط لابد أن يتسم بنفس السمات، ولذا؛ فلابد وأن يتوجه لكل من المسألة الإسرائيلية والمسألة الفلسطينية ويجد حلولاً لهما.

ونحن نذهب إلى أن مثل هذه الحلول غير ممكنة داخل الإطار الصهيونى، الاستيطانى / الإحلالى. فهو إطار يُولِّد الصراع بطبيعته لأنه ينكر حقوق الفلسطينيين الذين طردوا من بلادهم، ويؤكد حق «يهود العالم» فى الأرض الفلسطينية. والحل الوحيد الممكن يقع خارج هذا الإطار، حين يقوم أعضاء التجمُّع الاستيطانى الصهيونى بنزع الصبغة الصهيونية الاستيطانية / الإحلالية عن الدولة الصهيونية.

١٠ ـ الاعتدال والتطرف: المنظور الصهيونى

Moderation and Extremism: Zionist Perspective

«الاعتدال السياسى» هو أن يأخذ المرء موقفاً ينزع نحو المهادنة وتقديم التنازلات فى سبيل تحقيق قدر من العدل والسلام. و «التطرف»، فى المصطلح السياسى، هو أن يتمسك المرء بموقفه وبالحد الأقصى، لا يحيد عنه ولا يقبل تقديم أية تنازلات ولا يتهاون فيه، بغض النظر عن الأوضاع والملابسات المحيطة بالموقف. ومصطلحا «الاعتدال» و«التطرف» شائعان فى الخطاب السياسى، فيوصف إنسان بأنه «متطرف» وآخر بأنه «معتدل» حسب ما يتخذانه من مواقف. ولكن ما يغيب عن الكثيرين أن التطرف والاعتدال يُقاسان بالنسبة إلى مرجعية ما كامنة، فما هو متطرف من وجهة نظر قد يكون اعتدالاً من وجهة نظر أخرى، وكل شىء يعتمد على المرجعية. وما يفوت من يستخدمون مثل هذه

المصطلحات هو أن أسباب الصراع (فى المجال السياسى والاقتصادى) ليست لهما علاقة كبيرة بما يُسمَّى «العُقَد النفسية والتاريخية»، وإنما هى فى العادة أسباب بنيوية، لصيقة بالعلاقات التى توجد فى الواقع. وطالما ظلت البنية الشاذة فإن الصراع يظلُّ قائماً. أى أن القضية ليست لها علاقة كبيرة، فى كثير من الأحوال، بالحالة النفسية أو بمدى استعداد أحد أطراف الصراع لإظهار الاعتدال والتسامح. ولذا فنحن نذهب إلى أن مصطلحى «الاعتدال» و «التطرف» ليست لهما مقدرة تفسيرية عالية فى مجال السياسة والاقتصاد.

والأمر لا يختلف كثيراً فيما يتعلق بالصراع العربى / الصهيونى. فسبب الصراع هو الشذوذ البنيوى للكيان الصهيونى الاستيطانى الإحلالى، الذى تأسس على الظلم، وتم تحقيقه من خلال الإرهاب والقمع. وطالما ظلت البنية الصهيونية الشاذة، فإن الصراع العربى الصهيونى سيظل. ومع هذا تم استخدام المصطلحين بطريقة فيها قدر كبير من السيولة وعدم التحدد. وهذا يعود إلى أن المرجعية الصهيونية والحد الأقصى الصهيونى والمسلَّمات النهائية (تأسيس الدولة اليهودية الخالصة الخالية من العرب) أخفيت تماماً عن الأنظار، وأن شعارات مثل «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» و «إرتس يسرائيل التى تمتد من النيل إلى الفرات» أو «على ضفتى الأردن» و«تجميع المنفيين فى إرتس يسرائيل» و«نفى (أى تصفية) الدياسبورا» قد تم إخفاؤها عن طريق استخدام الخطاب الصهيونى المراوغ الآليةَ الصهيونية لإخفاء المرجعية. ولهذا نجد أن ما يوصف بالتطرف يوماً يوصف بالاعتدال يوماً آخر.. وهكذا، إلى أن اقترب «الاعتدال الصهيونى» من المسلَّمات الصهيونى النهائية والحد الأقصى الصهيونى. فبعد إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ كان الصهاينة الذين يطالبون بإنشاء دولة صهيونية يعدون «متطرفين» لأن الحد الأقصى المعلن آنذاك هو «وطن قومى» وحسب. ولكن هؤلاء المتطرفين أصبحوا معتدلين فى الأربعينيات حينما أصبح الشعار الرسمى للحركة الصهيونية هو إنشاء دولة صهيونية وقبول قرار التقسيم والعيش مع العرب فى سلام! ومن ثم كان الحديث عن كامل أرض إسرائيل وطرد العرب هو عين التطرف الصهيونى. ولكن بعد أن «قضمت» إسرائيل أراضى تتجاوز حدود الأرض المعطاة لها بمقتضى قرار التقسيم وبعد أن تم طرد أقصى ماأمكنهم من العرب، أصبح الاعتدال الصهيونى هو تجاوز قرار التقسيم والقبول بالأمر الواقع والتمسك

بحدود ١٩٤٨ وببقاء الفلسطينيين خارج ديارهم. وبعد حرب ١٩٦٧ كان التطرف الصهيونى هو التمسك بكل أو بعض الأراضى المحتلة بعد عام ١٩٦٧ وبإقامة المستوطنات فيها. وبالتدريج، تغيَّر مثل هذا الموقف الأخير، وأصبح الاعتدال هو قبول الأمر الواقع وتجميد المستوطنات مع الاستمرار فى «تسمينها» (أى توسيعها).

وينطبق الموقف نفسه على العرب بطبيعة الحال. فالمعتدل، من وجهة النظر الصهيونية، هو الذى يقبل الموقف الصهيونى «المعتدل» ويتغيَّر بتغيُّره. فالعربى الذى كان يقبل استيطان الصهاينة دون إنشاء دولة كان يُعدُّ (منذ عام ١٩١٧ وحتى الأربعينيات) معتدلاً، ولكنه أصبح متطرفاً بعد ذلك التاريخ. وكل من يقبل إنشاء الدولة اليهودية وقرار التقسيم عام ١٩٤٨ كان يُعدُّ عربياً معتدلاً، ولكن بعد إنشاء الدولة أصبح مثل هذا الشخص متطرفاً. وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٦٧ حين أصبح الاعتدال العربى هو الرضوخ لحدود إسرائيل بعد عام ١٩٦٧ وأصبح تطبيق قرار ٢٤٢ أو حتى تقليل المستوطنات فى الضفة الغربية هو عين التطرف العربى. ومما تجدر ملاحظته أن الحفاظ على أمن إسرائيل هو دائما الحجة التى تُساق لتحديد مفهومى الاعتدال والتطرف، وأن مواصفات هذا الأمن تحدده الدولة الصهيونية دائماً. ويُلاحظ فى جميع الأحوال، غياب مفهوم العدل، والتآكل التدريجى لمفهوم المقاومة، إلى أن أصبح أى شكل من أشكال «المقاومة» شكلاً من أشكال التطرف والإرهاب. وقد تسلَّل المصطلحان بمرجعيتهما الصهيونية إلى الخطاب السياسى العربى، وأصبح يُشار إلى «العمليات الفدائية» بأنها «عمليات انتحارية».

ويمكننا أن نقول إن المرجعية النهائية للعقل الصهيونى هى الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة (دولة وظيفية يقيمها الغرب ويدعمها، ويضمن لها البقاء، وتقوم هى على خدمة مصالحه وتجنيد يهود العالم وراءها). وهى صيغة استعمارية استيطانية تنفى العرب، وتُسقط فكرة العدل تماماً، وتستند إلى القوة الذاتية للصهاينة وإلى الدعم الإمبريالى الغربى. هذا هو الأساس وما عدا ذلك تفاصيل وآليات و«ديباجات». فحدود الدولة، وحجم الاستيطان، وكثافته.. كلها آليات وتفاصيل خاضعة للاعتبارات الاستراتيجية الغربية وللملابسات الخاصة المحيطة بالدولة الاستيطانية والعملية الاستيطانية.

١١ ـ الحدود التاريخية والأمنية والاقتصادية
Historic, Secure and Economic Borders

تتسم الصهيونية بأنها أيديولوجية تنفى كلاً من التاريخ والجغرافيا. فهى تحاول إلغاء تواريخ الجماعات اليهودية فى العالم وتاريخ الفلسطينيين فى فلسطين حتى تحقق الترانسفير المطلوب: نقل اليهود من المنفى إلى فلسطين، ونقل الفلسطينيين من فلسطين إلى المنفى. ولكن الترانسفير لايتم فى الزمان وحسب، وإنما يتم فى المكان (الجغرافيا) أيضاً. وإذا كانت الصهيونية قد ألغت الحدود التاريخية فهى قد ألغت أيضاً الحدود الجغرافية، حتى يمكن القول بأن إسرائيل دولة «بلا حدود»، فحدودها تقف مؤقتاً عند آخر موقع عسكرى تحتله بانتظار أن تتقدم إلى موقع جديد. وقد استخدمت إسرائيل نظرية الأمن كوسيلة للتوسع من أجل الوصول إلى «الحدود الآمنة»، ولذلك لا يوجد دستور للدولة ينص على حدود سياسية معينة. وبصفة عامة لم يكن الإسرائيليون، إجمالاً، راضين عن حدود الكيان الصهيونى، كما حددتها اتفاقات الهدنة لسنة ١٩٤٩، وهى الاتفاقات التى جاءت أصلاً لتكرس الأمر الواقع الذى فرضته القوة الصهيونية. ويميِّز موشيه ديان بين «الحدود الدائمة» وبين «الحدود التى تضمن السلامة» أو «الحدود الآمنة»، فالسلام يعتمد على «نوع الحدود وطبيعتها»، وهو ما يتفق فى التمييز الصهيونى بين «خطوط الهدنة وخطوط وقف إطلاق النار من جهة» و بين الحدود «الطبيعية» و«الآمنة» و«التاريخية» من جهة أخرى. فالصهيونية نظرت إلى الأراضى العربية التى تطمع فى السيطرة عليها باعتبارها «الأجزاء المحتلة من الوطن القومى اليهودى» أو «الأقسام المتممة لأرض إسرائيل التاريخية»، وما إن استتب الأمر للعدوان وتوطدت أقدام الاحتلال حتى تم الترويج للحديث عن «المناطق المحررة»، والمطالبة بتأمين حدود طبيعية تضمن السلام وتسد الحاجات الاقتصادية.

١٢ ـ عيد الاستقلال
Independence Day

«عيد الاستقلال» ترجمة لعبارة «يوم هاعتسماءوت» العبرية. و«عيد الاستقلال» هو العيد الذى يحتفل فيه الإسرائيليون بإنشاء الدولة الصهيونية (يوم ١٤ مايو حسب التقويم الميلادى، ٥ آيار حسب التقويم اليهودى). ويشير إليه الفلسطينيون بكلمة

«النكبة»، باعتبار أنه ذكرى ما حل بهم من تشريد نتيجة اغتصاب المستوطنين الصهاينة وطنهم. وإذا كان يوم ٥ آيار يوم جمعة أو سبت، فإن الاحتفال بالعيد يكون يوم الخميس الذى يسبقه ويكون عطلة رسمية فى إسرائيل. وتبدأ احتفالات العيد على جبل هرتزل فى القدس بجوار مقبرته. ويبدأ المتحدث باسم الكنيست الاحتفال بأن يوقد شعلة، ثم اثنتى عشرة شعلة أخرى رمزاً للقبائل العبرية الاثنتى عشرة، ثم يسير حَمَلة المشاعل فى استعراض. وكان الاستعراض العسكرى للقوات المسلحة الإسرائيلية، والذى كانت تُعرَض فيه أحدث الأسلحة التى حصلت عليها الدولة، أهم فقرات الاحتفال، ولكنه توقَّف بعد عام ١٩٦٨. وقد حل محله الآن استعراض عسكرى لفصائل الجدناع. وتُقام احتفالات رياضية وراقصة، كما تُمنَح جوائز إسرائيل فى ذلك اليوم. وينتهى الاحتفال بإطلاق المدافع، على أن يكون عدد الطلقات مساوياً لعدد سنى الاستقلال، ولهذا فقد أُطلقت أربعون طلقة عام ١٩٨٨.

ويسبق عيد الاستقلال، يوم الذكرى، وهو يوم إحياء ذكرى الجنود الذين سقطوا فى حرب ١٩٤٨. وكانت إسرائيل قد أعدت لاحتفالات ضخمة للذكرى الأربعين لإنشاء الدولة، كما أعدت لعمل إعلامى ضخم. ولكن اندلاع الانتفاضة الأولى فوَّت الفرصة على الصهاينة، إذ أن الصحافة العالمية ركزت اهتمامها على الفلسطينيين، وعلى إبداعهم فى نضالهم اليومى ضد الدولة الصهيونية.

١٣ - يوم الذكرى
Remembrance Day

«يوم الذكرى» هو ترجمة لعبارة «يوم هازيخارون» العبرية. و هو يومٌ يقيمه المستوطنون الصهاينة قبل يوم ٥ آيار، وهو اليوم الذى يحتفلون فيه بعيد الاستقلال. ويكرِّس هذا اليوم لذكرى الجنود الذين سقطوا فى حرب ١٩٤٨ والحروب التى تلتها.

ويبدأ هذا اليوم بإطلاق صفارة إنذار فى كل أنحاء الدولة فى مغرب اليوم السابق، فتُنكَّس الأعلام، وتُغلَق دور اللهو بأمر القانون، وتُقام الصلوات فى المعابد اليهودية، وتُوقَد الشموع فيها، كما تُعلن صفارات الإنذار فى الصباح عن دقيقتى حداد يتوقف فيهما النشاط تماماً فى الدولة الصهيونية بكاملها. ثم تُطلَق صفارة إنذار أخرى

للإعلان عن انتهاء اليوم وبداية عيد الاستقلال. ويُتلى فى الصلوات التى تُقام فى ذلك اليوم المزمور (١٤٤) الذى فيه: «مباركٌ الربُّ صخرتى، الذى يُعلِّم يدى القتال وأصابعى الحرب». وقد لاحَظ الفيلسوف الدينى الإسرائيلى اليهودى يشياهو لايبوفيتش أن الاحتفال بيوم الذكرى يزداد حدة عاماً بعد عام لأن قائمة أسماء الضحايا تزداد يوماً بعد يوم.

١٤ ـ الساميُّون : الشعوب الساميَّة
Semites ; Semitic Peoples

النسبة فى كلمة «ساميون» إلى «سام» الابن الأكبر لنوح. والمُصطلَح يُطلَق على مجموعة من الشعوب عاشت فى رقعة كبيرة من الأرض (تضم شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين) وتحدثت بمجموعة من اللغات المتقاربة هى اللغات السامية. وتشمل التسمية شعوباً مثل الآشوريين والبابليين والآراميين والكنعانيين والفينيقيين والعموريين والمؤابيين والأدوميين والعمونيين والعبرانيين، كما تشمل جزءاً كبيراً من سكان إثيوبيا فيما بعد. وفى الوقت الحاضر، يمثلهم العرب (من الناحية الأساسية).

وينتمى العبرانيون، أى اليهود القدامى، إلى الشعوب السامية وليس إلى مجموع اليهود بوجه عام، ذلك أن أعداداً كبيرة من الأفراد والقبائل غير السامية مثل الخزر قد تهوَّدت.

ويكاد يُجمع الباحثون على أن شبه جزيرة العرب هو الوطن الأصلى للساميين، فمنها خرجت هجرات متتالية إلى بلاد الرافدين حتى جبال إيران وإلى أرمينيا ومنطقة الهلال الخصيب. وكانت هجراتهم الجماعية على فترات متباعدة، أولاها هجرة الأكاديين الذين عُرفوا بالبابليين نحو عام ٣٥٠٠ ق. م، ثم هجرة الآراميين بين عامى ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق. م، وآخرها هجرة العرب مع الفتوحات الإسلامية فى القرن السابع الميلادى.

وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن المنطقة الشمالية من الصحراء السورية هى الوطن الأصلى للساميين. كما يُحتَمل أن يكون بعض الشعوب السامية، كالأكاديين، سكنوا فى بلاد الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ، وكذلك سكان مارى وتل خوبير ومملكة إيبلا.

وثمة روابط عديدة بين الساميين، أهمها الرابطة اللغوية. ولكن هذه الرابطة ليست الرابطة الوحيدة، إذ ثمة تشابه فى الملامح الإثنية. كما كان يوجد تشابه فى الأنظمة الاجتماعية والأنساق الدينية بين الجماعات السامية البدوية البسيطة. فالأسرة هى الوحدة الأساسية، والسلطة العليا سلطة الأب، والميراث للذكور، وتعدد الزوجات مسموح به. وتتكون القبيلة من مجموعة أسر تُوحِّد بينها صلات القربى والمصالح المشتركة، كما أن حقوق الملكية بدائية للغاية وتعمل على أن تسود فكرة الجماعة. ولا تُوجَد حكومة بالمعنى الكامل للكلمة، ولكن هناك زعيم يختاره مجلس من شيوخ القبيلة لصفات شخصية فيه إلى جانب أنه مقدَّم بين أنداده. والسلطة المحدودة التى يسبغها عليه المجلس مؤقتة وقد تُنزَع منه. وهو يتولى القضاء، على أن يحتكم إليه المتنازعون طواعيةً واختياراً.

واقتصاد القبيلة بدوى يعتمد على الرعى أو على الزراعة الطبيعية أو التجارة البدائية. وتتسم الفنون بالبساطة نفسها. أما عن المؤسسات الدينية، فكان الساميون البدو يؤمنون بآلهة محلية كثيرة تسكن الأشجار والنباتات والصخور والمياه. كما أن نفوذ الإله كان مقصوراً على قبيلته ولا يمتد إلى خارج حدودها، وقد كان هذا الإله يقوم منها مقام الزعيم الأعلى والقاضى الأكبر، وكانت تربطه قرابة الدم بأفراد قبيلته. ولم يكن لهذه الآلهة مقام ثابت، وإنما كانت تُعبَد فى أماكن مختلفة. والإله إيل أهم الآلهة السامية، ولعله كان فى الأصل إله السماء، والإله بعل قد يكون فى الأصل إله المطر المخصب، وعشترت ربما كانت فى الأصل نجمة الصباح (كوكب الزهرة) ولكنها اعتُبرت فيما بعد الأرض الأم. وقد انتشرت أيضاً بينهم عبادة الشمس والقمر.

وتنم أشكال الطقوس المستعملة بين الساميين عن الأصول البدوية للخطاب الدينى للرموز الدينية. فعيد الفصح العبرى (الذى صار بقيام المسيح من القبر عيد القيامة، أهم عيد مسيحى) يميِّزه ذبح الحَمَل كقربان وأكل خبز بلا خميرة، وهما طقسان يرجعان إلى ظروف الحياة فى البادية حيث فرض التنقل الدائم أكل الخبز بلا خميرة، كما أن الحمل يرمز إلى ما كان يفعله الرعاة من تقديم باكورة ما تلد قطعانهم كقرابين للآلهة.

وغنىٌ عن القول أن هذه صورة مثالية مجردة لبعض المؤسسات الاجتماعية والدينية للساميين وهم لا يزالون فى الفترة الأولى من تجوالهم. ومع حفاظهم على السمات الأساسية كالتضحية بالقرابين، فإن هذه المؤسسات تطورت فى المراحل اللاحقة فظهرت مؤسسة الملكية والتفاوت الاجتماعى والأرستقراطية المركبة. وظهرت نظم اقتصادية تجاوزت الأصول البدائية، فطوَّر الساميون التجارة وكانوا دائماً حلقة الوصل بين الممالك الكبرى القديمة فى المنطقة. كما برعوا فى الملاحة، فكانوا أول من ارتاد البحر وطوَّر العديد من الصناعات، وظهرت بينهم آداب وفنون ذات طابع إنسانى شامل. بل وتطورت العقائد الدينية وشعائرها، فظهر الكهنوت والنبوَّة، ووصل مفهوم التوحيد إلى مستويات عالية من الرقى وصلت ذروتها فى النسق الإسلامى.

ويتسم الساميون، حتى وهم بعد فى أدنى مراحل البداوة، بمقدرتهم الفائقة على الامتزاج بالعناصر البشرية المحلية فى الأماكن التى غزوها واستوطنوها واستوعبوا حضارتها دون أن يتخلوا عن سمات حضارتهم الأولى. وتاريخ العبرانيين يتراوح بين عدد من الثنائيات المتناقضة من القيم: البساطة والتركيب، والمساواة والتفاوت، والجماعية والفردية. وقد تجلى هذا فى الحضارة العبرانية فى الموقف المتناقض من مؤسسة الملكية العبرانية، وفى الصراع بين الأنبياء والكهنة، وبين التوحيد والحلولية.

ويُعَدُّ العرب أكثر الجماعات السامية قرباً مما يمكن تسميته «الخطاب الحضارى السامى الأصلى». كما أن اللغة العربية أقرب اللغات الحية إلى السامية الأصلية. ومع هذا ينصرف مُصطلَح «معاداة السامية» إلى اليهود دون سواهم !.

ـ معاداة السامية

Anti - Semitism

«معاداة السامية» ترجمة شائعة للمُصطلَح الإنجليزى «أنتى سيميتزم». ونستخدم فى الموسوعة عبارة «معاداة اليهود» للإشارة إلى هذه الظاهرة.

ـ معاداة اليهود (المصطلح)

Anti - Semitism (Terminology)

«معاداة اليهود» ترجمة للمفهوم الكامن وراء العبارة الإنجليزية «أنتى سيميتزم». والمعنى الحرفى أو المعجمى للعبارة هو: «ضد السامية» وتُترجم أحياناً إلى

«اللاسامية». وكان الصحفى الألمانى يهودى الأصل ولهلم مار (١٨١٨ ـ ١٩٠٤) أول من استخدم هذا المُصطلَح عام ١٨٧٩ فى كتابه «انتصار اليهودية على الألمانية ـ من منظور غير دينى». وقد صدر الكتاب بعد المضاربات التى أعقبت الحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) والتى أدَّت إلى دمار كثير من المموِّلين الألمان الذين ألقوا باللوم على اليهود. ولو أُخذت العبارة بالمعنى الحرفى، فإنها تعنى العداء للساميين أو لأعضاء الجنس السامى الذى يشكل العرب أغلبيته العظمى، بينما يُشكك بعض الباحثين فى انتماء اليهود إليه. ولكن المُصطلَح، فى اللغات الأوربية، يقرن بين الساميين واليهود ويوحد بينهم، وهذا يعود إلى جهل الباحثين الأوربيين فى القرن التاسع عشر بالحضارات الشرقية، وعدم تكامل معرفتهم بالتشكيل الحضارى السامى أو بتنوع الانتماءات العِرْقية والإثنية واللغوية لأعضاء الجماعات اليهودية.

وهذا المُصطلَح يضرب بجذوره فى الفكر العنصرى الغربى الذى كان يرمى إلى التمييز الحاد بين الحضارات والأعراق، فميَّز فى بداية الأمر بين الآريين والساميين على أساس لغوى، وهو تمييز أشاعه إرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢)، ثم انتقل من الحديث عن اللغات السامية إلى الحديث عن الروح السامية والعبقرية السامية، مقابل الروح الآرية والعبقرية الآرية التى هى أيضاً الروح الهيلينية أو النابعة منها. ثم سادت الفكرة العضوية الخاصة بالفولك أو الشعب العضوى، ومفادها أن لكل أمة عبقريتها الخاصة بها، ولكل فرد فى هذه الأمة سمات أزلية يحملها عن طريق الوراثة. وانتهى الأمر إلى الحديث عن تفوُّق الآريين على اليهود (الساميين)، هذا العنصر الآسيوى المغروس فى وسط أوربا، كما دار الحديث عن خطر الروح السامية على المجتمعات الآرية. وشاع المُصطلَح منذ ذلك الوقت، وقام الدارسون العرب باستيراده وترجمته كما فعلوا مع كم هائل من المُصطلَحات الأخرى.

وبدلاً من وقوعنا فى أسر ترجمة المُصطلَح، فقد فضلنا هنا توليد مُصطلَح جديد هو «معاداة اليهود» لأنه أكثر دقة ودلالة، كما أنه أكثر حياداً ولا يحمل أية تضمينات عنصرية ولا أية أطروحات خاطئة، كما هو الحال مع مُصطلَح «أنتى سيميتزم».

لكن بعض الكُتَّاب الغربيين يميلون إلى التمييز بين «معاداة اليهودية» و«معاداة السامية»، حيث إن معاداة اليهودية، حسب تصوُّرهم، هى عداء دينى للعقيدة اليهودية

وحدها، وبالتالى كان بإمكان اليهودى أن يتخلص من عداء المجتمع له باعتناق المسيحية. أما معاداة السامية، فهى عداء لليهود بوصفهم عِرْقاً، وبالتالى فهى عداء علمانى لا دينى ظهر بعد اعتناق اليهود وتزايد معدلات اندماجهم. وهذا النوع من العداء يستند إلى نظريات ذات ديباجات ومسوغات «علمية» عن الأعراق عامة، وعما يُقال له «العِرْق اليهودى»، وعن السمات السلبية الافتراضية (الاقتصادية والثقافية) الثابتة والحتمية لليهود اللصيقة بعِرْقهم! وتصحب مثل هذه الدراسات إحصاءات عن دور اليهود فى التجارة والربا مثلاً، وفى تجارة الرقيق عامة والرقيق الأبيض على وجه الخصوص، ومعدلات هجرتهم، ثم يتم استخلاص نتائج عِرْقية منها. وبالتالى، إذا كانت معاداة اليهودية تعبيراً عن التعصب الدينى، فإن معاداة السامية حسب هذه الرؤية هى نتيجة موقف دنيوى بارد يستند إلى حسابات المكسب والخسارة وإلى الرصد «العلمى» لبعض السمات اللصيقة بما يُسمَّى «الشخصية اليهودية». ويرى المنادون بهذا الرأى أن معاداة السامية بدأت فى القرن التاسع عشر (أساساً). وإن كان بعضهم يرى أن عداء الدولة الإسبانية ليهود المارانو (وهم اليهود الذين تنصَّروا) كان عداء ذا دافع دنيوى؛ إذ أن هؤلاء المارانو، بحسب إحدى النظريات، كانوا مسيحيين بالفعل. ولكن مقياس النقاء العِرْقى (نقاء الدم) الذى حُكم به عليهم، لم يكن مقياساً دينياً وإنما كان مقياساً عِرْقياً، وكان الدافع وراء اضطهادهم هو رغبة الأرستقراطية الحاكمة، أو بعض قطاعاتها على الأقل، فى التخلص من طبقة بورجوازية جديدة صاعدة كانت تتهددها. ومن هنا، مُنع المارانو من الاستيطان فى المستعمرات البرتغالية والإسبانية لتقليل فرص الحراك أمامهم. وهكذا ، كانت هذه الحركة تعبِّر عن اتجاه دنيوى، ولكنها تستخدم الخطاب الدينى لتبرير غاياتها.

ومن هذا المنظور الطبقى العِرْقى، يصبح اليهودى المندمج هو أكثر اليهود خطورةً، فهو يهودى (أى بورجوازى) يدَّعى أنه مسيحى ليحقق مزيداً من الحراك والصعود الاجتماعى. ولذا، لابد من وقفه والحرب ضده برغم تبنيه العقيدة المسيحية.

وهذا الموقف يناقض الموقف القديم لمعاداة اليهود حيث كانت الكنيسة ترحب بمن تنصَّر. فالنبلاء البولنديون المسيحيون، على سبيل المثال، كانوا يتزوجون من أعضاء الأسر اليهودية المتنصرة حتى القرن الثامن عشر. وقبل ذلك، كان الوضع نفسه سائداً فى مملكتى قشطالة وأراجون فى القرن الخامس عشر. ومن المعروف أن الكنيسة

وقفت ضد أى تعريف عِرْقى لليهودى يخضعه للحتميات البيولوجية شبه العلمية، وبالتالى فتحت أمامه أبواب الخلاص. ولتبسيط الأمور، دون تسطيحها، نستخدم عبارة «معاداة اليهود» ثم نضيف إليها عبارات تحدد مجالها الدلالى مثل «على أساس عِرْقى» أو «على أساس دينى»... إلخ. إن استدعى السياق ذلك.

وقد اختلط المجال الدلالى للمُصطلَح تماماً فى اللغات الأوربية بعد ظهور الصهيونية. وبعد سيطرة الخطاب الصهيونى على النشاط الإعلامى الغربى، لم تَعُد هناك تفرقة بين ظاهرة معاداة اليهود فى الدولة الرومانية وظاهرة معاداة اليهود فى العصور الوسطى المسيحية. ولم يَعُد هناك تمييز بين معاداة اليهود على أساس عِرْقى وبين معاداة اليهود على أساس دينى. وأصبحت معاداة الصهيونية، بل والدولة الصهيونية هى الأخرى، تُصنَّف باعتبارها من ضروب معاداة اليهود. وحينما كانت دول الكتلة الشرقية تصوت ضد إسرائيل فى هيئة الأمم المتحدة كان هذا يُعدُّ أيضاً تعبيراً عن تقاليد معاداة اليهودية الراسخة فيها. وبالمثل اعتُبر قيام فرنسا ببيع طائرات الميراج لليبيا تعبيراً عن الظاهرة نفسها. بل ويذهب أنصار هذا الرأى إلى أن نضال الشعب الفلسطينى ضد الاستيطان الصهيونى تعبير عن الظاهرة نفسها. وهكذا اتسع المجال الدلالى للمُصطلَح واضطرب ليضم عدة ظواهر لا يربطها رابط، حتى أصبح بلا معنى، وأصبح أداة للإرهاب والقمع الفكريين.

ـ معاداة السامية الجديدة

New Anti-Semitism

«معاداة السامية الجديدة» (أى «معاداة اليهود الجديدة») مصطلح ظهر مؤخراً فى المعجم الصهيونى يشير إلى عدة مدلولات من أهمها مايلى:

١ ـ ما يزعم الصهاينة أنه أشكال جديدة من معاداة السامية، هى فى حقيقة الأمر إعادة إنتاج للأشكال القديمة. ويضربون مثلاً لهذا بالعداء للدولة الصهيونية. فحينما ترتكب الدولة الصهيونية مذبحة مثل قانا فتندِّد بها معظم دول العالم، وحينما تُبنَى مستوطنة جديدة فى القدس أو على حدودها وتصدر هيئة الأمم المتحدة قراراً بإدانتها.. فإن هذا يكون تعبيراً عن النمط القديم: عداء «الأغيار» الأزلى لليهود.

٢ - يُستخدَم المصطلح أيضاً للإشارة إلى ما يسميه الصهاينة «معادة السامية الإسلامية»، أى عداء المسلمين لليهود. وهم يرون أن هذا النوع من العنصرية آخذ فى التزايد حيث ينظر المسلمون إلى اليهود باعتبارهم «أعداء الله»، وأن إسرائيل تعبير عن المؤامرة اليهودية الأزلية.

١٥ - الإبادة النازية ليهود أوربا (مشكلة المصطلح)

The Problem of Terminology Nazi Extermination of Western Jewry

يُستخدَم مُصطلح «الإبادة» فى العصر الحديث ليدل على محاولة القضاء على أقلية أو طائفة أو شعب قضاء كاملاً. ويُطلَق مُصطلح «إبادة اليهود» (بالانجليزية: إكستيرمينيشن أوف ذا جوز Extermination of the Jews) فى الخطاب السياسى الغربى أساساً على محاولة النازيين التخلص من أعضاء الجماعات اليهودية فى ألمانيا وفى البلاد الأوربية (التى وقعت فى دائرة نفوذ الألمان) عن طريق تصفيتهم جسديا (من خلال أفران الغاز). وتُستخدَم فى ذات المعنى أيضاً كلمة «جينوسايد genocide» وهى من مقطعين: «جينو» من الكلمة اللاتينية «جيناس genus» بمعنى «نوع»، و «كايديس caedes»، بمعنى «مذبحة». كما تُستخدَم أيضاً عبارة «الحل النهائى» للإشارة إلى «المخطط الذى وضعه النازيون لحل المسألة اليهودية بشكل جِذْرى ونهائى ومنهجى وشامل عن طريق إبادة اليهود، أى تصفيتهم جسدياً».

ويُشار إلى الإبادة فى معظم الأحيان بكلمة «هولوكوست» وهى كلمة يونانية تعنى «حرق القربان بالكامل» (وتُترجم إلى العبرية بكلمة «شواه»، وتُترجم إلى العربية أحياناً بكلمة «المحرقة»). وكانت كلمة «هولوكوست» فى الأصل مُصطلحاً دينياً يهودياً يشير إلى القربان الذى يُضحَّى به للرب، فلا يُشوى فقط بل يُحرق حرقاً كاملاً غير منقوص على المذبح، ولا يُترك أى جزء منه لمن قدَّم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعيشون على القرابين المقدمة للرب. ولذلك، كان الهولوكوست يُعدُّ من أكثر الطقوس قداسة، وكان يُقدَّم تكفيراً عن جريمة التكبُّر ومن ناحية أخرى، كان الهولوكوست هو القربان الوحيد الذى يمكن للأغيار أن يُقدِّموه.

ومن العسير معرفة سر اختيار هذا المُصطلح، بالذات، ولكن يمكننا أن نقول إن المقصود عموماً هو تشبيه «الشعب اليهودى» بالقربان المحروق أو المشوى، وأنه حُرق لأنه أكثر الشعوب قداسة. كما أن النازيين، باعتبارهم من الأغيار، يحق لهم القيام بهذا الطقس. أو ربما وقع الاختيار على هذا المُصطلَح ليعنى أن يهود غرب أوربا أُحرقوا كقربان الهولوكوست فى عملية الإبادة النازية ولم يبق منهم شىء، فهى إبادة كاملة بالمعنى الحرفى. ولكن حينما تستخدم الجماعات المسيحية الأصولية (الحَرْفية) فى الولايات المتحدة كلمة «هولوكوست» فهى تركز على جريمة الكبرياء، إذ ترى أن الإبادة عقاب عادل حاق باليهود بسبب صلَفهم وغرورهم وكبريائهم.

ويُشار إلى الإبادة أحياناً بأنها «حُربان» وهى كلمة عبرية تُستخدَم للإشارة إلى «هدم الهيكل». فكأن الشعب اليهودى هنا هو الهيكل، أو البيت الذى يَحُلُّ فيه الإله، والإبادة هى تهديم بيت الإله. وهذه الكلمة تُدخل حادثة الإبادة التاريخ اليهودى المقدَّس.

وفى الوقت الراهن، تُستخدَم كلمة «هولوكوست» فى اللغات الأوربية للإشارة إلى أية كارثة عظمى. فيشير الصهاينة، على سبيل المثال، إلى «الزواج المختلط» بين اليهود بأنه «الهولوكوست الصامت» (بالانجليزية: سايلانت هولوكوست silent Holocaust). وحينما يُصعِّد العرب من مقاومتهم للمستوطنين الصهاينة فإنهم - حسب المُصطلَح الصهيونى - يهددونهم بالهولوكوست. واستخدمت إحدى الصحف هذا المُصطلَح للإشارة إلى إحدى صفقات أسلحة الميراج بين ليبيا وفرنسا. كما استخدم أحد المتحدثين الصهاينة كلمة «هولوكوستى» وهى اسم صفة مشتق من هولوكوست مشيراً إلى أحد الأفلام بأنه ليس «هولوكوستياً Holocausty» بما فيه الكفاية. وهذا الاستخدام المستمر والمجوج للمُصطلَح يؤدى إلى نتائج كوميدية أحياناً. إذ حدث مرةً أن تساءل أحد دعاة حماية البيئة فى نبرة جادة قائلاً: «كيف يمكن أن نستنكر الهولوكوست ضد اليهود، ونحن نذبح ستة مليون دجاجة يومياً؟»، أى أنه ساوى بذلك بين الطبيعى والإنسانى وبين الدجاجة واليهودى، ودفع بالنموذج العلمانى الشامل إلى نتيجته المنطقية وأطلق استنكاره هذا!

ويتم فى الوقت الحاضر الاتجار بالهولوكوست وتوظيفها بشكل ممجوج لخدمة الأهداف الصهيونية والتجارية. وقد ظهرت مجموعة من المُصطلَحات المشتقة من كلمة «هولوكوست» والتى تُعبِّر عن الاستياء العميق من عملية التوظيف هذه. فنحت أحد الكُتَّاب كلمة «هولوكيتش Holokitsch» لوصف الكُتب والأفلام عن موضوع الهولوكوست والتى تُنتَج وتُنشَر بهدف تحقيق الربح، حيث إنها تحاول إثارة العواطف واستغلالها على أسوأ وجه. وكلمة «كيتش» فى اللغة الألمانية تعنى الأعمال الفنية الشعبية الرديئة. كما ظهرت عبارة «هولوكوست بيزنس Holocaust business » أى «مشروع الهولوكوست التجارى»، بمعنى توظيف الهولوكوست تجارياً لتحقيق الأرباح العالية. ومن العبارات الأخرى المتواترة عبارة «هولوكوست مانيا caust mania Holo»، أى «الانشغال الجنونى - أو المرَضى - بالإبادة».

ومن المعروف أن هناك عدة شعوب قامت من قبل بإبادة شعوب أخرى، أو على الأقل بإبادة أعداد كبيرة منها. وقد وردت فى العهد القديم نفسه أوامر عديدة بإبادة سكان أرض كنعان وطردهم. ولكن من الثابت تاريخياً أن العبرانيين والكنعانيين تزاوجوا، وأن معظم ادعاءات الإبادة قد تكون من قبيل التهويلات التى تتواتر فى كثير من الوثائق القديمة، أو قد تكون ذات طابع مجازى. وربما يكون قد تم فعلاً إبادة سكان مدينة أو اثنتين، لكن هذا لم يكن النمط السائد، نظراً لتدنى المستوى العسكرى لدى العبرانيين، كما أن استيطان العبرانيين لم يتم عن طريق الغزو دفعة واحدة وإنما عن طريق التسلل أيضاً. ويستند الاستعمار الاستيطانى الإحلالى الغربى إلى الإبادة، فهذا هو ما فعله سكان أمريكا الشمالية البيض بالسكان الأصليين، وهى عملية استمرت حتى أواخر القرن التاسع عشر.

وقد استخدمنا فى الموسوعة مُصطلَح «الإبادة النازية ليهود أوربا»، وهو - فى تصوُّرنا - مُصطلَح أكثر تفسيريةً وحياداً من المُصطلَحات المستخدمة فى اللغات الأوربية والعبرية، فكلمتا «هولوكوست» و «شواه» تحملان إيحاءات دينية. ومُصطلَح «الحل النهائى» يحدد مجاله الدلالى بشكل قاطع لا يتفق و مضمونَه الحقيقى. أما مُصطلَحنا فقد حَدَّد الظاهرة النازية من حيث هى ظاهرة أوربية داخل سياق التاريخ

الألمانى والأوربى، ومن حيث هى ظاهرة لم تحدث فى سياق التاريخ العالمى. كما أنها تُضمر الإشارة إلى الإبادة النازية للأقليات والشعوب الأخرى.

وكلمة «إبادة» كما نستخدمها لا تعنى بالضرورة التصفية الجسدية، وإنما تعنى «استئصال شأفة اليهود» بجميع الطرق، ومن ضمنها التهجير القسرى (الترانسفير) وغيره من الطرق. ولذلك فنحن نشير أحياناً إلى الإبادة بالمعنى الخاص والمحدد للكلمة، أى «التصفية الجسدية المتعمدة»، كما نشير إليها بالمعنى العام للكلمة، وهى عملية «إبادة اليهود من خلال التهجير والتجويع وأعمال السُخْرة، وأخيراً التصفية الجسدية المتعمدة». كما أننا لا نهمل ما نسميه «اختفاء اليهود» من خلال عوامل طبيعية مختلفة تقع خارج نطاق الإبادة النازية، بالمعنى العام أو الخاص.

١٦ ـ الدياسبورا
Diaspora

«دياسبورا» كلمة يونانية تعنى «الشتات» أو «الانتشار». وقد كانت الدياسبورا نمطاً شائعا فى العالم الهيلينى الرومانى، فلم يكن مقصوراً على اليهود، بل كانت هناك جماعات من التجار اليونانيين الذين يؤسسون جماعاتهم ومجتمعاتهم الصغيرة فى المدن التى يستقرون فيها، فكانوا يبنون فيها معابدهم ويعبدون آلهتهم، ويمارسون جميع أنماط حياتهم الهيلينية الأخرى مثل الجيمنازيوم. كما أن المدن اليونانية المختلفة خارج بلاد اليونان، بسكانها من المستوطنين اليونانيين، كانت تشكل دياسبورا. وبرغم أن الكلمة محايدة إلى حدٍّ كبير، لأن الانتشار تم بإرادة المنتشرين، إلا أنها فى نهاية الأمر تعنى تَشتُّتاً من مركز ما، والمركز فى العقل الإنسانى أفضل من الأطراف.

أما فى الكتابات اليهودية والصهيونية، فهى تحمل معنى سلبياً أكيداً، باعتبار أن اليهودى الموجود خارج فلسطين أو «إرتس يسرائيل» أو «صهيون» (فى المُصطلَح الدينى) أو «الوطن القومى» (فى المُصطلَح السياسى) موجود خارج وطنه رغم أنفه، وبالتالى فهو فى المَنْفَى. وتُميِّز هذه الكتابات بين المَنْفَى الاختيارى والمَنْفَى القسرى. ويتجلى ذلك فى العبرية على وجه الخصوص إذ توجد كلمة «جولا» بمعنى المَنْفَى القسرى، كما حدث ليهود المملكة الجنوبية حينما هُجِّروا إلى بابل. وتوجد كلمة

«تيفوتسوت» بمعنى «المَنْفَى الاختيارى أو الطوعى»، وهى تشير إلى اليهودى الذى يترك فلسطين بمحض إرادته ليستوطن بلداً آخر، وإلى الجماعات اليهودية التى ترفض العودة إلى فلسطين رغم وجود سلطة سياسية يهودية مستقلة أو سلطة شبه مستقلة، كما حدث ليهود بابل أيضاً بعد عودة نحميا وعزرا، وكما هو حادث ليهود العالم الغربى بل ويهود العالم بأسره الآن.

وقد ظهر استخدام جديد لكلمة «دياسبورا». فكثير من يهود الولايات المتحدة يرفضون استخدام الكلمة بمعنى «المَنْفَى المؤقت»، فالولايات المتحدة أو كندا هى وطنهم النهائى وليس المؤقت. ولذا، ففى كتاب هوارد ساخار الأخير «الدياسبورا» (صدر عام ١٩٨٥) لا توجد أية إشارة إلى الجماعات اليهودية فى إسرائيل أو أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة أو كندا) باعتبار أنهما لا يشكلان «مَنْفَى»، وبالتالى لا يمكن الحديث عنهما باعتبارهما دياسبورا. فكأن كلمة «دياسبورا» تستبعد كلاً من فلسطين والولايات المتحدة وكندا!

ونحن فضَّلنا فى الموسوعة أن نشير إلى «الجماعات اليهودية فى العالم وانتشارها فيه» باعتبار أن استخدام كلمة «مَنْفَى»، أو حتى كلمة «دياسبورا»، يفترض علاقة قومية ما بين أعضاء هذه الجماعات وفلسطين، وهو ما تدحضه قراءة سلوكهم وأحداث التاريخ قراءة متأنية.

والواقع أن أعضاء الجماعات اليهودية فى العالم قد يرتبطون عاطفياً أو دينياً بإسرائيل (فلسطين)، ولكن حياتهم ككل تكون فى العادة أكثر تركيباً. ومحاولة تفسير جميع تجاربهم التاريخية (المتنوعة وغير المتجانسة) فى ضوء عنصر واحد، هو أمر تعسفى يَسقُط فى الأحادية، ويتجاهل منحنى الظواهر الخاص، ويختزلها كلها داخل نمط واحد.

وقد نحت آرثر كوستلر مُصطلَح «الدياسبورا الخزرية». كما ظهر مؤخراً مُصطلَح «الدياسبورا الإسرائيلية». وقد استُخدم من قبل مُصطلَح «الدياسبورا السامرية».

ـ الشتات

Dispersion; Diaspora; Exile

«الشتات» مُصطلَح يُستخدَم أحياناً للإشارة إلى «المَنْفَى» أو «الدياسبورا».

ـ المنفى والعودة

Exile and Return

تشير كلمة «جالوت»، أو «جولا»، إلى المَنْفَى، والمَنْفَى القهرى بالذات خارج إرتس يسرائيل أى فلسطين (مقابل المَنْفَى الطوعى أى «تيفوتسوت»)، ولذا فهى تُترجَم عادةً إلى العربية بكلمة «المَنْفَى». كما تُستخدَم كلمة «دياسبورا» أى «الشتات» للإشارة إلى الجماعات اليهودية التى تعيش مشتتة بين الشعوب الأخرى. وأحياناً تُستخدَم كلمة «دياسبورا» بشكل محايد بحيث تعنى «الانتشار» بوصفه ظاهرة إنسانية عادية طبيعية. ويستخدم اليهود الإصلاحيون والاندماجيون المُصطلَح بهذا المعنى. وفى اللغة العربية، تُستخدَم كلمتا «الشتات» و «المَهْجَر» للإشارة إلى المكان الذى هاجر إليه اليهود أو هُجِّروا إليه. وتعنى الكلمات السابقة («المَنْفَى » و «الدياسبورا» و«الشتات» و «المَهْجَر») وجود أعضاء الجماعات اليهودية المؤقت خارج إرتس يسرائيل (أى فلسطين) حتى تتحقق لهم الحالة الأصلية العادية والطبيعية بعودتهم إليها.

أما العودة فيُشار إليها فى المُصطلَح الدينى بكلمة «تشوفاه» (بمعنى التوبة أيضاً، على عكس «جزره» وهى «عودة» بالمعنى المادى الدنيوى)، كما تُوجَد عبارة «كيبوتس جاليوت» أى «تجميع المنفيين» (بالإنجليزية: إنجاذرينج أوف ذى إكزايلز ingathering of the exiles).

ـ العودة

Return

تشير كلمة «العودة» فى الأدبيات اليهودية والصهيونية إلى عودة اليهود إلى فلسطين، أي «إرتس يسرائيل» أو «صهيون» أو «أرض الميعاد» بعد نفيهم منها.

وقد تكون العودة تحت قيادة الماشيَّح، وقد يقوم بها اليهودى بإرادته، دون انتظار مشيئة الإله.

١٧ - الترانسفير (التهجير) الصهيونى لبعض أعضاء الجماعات اليهودية

Zionist Transfer of Some Members of Jewish Commuumities

يعبِّر التهجير فى العادة عن نَقْل جماعة سكانية من مكان إلى آخر بدون سعى منها أو بدون موافقتها، وذلك لأسباب تختلف باختلاف الزمان والمكان. وهو بذلك يختلف عن الهجرة التى تتم بإرادة المهاجر. ومن أهم الأمثلة على التهجير: تهجير اليهود إلى بابل، والذى يُسمَّى «السبى البابلى»، ونطلق عليه فى الموسوعة «التهجير البابلى»، وكذلك تهجير الهنود الحمر (سكان أمريكا الأصليون) من المناطق التى كانوا يستقرون فيها إلى مناطق أخرى (وهو تهجير كان يؤدى فى كثير من الأحيان إلى إبادة أعداد كبيرة منهم).

ويُشار إلى التهجير أحياناً بأنه «ترانسفير» أى «نَقْل». ويمكن القول بأن الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة هى فى جوهرها عملية نقل (ترانسفير) لمجموعة من المصطلحات والمفاهيم الدينية من مستواها الدينى والمجازى إلى المستوى الزمنى المادى الحرفى (وهذه سمة أساسية فى الخطاب الحلولى التجسيدى، حيث تتحول الكلمة إلى مادة، ويتحول الدال إلى مدلول، ويتداخل المطلق والنسبى). فالشعب المختار، حسب المفهوم الدينى اليهودى : جماعة دينية تلتزم بمجموعة من العقائد، فينقل هذا المفهوم من السياق الدينى ليصبح شعباً بالمعنى العِرْقى أو يصبح مادة بشرية فائضة. أما صهيون، وهى المكان الذى سيعود إليه الماشيَّح فى آخر الأيام، فتصبح بقعة جغرافية فى الشرق الاوسط ذات قيمة استراتيجية واقتصادية يُصدَّر إليها الفائض البشرى ويوطَّن ويُوظَّف فيها. والواقع أن عملية نَقْل المصطلحات هذه من مستواها الدينى والمجازى إلى المستوى الزمنى والحرفى ينجم عنها ظهور صيغة تنطوى على عمليتى نَقْل سكانى:

الأولى : نَقْل اليهود من المنفى إلى فلسطين.

والثانية : نَقْل الفلسطينيين من فلسطين إلى المنفى.

١٩ ـ النزوح
Emigration; Yeridah

حاولت الصهيونية منذ البداية أن تصوِّر العلاقة بين اليهود وبين وأرض فلسطين العربية بوصفها علاقة مطلقة تستمد مغزاها من «وعد الإله لشعبه المختار»، وهي لذلك لا تخضع لأية متغيرات تاريخية أو اجتماعية، ولكن هذا يصطدم مع ما يروى من حقائق عن تزايد معدلات الهجرة والنزوح، وهي حقائق تؤكد أن العلاقة بين اليهودي و «أرض الميعاد» علاقة نسبية تؤثر فيها المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والمقصود بالنزوح هو حركة الهجرة المضادة إلى خارج إسرائيل، وتُسمَّى بالعبرية «يريداه» أو «النزول». ويُطلَق على المهاجرين إلى الخارج اسم «يورديم» أي «نازحين أو هابطين» أو «مرتدِّين»، مقابل «عويلم» أي «صاعدين». ولعل هذه التسمية في حد ذاتها تعكس رؤية الصهاينة لحركة النزوح باعتبارها جريمة أخلاقية وخيانة للمبادئ الصهيونية. بل إن هؤلاء النازحين يُطلَق عليهم اصطلاح «الدياسبورا الإسرائيلية»، بما يسببه من حرج للحركة الصهيونية، باعتبار أن الدياسبورا مصطلح يشير إلى اليهود الذين يقطنون خارج فلسطين ولا يمكنهم الهجرة إليها لسبب أو آخر، أما أن تنشأ «دياسبورا» كانت تسكن فلسطين فهذا ما لا يقبله منطق الصهاينة. فالدياسبورا تفترض حالة غربة من الصعب معها تعريف مضمونها. بل إن من التطورات المهمة أن قرار النزوح أصبح مقبولاً اجتماعياً، حيث يظهر بعض النازحين على التليفزيون الإسرائيلي ليتحدثوا عن قصص نجاحهم في الولايات المتحدة، كما تظهر في الصحف إعلانات عن إسرائيليين يودون بيع شققهم استعداداً للهجرة، وهذه أمور كانت في الماضي تتم سراً؛ لأن نزوح أعداد كبيرة من الإسرائيليين، تماماً مثل تساقط أعداد كبيرة من المهاجرين السوفييت، من شأنه أن يقوِّض دعائم الشرعية الصهيونية.

ولذلك تحاول المؤسسة الصهيونية تقليل حجم المشكلة، فالأرقام المعلنة عن النزوح، وإن كانت تعطي مؤشرات ودلالات مهمة، لا تمثل الحقيقة تماماً، إذ أن معظمها مأخوذ عن الإحصاءات الرسمية للهيئات الصهيونية داخل وخارج إسرائيل، وهي مثار شكوك عديدة من جانب القادة الصهاينة أنفسهم، فكثيراً ما عبَّر أناس لا يشك المرء

فى صهيونيتهم مثل أرييل شارون عن أن الأرقام المعلنة تقل كثيراً عن الحقيقة. ومن ناحية أخرى فلا يوجد تعريف «قانونى واضح وملزم» لكلمة «نازح» من حيث مدة بقائه خارج إسرائيل، وخصوصاً أن جزءاً كبيراً من المهاجرين لا يغادر إسرائيل بتأشيرة مهاجر، علاوة على أن الإحصاءات لا تضم الذين يعيشون فى الخارج ويحملون جنسيات مزدوجة، حيث يسجلون أنفسهم «إسرائيليين» تهرباً من الضرائب ومن أداء الخدمة العسكرية. كما أن أعداداً كبيرة من الطلاب الذين يمضون عدة سنوات للدراسة فى الخارج يقررون عدم العودة إلى إسرائيل، وكل هذا يكشف فى النهاية عن ظاهرة خطيرة بالنسبة للمشروع الصهيونى.

١٩ ـ تجميع المنفيين
Intgathering of the Exiles

«تجميع المنفيين» ترجمة للعبارة العبرية «كيبوتس جاليوت». وهومُصطلَح دينى تبنته الصهيونية يشير إلى فكرة عودة كل أعضاء الجماعات اليهودية المنفيين أو المنتشرين فى أنحاء العالم إلى فلسطين وتجميعهم هناك. لكن تجميع المنفيين (حسب التصور اليهودى الأرثوذكسى التقليدى) هو مَثَل أعلى دينى لا يتحقق إلا بعد عودة الماشيَّح كما أنه لا يتحقق إلا بإرادة الإله، ولذلك فعلى المؤمن أن ينتظر «بصبر وأناة» إلى أن يأذن الإله بذلك. ولكن الصهيونية، كعادتها، فهمت الفكرة فهماً حرفياً وجعلتها أساساً عقيدتها السياسية، وجعلت من واجب اليهودى ألا ينتظر الإرادة الإلهية بل أن يعمل من أجل هذا الهدف بنفسه، وهو ما يُسمَّى «التعجيل بالنهاية». وأصبحت العبارة تعنى استيطان اليهود فى فلسطين (إسرائيل). ورغم كل المحاولات الصهيونية الدائبة، لم يتحقق هذا الهدف حتى الآن، إذ تظل غالبية من يُقال لهم المنفيين من أعضاء الشعب اليهودى لا تَشعُر بحالة النفى الافتراضية. ومن ثم، فإنهم يؤثرون البقاء فى أوطانهم على العودة إلى «أرض الميعاد».

٢٠ ـ قانون العودة : قانون صهيونى أساسى
Law of Return: A Zionist Basic Law

« قانون العودة» قانون صدر فى إسرائيل عام ١٩٥٠ يمنح أى يهودى فى العالم حق الهجرة إلى فلسطين وأن يصبح مواطناً فور وصوله. ومن المعروف أن جميع

أجنحة الصهيونية تعاونت فى مرحلة ماقبل ١٩٤٨ على إنجاز أهم عنصر مُتضمَّن فى الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة، أى التخلص من السكان الأصليين وتغييبهم. وثمة أدبيات ثرية فى هذا الموضوع توثق النية الصهيونية المبيتة لطرد العرب، وتبيِّن الطرق المختلفة التى لجأت إليها قوات المستوطنين لطرد الفلسطينيين وتفريغ فلسطين من سكانها. ولكن المشروع الصهيونى لم يُحقِّق النجاح الكامل، إذ بقيت أقلية من العرب (وهى آخذة فى التزايد). وقد لجأت دولة المستوطنين إلى اتخاذ إجراءات قانونية للضرب على يد هذه الأقلية العربية وتكبيلها. ولم يكن ذلك أمراً عسيراً، إذ ورثت هذه الدولة، فيما ورثت، خاصية اليهودية باعتبارها خاصية رئيسية ومحورية تَسِم اليهود الذين تقوم على خدمتهم مجموعة من المؤسسات الاستيطانية المقصورة عليهم. وبصدور قانون العودة فى يوليه ١٩٥٠، تحولَت خاصية اليهودية هذه إلى مقولة قانونية تمنح صاحبها حقاً تنكره على غير اليهود.

وقد صدر عن هذا القانون عن الكنيست الأول عام ١٩٥٠، وخضع لتعديل لاحق فى أغسطس عام ١٩٥٤، وهو ينطلق من الافتراض الصهيونى القائل بأن اليهود «شعب بلا أرض»، شعب عضوى نُفى قسراً من «وطنه» فلسطين منذ ألفى عام. ولكن هذا النفى لم يؤثر فى أعضاء هذا الشعب، فغالبيتهم - حسب التصوُّر الصهيونى - مرتبطون عضوياً ارتباطاً تاماً بوطنهم ويريدون «العودة» إليه لينْهوا حالة الشتات، وليحققوا وحدة الشعب اليهودى بأرضه اليهودية. ومن هنا تفهم تسمية القانون بـ «قانون العودة».

ويعنى هذا الافتراض أيضاً أن فلسطين «أرض بلا شعب»، وأنه إن وُجد شعب فيها فى عشرات القرون الماضية فهو وجود عَرَضى ومؤقت، ولا يُضفى على أعضاء هذا الشعب أية حقوق ثابتة، إذ أن اليهود وحدهم هم الذين لهم حقوق عضوية مطلقة فى أرض فلسطين - أو «إرتس يسرائيل»، كما يُقال فى الأدبيات الصهيونية والإسرائيلية واليهودية -.

لكل هذا نص قانون العودة صراحةً على حق كل يهودى فى الهجرة أو العودة إلى إسرائيل (بعد آلاف السنين «من الغياب المؤقت»)، كما أنكر بشكل ضمنى هذا الحق

على الفلسطينيين الذين هاجروا من أرضهم عام ١٩٤٨ حتى يبقى المجال الحيوى لليهود وللدولة اليهودية خالياً من العرب. ونص القانون أيضاً على حق كل يهودى فى الهجرة إلى إسرائيل مالم يكن وزير الداخلية مقتنعاً بأن طالب الهجرة يمارس نشاطاً موجّهاً ضد اليهود، أو يمكن أن يعرض الأمن والصحة العامة للخطر، أو أن له ماضياً إجرامياً. وتضمّن هذا القانون الفريد حق اليهودى، فى حالة رفض هجرته لغيْر الأسباب السابقة، فى اللجوء إلى المحكمة العليا الإسرائيلية لإجبار السلطات على السماح له بذلك حتى لو ظلِ مواطناً أجنبياً على أرض دولة أخرى. كما يمنح القانون الأشخاص الذين يدخلون إسرائيل بموجبه الجنسية وحقوق المواطنة على الفور.

وبموجب المادة الرابعة من قانون العودة، يُعتبَر كل يهودى هاجر إلى فلسطين (قبل سريان القانون) وكل يهودى مولود فيها (قبل سريانه أو بعده) شخصاً جاء إلى فلسطين بصفة «مهاجر عائد». ورغم أن هذا القانون قانون هجرة وليس قانون جنسية، فإن اعتماد جوهره فى قانون الجنسية الإسرائيلية جعل منهما كلاً متكاملاً.

٢٢ ـ الصابرا
Sabra

«صابرا» كلمة عبرية مُشتقّة من الكلمة العربية «الصبّار» أو «التين الشوكى». وقد تَردَّد المُصطلَح بمعناه الاجتماعى، لأول مرة، فى أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة حيث أطلق فى مدرسة هرتزليا الثانوية فى تل أبيب على التلاميذ اليهود من مواليد فلسطين، والذين كانوا يُحسّون نقصاً حيال أقرانهم الأوربيين الأكثر تَفوُّقاً فى الدراسة، مما كان يجعلهم يلجأون إلى تعويض هذا الشعور بتَحدِّى هؤلاء الأوربيين بنوع من النشاط الخشن يرد إليهم شيئاً من اعتبارهم. وقد تمثل ذلك النشاط فى الإمساك بثمرات التين الشوكى وتقشيرها بالأيدى العارية، وهى مهارة يدوية تأتى بالمران وليس من خلال الدراسة !

وقد أصبحت كلمة «الصابرا» تُطلَق اسماً على كل يهودى يُولد فى فلسطين. ومن المُصطلحات الأخرى المرتبطة بها كلمة «شوتسباه» اليديشية التى تشير إلى مجموعة من الصفات مثل الجرأة الزائدة، التى قد تصل إلى حد الوقاحة، والسذاجة المختلطة

بالذكاء. وحسب الرؤية الإسرائيلية الشائعة، فإن جيل الصابرا يتسم بـ «الشوتسباه» هذه. ومن صفات الصابرا أيضاً ما يُسمَّى «تسيفتسوف إيحاد جادول»، وهي عبارة عبرية تعنى «تصفيرة واحدة كبيرة»، وتشير إلى مقدرة جيل الصابرا على السخرية من كل المشاكل ومواجهتها بهذه التصفيرة !

ومُصطلَح «الصابرا» والمُصطلَحات المرتبطة به تؤكد صفات مُحدَّدة فى شخصية أبناء المستوطنين الصهاينة الذين وُلِدوا ونشأوا فى فلسطين، من أهمها معاداة الفكر والمقدرة على التعامل مع الواقع. وهذه الصورة موضوع أساسى كامن فى الفكر الصهيونى يَصدُر عن نقد شخصية يهود المنفى، باعتبارهم شخصيات مريضة ضعيفة هزيلة حزينة شاحبة منغلقة هامشية قلقة، يغمرها الإحساس بالذنب ولا تسيطر على مستقبلها أو مصيرها. وكانت الصهيونية تطرح فكرة «تطبيع الشخصية اليهودية»، أى جعل اليهود شخصيات طبيعية عن طريق الاستيطان فى فلسطين وأداء أعمال يدوية، وعدم الاعتماد على العمالة غير اليهودية، باعتبار أن هذه العملية ستؤدى فى نهاية الأمر(حسب التصور الصهيونى) إلى نفى الدياسبورا، أى القضاء على الجماعات اليهودية فى الخارج. وقد طرح الصهاينة ما سمُّوه «اليهودى الخالص»، وهو اليهودى مائة بالمائة الذى يُجسِّد القيم الصهيونية الجديدة، بديلاً لـ «يهودى المنفى». وكان من المُتوقَّع أن يكون المُستوطن الصهيونى هو آخر يهود المنفى وأول اليهود «الخُلَّص» الذين لا تشوبهم شائبة من عالم الأغيار، وهذا هو ما عبَّروا عنه فى قولهم: «فلتكن آخرَ اليهود وأولَ العبرانيين».

وأخذ المستوطنون يحاولون وَضْع هذه الرؤية موضع التنفيذ، بحيث يصبح الإنسان العبرانى الجديد نقيض يهود المنفى. وكما قال الشاعر الإسرائيلي تسفى جرينبرج في قصيدة له : «الأمهات اليهود أحضرن أطفالهن إلى الشمس ليحترق الدم الذى يجرى في عروقهم ويزداد حمرة، بعد أن بهت فى الجيتو وعالم الأغيار!». والإنسان الجديد هو الصابرا: هذا الإنسان العبرانى المعادى للفكر، القوى، البسيط، المباشر، الذى يرفضه يهود المنفى ولا يفهم هو سلوكهم أو خضوعهم. والصابرا يدين بالولاء لدولته القومية ولا يعانى من أى ازدواج فى الولاء، ويحب أن يسير مع الجماعة ولا ينفصل عنها (وقد جاء فى إحدى القصائد الإسرائيلية أن الصابرا، حينما

يحلم، يحلم بضمير جمع المتكلمين) ، وهو لا يؤمن بالدين، فقد تمت علمنته تماماً على النمط الأوربى، كما أن هُويته العبرانية هُوية قومية مرتبطة بالأرض لا بالقيم الدينية. وهو، علاوة على كل هذا، شخصية منتجة تتحكم فى مصيرها. وينعكس كل هذا فى الأبعاد العسكرية لشخصيته، ولذا نجد أن ذروة هذه الشخصية وأقصى تَحقُّق لها هو الكيبوتسنيك، أى عضو الكيبوتس الذى لا ينتمى إلى أسرة مُحدَّدة، ويعيش فى مجتمع شبه زراعى شبه عسكرى فى بيئة مختلفة تماماً عن الجيتو.

وقد وصف عالم الاجتماع الفرنسى جورج فريدمان أفراد هذا النموذج الجديد بأنهم «أغيار يتحدثون العبرية»، فهم يتسمون بكل سمات الأغيار ـ ومنها معاداة اليهود، ولا يختلفون عنهم إلا فى اللغة. وقد أشار كوستلر إلى النموذج الجديد باعتباره طرزاناً يهودياً، أى إنساناً «طبيعياً» مجرداً من التاريخ والقيم يعيش بقيم الغابة الغربية الداروينية، ولم يبق له من اليهودية سوى الشكل، أى أنه علمانى تماماً. ويُشار إليه أحياناً بوصفه «سوبرمان يهودى» قياساً على سوبرمان أو بطل نيتشه الأرقى الذى يُمجِّده الفكر الصهيونى. وبالفعل، نجد أن الصابرا يُجسِّد مجموعة من القيم النيتشوية التى تُعلى من شأن القوة والفعل مقابل الضعف والفكر.

ولكن هذه الرؤية المختلة للذات، والتى لا تستند إلى التاريخ، تحوى داخلها عدة تناقضات مذكورة فى الموسوعة بالتفصيل.

٢٢ ـ ترانفسير (طرد ونقل) الفلسطينيين
Transfer of the Palestinians

إن إفراغ فلسطين من سكانها هدف صهيونى، وضرورة منطق الأسطورة والعنف الإدراكى الصهيونى. ولكى يحقق الصهاينة مخططهم تبنوا تكتيكات مختلفة، فلم يكن العنف المسلح الوسيلة الوحيدة، وإنما كانت لهم وسائل أخرى أيضاً. وقد اتهم لودفيج جومبلوفيتش، عالم الاجتماع البولندى اليهودى، هرتزل بالسذاجة السياسية، ثم طرح عليه سؤالاً بلاغياً: «هل تريد أن تؤسس دولة بدون عنف مسلح أو مكر؟! هكذا.. بالتقسيط المريح ؟!». ومن المؤكد أن العنف المسلح والمكر هما الأداتان اللتان استخدمهما الصهاينة. ويتمثل المكر فى نشر الذعر والإرهاب بين العرب، أما العنف

فيتمثل في تعريضهم للإرهاب الفعلي. ويمكن القول بأن الإرهاب الصريح ضد الفلسطينيين استُخدم قبل ١٩٤٨، ثم خلال فترة الحرب كلها. أما نشر الرعب بين السكان، أي الحرب النفسية، فقد تصاعدت حدتها في المرحلة الأخيرة. وليس لهذا التمييز بين العنف المسلح والمكر أية أهمية، إلا من الناحية التحليلية البحتة، حيث إن الأسلوبين متداخلان، بل إنهما، في الواقع، مجرد عنصرين في مخطط واحد متكامل. ففي حالة مذبحة دير ياسين، على سبيل المثال، حرَص الصهاينة حرصاً شديداً على إطلاع جميع الفلسطينيين على الحادث، ليقوموا من خلاله بغرس الخوف والهلع في القلوب.

وكان من أكثر أساليب الحرب النفسية شيوعاً أسلوب استخدام مكبرات الصوت والإذاعات لخلق جو من الذعر بين سكان قُضي على قيادتهم أثناء الثورات المتكررة السابقة، ولاسيما بعد قمع ثورة عام ١٩٣٦ ضد الاحتلال البريطاني. وعلى سبيل المثال، فقد حذر راديو الهاجاناه العرب، يوم ١٩ فبراير عام ١٩٤٨، من أن الزعماء العرب سيتجاهلون أمرهم. وفي الساعة السادسة من مساء يوم ١٠ مارس أذاع الراديو أن «الدول العربية تتآمر مع بريطانيا ضد الفلسطينيين». وفي الساعة السادسة من مساء يوم ١٤ مارس ١٩٤٨ أذاع الراديو: «إن سكان يافا في حالة ذعر كبيرة .. إلى درجة أنهم ظلوا داخل منازلهم». وأشار الكاتب اليهودي هاري ليفين في مذكراته إلى ذلك البيان، الذي كان قد سمعه يوم ١٥ مايو أثناء إذاعته من عربات مكبرات الصوت الصهيونية باللغة العربية، والذي كان يحث العرب على «مغادرة الحي قبل الساعة الخامسة والربع صباحاً»، ثم ينصحهم بقوله : «ارحموا زوجاتكم وأطفالكم، واخرجوا من حمام الدم هذا .. اخرجوا من طريق أريحا، الذي مازال مفتوحاً. وإن مكثتم هنا، فإنكم بذلك ستجلبون على أنفسكم الكارثة». وقد تجولت أيضاً مكبرات الصوت التابعة للهاجاناه في جميع أنحاء حيفا، تهدد الناس، وتحثهم على الفرار مع أسرهم (وذلك وفقاً لما جاء في كتاب المؤلف الصهيوني جون كيمشي «الأعمدة السبعة المنهارة»).

إن الإشارات المتكررة إلى الكوارث المُتوقَّعة والانهيار الوشيك هي من الموضوعات الأساسية التي ركزت عليها إذاعة الهاجاناه، ومكبرات الصوت التابعة لها، في المناطق الآهلة بالسكان العرب. وثمة موضوع آخر تكرر في الحرب النفسية التي شنها

المستعمرون الاستيطانيون، وهو خطر انتشار الأوبئة الوشيك. ففى الساعة السابعة والنصف مساء يوم ٢٠ مارس ١٩٤٨ بدأت الإذاعة الصهيونية فى إذاعة بيان باللغة العربية جاء فيه: «هل تعلمون أنه يُعتبَر واجبا مقدّساً عليكم أن تُطعِّموا أنفسكم على وجه السرعة ضد الكوليرا والتيفوس وما شابه ذلك من الأمراض، حيث إن من المتوقع انتشار مثل هذه الأمراض فى شهرى أبريل ومايو بين العرب فى التجمعات الحضرية». وقد تم استخدام الموضوع نفسه يوم ١٨ فبراير عام ١٩٤٨، عندما أكدت السلطات الصهيونية، عن طريق الراديو، أن المتطوعين العرب «يحملون وباء الجدرى»، وأضافت تقول، يوم ٢٧ فبراير، إن «الأطباء الفلسطينيين قد أخذوا يفرون».

هذا عن أساليب الحرب النفسية، أو أساليب المكر التى اتبعها الصهاينة، وهى، بلا شك أساليب كانت مبتكرة آنذاك. ولكن الملاحظ الموضوعى لا يملك إلا أن يشهد بأن العقل الصهيونى بمقدرته اللامتناهية على الإبداع فى مجال العنف المسلح أو الإرهاب، قد طوّر وجدّد فى مجال العنف المباشر، أكثر من تجديده فى مجال المكر والحرب النفسية.

وقد علق حاييم وايزمان على نتائج الإرهاب والمكر الصهيونيين قائلاً: «إن خروج العرب بشكل جماعى كان تبسيطاً لمهمة إسرائيل ونجاحاً مزدوجاً: انتصاراً إقليمياً، وحلاً ديموجرافياً نهائياً. إن الأرض، بعد تفريغها من سكانها، أصبحت بلا شعب، حتى يأتى الشعب الذى لا أرض له».

٢٣ - حق العودة الفلسطينى

The Palestinians Right of Return

عودة الفلسطينيين جزء لا يتجزأ من عملية نزع الصبغة الصهيونية عن الدولة الصهيونية الاستيطانية. وحق العودة حق أساسى من حقوق الإنسان. وفى الميثاق العالمى لتلك الحقوق مادة تنص على حق كل مواطن فى العيش فى بلاده أو تركها أو العودة إليها. وهو مرتبط بحق الملكية والانتفاع بها والعيش فى الأرض المملوكة. وحق الملكية لا يزول بالاحتلال. وهو مرتبط أيضاً بحق تقرير المصير الذى اعترفت به الأمم المتحدة كمبدأ منذ عام ١٩٤٦.

لقد اعتبر السماح بعودة اللاجئين أحد الشروط التى وضعت لقبول إسرائيل عضواً بالأمم المتحدة عام ١٩٤٨. وثمة إعلان صريح وشهير أصدرته الجمعية العامة تحت رقم ١٩٤ لسنة ١٩٤٨، قررت فيه «أن اللاجئين الراغبين فى العودة إلى أوطانهم، والعيش بسلام مع جيرانهم، يجب أن يُسمَح لهم بذلك، فى أول فرصة عملية ممكنة، وأنه يجب التعويض عن ممتلكات الذين لا يرغبون فى العودة، ودفع تعويض عن الخسائر والأضرار التى أصابت الممتلكات لإصلاحها وإرجاعها من قبَل الحكومات والسلطات المسئولة، بناءً على القانون الدولى والعدالة».

إن مقولة نسيان الماضى والتطلع إلى المستقبل تزدرى العقل الإنسانى وتهينه، لأننا لا نعرف إنساناً يمكن ان يَنْسى وطنه لمجرد أن هناك من يدعوه إلى شطبه من ذاكرته، ويبلغ ذلك الازدراء ذروته خصوصاً إذا صدرت الدعوة من الطرف الإسرائيلى الذى يستمد كل شرعيته من الماضى، ويعتبر قادته أن التوراة كتاب لتسجيل المدن ورسم الخرائط - على حد تعبير إسحق رابين - .

أما حكاية أن الفلسطينيين لم يعودوا راغبين فى العودة، فهى مسألة لاينبغى أن يفترضها أو يفرضها أحد على أحد، وإنما يقررها كل فلسطينى بنفسه. ثم إنها أكذوبة أخرى تعمد إلى التزييف والتضليل، وساكنو المخيمات منذ الأربعينيات شاهد عملى على ذلك. وإذا علمنا أن الذين طردوا وشردوا فى عام ١٩٤٨ كانوا آنذاك ٨٠٥ آلاف شخص، فإن عددهم الآن - ونحن على مشارف العام الخمسين للنكبة - قد تجاوز أربعة ملايين و٦٠٠ ألف شخص. وكل من امتلك منهم شيئاً فى فلسطين لا يزال يحتفظ بأوراقه الثبوتية حتى هذه اللحظة، ومنهم من لا يزال يحتفظ بمفاتيح داره وخزائن ثيابه، ويعتبرها مقدَّسات محرَّزة فى مكان أمين، بحسبانها حبلاً سُرياً يصلهم بالوطن المنهوب.

***

ثانياً : في المكان والجغرافيا

١ ـ القدس (أورشليم)

Jerusalem (Its Names)

«القدس» تقابلها في العبرية كلمة «يروشالايم»، وقد وردت الكلمة بهذه الصيغة في العهد القديم أكثر من ستمائة وثمانين مرة. وهي كلمة مشتقة (منذ مطلع القرن التاسع عشر قبل الميلاد) من الكلمة الكنعانية اليبوسية «يورشاليم» (من مقطع «يارا» بمعنى «يؤسس»، أو من «أور» بمعنى «موضع» أو «مدينة»، ومن مقطع «شولمانو» أو «شالم» أو «شلم» وهو الإله السامي للسلام). وفي الكتابات المصرية المعروفة بـ «نصوص اللعنة» التي يرجع تاريخها إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، وردت الكلمة بشكل «روشاليموم». وقد وردت في مراسلات تل العمارنة (القرن الرابع عشر قبل الميلاد) ست رسائل من عبدي خيبا، ملك «أوروسالم». ويتكرر الاسم بشكل «أوروسليمو» في الكتابات الآشورية التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد. أما في كتابات القرن الرابع اليونانية، فقد سُمِّيت «هيروسوليما»، ومن الواضح أن الاسم اللاتيني «جروسالم» جاء من الاسم الكنعاني للمدينة. وذكر ياقوت الحَمَوي المدينة في «معجم البلدان» باسم «أورشلين» و«أوريسلم» و«أورسلم». ويُشار إليها أيضاً بأنها «يبوس» نسبة إلى سكانها من اليبوسيين، وهم من بطون العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية نحو عام ٢٥٠٠ ق.م واحتلوا التلال المشرفة على المدينة القديمة. وقد ورد اسم «يبوس» في الكتابات المصرية الهيروغليفية باسم «يابثي» و«بابتي» وهو تحريف للاسم الكنعاني.

وقد بنى اليبوسيون قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من يبوس سُمِّيت «حصن يبوس»، ثم أُطلق عليها فيما بعد اسم «حصن صهيون». ويُعرَف الجبل الذي أقيم عليه الحصن باسم «الأكَمة» أو «هضبة أوفل»، وأحياناً باسم «جبل صهيون». وقد أنشأ السلوقيون، في موضع حصن يبوس، قلعة منيعة عُرفت باسم «قلعة عكرا» أو «إكرا». وتُسمَّى القدس أحياناً «صهيون».

وتُطلق التوراة على المدينة، إلى جانب لفظ «يورشالايم»، لفظ «شاليم» و«مدينة الإله» و«مدينة العدل» و«مدينة السلام» و«مدينة الحق»، وكذلك «المدينة المقدَّسة» و«مدينة الشعب المقدَّس» و«ارئييل» (أى «أسد الإله»). ويذكر المؤرخ اليونانى هيرودوت، فى القرن الخامس قبل الميلاد، مدينة كبيرة فى سوريا (بلاد الشام) سماها «قديتس» (وهذا الاسم على الأرجح تحريف للنطق الآرامى «قديشتا» أى «القدس»). وعندما استولى داود على المدينة حوالى سنة ١٠٠٠ ق.م، لم يجد اسماً خاصاً يُطلَق عليها فسماها «مدينة داود»، ولكنها عادت بعد ذلك إلى اسمها القديم.

وفى العهد الرومانى، دمَّر الامبراطور إيليوس هادريانوس المدينة (عام ١٣٥) وغيَّر اسمها إلى «إيليا كابيتولينا». و«إيليا» هو اسم الإمبراطور بعد تعريفه، و«كابيتولينا» نسبة إلى «الكابيتول» معبد جوبتر كبير آلهة الرومان. وأعاد إليها الإمبراطور قسطنطين، الذى اعتنق المسيحية فى القرن الرابع الميلادى، اسمها القديم «أورشليم». ويبدو أن اسم «إيليا» ظل مُتداولاً بدليل وروده فى العهد العُمَرى (عهد الأمان الذى منحه الخليفة عمر بن الخطاب إلى سكان المدينة عام ٦٣٨). وفى العصور التالية، سُمِّيت المدينة «بيت المقدس» و«القدس الشريف»، وقد سماها أحد علماء المسلمين فى القرن الخامس الهجرى بالاسمين : «بيت المقدس» و«إيليا».

ونحن فى الموسوعة نستعمل كلمة «أورشليم» للإشارة إلى المدينة بمعناها الروحى ومعناها الدينى عند اليهود كجماعة دينية، كما هى الحال فى عبارة مثل «نلتقى العام القادم فى أورشليم»، فالإشارة هنا إلى فكرة دينية، وليس إلى المدينة العربية. وفى غير هذين السياقين، نستخدم كلمة «القدس» للإشارة إلى المدينة التى كانت عاصمة فلسطين والتى استولى عليها الصهاينة واتخذوها عاصمة لدولتهم الصهيونية.

٢ - تهويد القدس
Judaization of Jerusalem

«التهويد» هو عملية نزع الطابع الإسلامى والمسيحى عن القدس وفرض الطابع الذى يُسمَّى «يهودياً» عليها. وهو جزء من عملية تهويد فلسطين ككل، ابتداءً من تغيير اسمها إلى «إرتس يسرائيل»، ومروراً بتزييف تاريخها، وانتهاءً بهدم القرى العربية وإقامة المستوطنات ودعوة اليهود للاستيطان فى فلسطين.

وقد بدأت عملية التهويد منذ عام ١٩٤٨، وزادت حدتها واتسع نطاقها منذ يونيه ١٩٦٧. وقد ارتكزت السياسة الإسرائيلية على محاولة تغيير طابع المدينة السكانى والمعمارى بشكل بنيوى، فاستولت السلطات الإسرائيلية على معظم الأبنية الكبيرة فى المدينة، واتبعت أسلوب نسف المنشآت وإزالتها لتحل محلها أخرى يهودية، كما قامت بالاستيلاء على الأراضى التى يمتلكها عرب وطردهم وتوطين صهاينة بدلاً منهم.

وقد أعلن بن جوريون فى مجلس الشعب المؤقت (الكنيست فيما بعد) يوم ٢٤ يونيه ١٩٤٨ أن مسألة إلحاق القدس بإسرائيل ليست موضع نقاش، فما يُناقش هو كيفية تحقيق هذا الهدف. وقد أُعلنت القدس عاصمة لإسرائيل فى ٢٣ يناير ١٩٥٠.

وقد قامت السلطات الإسرائيلية بنقل وزاراتها إلى القدس (الغربية) وأنفقت موازنات كبيرة على تطويرها. وبعد أن كان المستوطنون الصهاينة لا يملكون سوى ١٨٪ فقط من الأرض قبل عام ١٩٤٨، أصبح الوجود العربى فى الجزء لا يُذكَر وبخاصة مع طرد ٣٠ ألف فلسطينى من القدس (الغربية) نفسها و٤٠ ألف آخرين من القرى المجاورة التى دخلت غالبيتها فيما بعد فى نطاق بلدية القدس.

وحينما نشبت حرب ١٩٦٧ اجتاحت القوات الإسرائيلية المدينة بأكملها. وحينما لاحت إمكانية صدور قرار عن مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار قبل تنفيذ خطة الاستيلاء على المدينة تقرر اقتحام المدينة القديمة، وتم الاستيلاء عليها فى السابع من يونية، ودخل ديان إلى القدس ليُعلن أمام حائط المبكى : «لقد أعدنا توحيد المدينة المقدّسة، وعدنا إلى أكثر أماكننا قداسة. عدنا.. ولن نبارحها أبداً».

وقد صدر فى ٢٦ يونيه ١٩٦٧ قانون يسرى بموجبه قانون الدولة وقضاؤها وإدارتها على القدس (ثم تكرّست هذه السيطرة القانونية بقرار ضم مدينة القدس فى ٣٠ يوليه ١٩٨٠، حين أقر الكنيست قانوناً أساسياً يعتبر القدس الكاملة والموحّدة عاصمة لإسرائيل). ثم شرعت بعد ذلك فى استكمال التهويد حيث هوّدت القضاء النظامى والشرعى الإسلامى، ثم عملت على تهويد التعليم العربى من خلال إخضاعه لبرامج التعليم اليهودى. كما هوّدت اللوائح والإجراءات والقوانين التى كانت تحكم الأوضاع المهنية والتجارية والاقتصادية. ثم، واستكمالاً لهذه العملية، قامت بتغيير أسماء الشوارع والطرق والساحات واستبدلت بها أسماء صهيونية.

ورغم أن القانون القاضى بضم القدس قد صدر بعد ١٨ يوم من احتلال المدينة، إلا أن عملية تغيير معالمها بدأت فى اليوم التالى للحرب، حين قامت الجرافات الإسرائيلية بهدم ١٣٥ بيتاً يسكنها ٦٥٠ شخصاً فى حى المغاربة، وهدمت مسجدين فى المنطقة نفسها و٢٠٠ بيتاً ومخزناً كانت تقعُ فى المنطقة الحرام. وفى الأيام المعدودة اللاحقة هدمت ٣٨ بيتاً ضمنها ١٤ بيتاً من البيوت الأثرية التى تُعتبَر من معالم المدينة القديمة. وعلقت تميمة الباب (ميزوزاه) على أبواب القدس باعتبار أنها «بيت» اليهود.

وحتى يمكننا فهم عملية تهويد القدس يجب أن ننظر إليها لا باعتبارها عملية التهام عشوائية نهمة، وإنما باعتبارها مخططاً بارداً له أهدافه الواضحة ويُترجَم من خلال إجراءات محدَّدة. هذا المخطط يهدف إلى «تأسيس القدس الكبرى الموسعة، اليهودية الخالصة : كتلة استيطانية ضخمة تُمزِّق وإلى الأبد الوحدة الجغرافية للضفة الغربية» (كما ورد فى إحدى وثائق حزب الليكود). ويستهدف هذا المخطط أن تكون القدس الكبرى عام ٢٠٠٠ بمنزلة «متربوليتان» : تمتد غرباً باتجاه تل أبيب، وجنوباً باتجاه حلحول والخليل، وشمالاً إلى ما وراء رام الله، وحتى حدود أريحا شرقاً. وكل هذا يعنى ضم حوالى ١٢٥٠ كم (ثلاثة أرباعها من الضفة الغربية)، وأن تبلغ مساحة القدس الكبرى ٢١٪ من مساحة الضفة، بحيث يبلغ طول المدينة ٤٥ كم وعرضها ٢٥ كم.

ومن أهم الآثار التى تعرضت لعملية تدمير، وكانت مُستهدَفة من قِبَل الجرافات الإسرائيلية، المسجد الأقصى، حيث يبقى وجوده تعبيراً عن هُويةٍ وتاريخٍ وعقيدةٍ. وبصرف النظر عن محاولات التسلل للمسجد، أو المطالبة بفتحه لليهود لأداء صلواتهم دون قيد؛ فإن هناك محاولات جادة لتخريبه، ومن ثم هدمه. فمحاولات الاقتحام وفتح النيران العديدة فى المسجد أصابته بالعديد من التشققات والتصدعات، وقد تم إحباط العديد من محاولات المتطرفين تفجير المسجد بسبب ارتفاع التكلفة السياسية والأمنية لمثل هذه التصرفات، وكان أخطرها ما تم إحباطه فى ٢٧ يناير ١٩٨٤ حيث حاولت جماعة مسلحة يهودية تسلق جدار الحرم القدسى من الناحية الشرقية لكن الحراس تنبَّهوا للأمر، وهو ما أدى إلى هروب المقتحمين مخلِّفين وراءهم كمية كبيرة من القنابل والمتفجرات. كما أن محاولات حرق المسجد الأقصى معروفة، وكان أبرزها الحريق

الذى تم فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ والذى أدانه قرار مجلس الأمن رقم ٢٧١. إلا أن أخطر خطط الهدم هى تلك الكشوف الأثرية المزعومة والتى لم تتوقف حتى صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٥/٣٦ الصادر فى ٢٨ أكتوبر ١٩٨١ والذى يطالب إسرائيل بالكف عن هذا العبث. وتتطلع بعض العناصر الدينية الصهيونية إلى إعادة بناء «الهيكل» (ليَحُلَّ محل المسجد الأقصى).

ويعيش بمدينة القدس حالياً* ٥٦٤ ألف نسمة منهم ٤١٣.٧ يهودى (أى حوالى ١٠٪ من سكان إسرائيل اليهود)، بنسبة ٧٣.٣٪ و١٥٠.٦ ألف غير يهودى بنسبة ٢٦.٧٪ (يُلاحظ أن تعداد القدس عام ١٩٦٧ كان حوالى ٢٦٦.٣٠٠ نسمة، فزاد عدد اليهود بنسبة ٩٩٪ ولم يزد عدد السكان غير اليهود عن ٢٠٪). وفى ظل التوسعات الصهيونية فى المدينة فإن مساحتها أصبحت تعادل عُشر مساحة الضفة الغربية. وهذه الزيادة المشار إليها لم تأت نتيجة تكثيف تهجير اليهود أو ارتفاع معدلات الخصوبة بشكل كبير بين الجماعات اليهودية فى إسرائيل، بل أتت - كما أسلفنا - من خلال محاولة التحكم العددى فى السكان الفلسطينيين من خلال مجموعة من الآليات مثل التهجير والإخلاء والإرهاب، والتضييق عليهم فى مستوى معيشتهم، ومن خلال التضييق فى إصدار تراخيص البناء.

ويُلاحظ أن عمليات التهويد والتوسع أخذت فى التسارع قبل حلول مناقشات الوضع النهائى التى كان من المفترض إجراؤها فى منتصف عام ١٩٩٦، بهدف تغيير وضع القدس من الناحية البنيوية. وكما قال أحد المسئولين الإسرائيليين : «سيستحيل على السيد عرفات أن يَزعُم أن القدس الشرقية عاصمته. قد ينجح فى القيام بعمل رمزى، غير أن عمليات البناء التى قمنا بها ستجعل تقسيم المدينة من جديد أمراً مستحيلاً».

٣ - الخليل (حبرون)

Hebron

كلمة «الخليل» هى المقابل العربى للكلمة العبرية «حبرون» ومعناها «صاحب» أو «عصبة» أو «رباط» أو «اتحاد».. والخليل مدينة فى فلسطين، وكان الكنعانيون

---

* يلاحظ أن جميع الإحصاءات والأرقام الواردة فى هذه المشاركة هى آخر ما سجل وقت كتابة الموسوعة، التى انتهى منها الدكتور المسيرى عام ١٩٩٩م (المحرر) .

يسمونها «قرية أربع» (باليونانية: «تيترابوليس» أى «مدينة رباعية»). وتقع مدينة الخليل على بعد تسعة عشر ميلاً من القدس وثلاثة عشر ميلاً ونصف الميل من بيت لحم، على ارتفاع ثلاثة آلاف وأربعين قدماً من سطح البحر، وحولها عيون ماء كثيرة. وهى إحدى المدن الأربع المقدّسة لدى اليهود التى يجب ألا تنقطع فيها الصلاة، إلى جانب القدس وصفد وطبرية.

وقد شهدت الخليل ثورة ديموجرافية حقيقية بعد احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ لوفود عدد كبير من اللاجئين إليها. فزاد عدد سكانها ٥٤٪ خلال ٢٧ عاماً. وقد اختارت إسرائيل بعد ضم الضفة الغربية عام ١٩٦٧ موقعاً متميزاً على تلة لتقيم مستوطنة صهيونية تُسمَّى «قريات أربع» وقامت بمحاولات لتهويد الحرم الإبراهيمى.

وقد شهدت المدينة واحدة من أكبر المذابح الصهيونية، حينما قام المستوطن الصهيونى باروخ جولدشتاين بإطلاق النار على المصلين وهم ساجدون داخل الحرم الإبراهيمى، فاستُشهد منهم أكثر من ثلاثين. وقد تبيَّن أن الإرهابى الصهيونى (الذى قُتل أثناء الحادث) من مستوطنة قريات أربع، وأنه ضابط طبيب فى الجيش الإسرائيلى، وأنه استخدم رشاشه الرسمى فى الجريمة. وقد أقام له المستوطنون مقبرة خاصة أصبحت مزاراً لهم.

٤ ـ غزة
Gaza

«غزة» كلمة سامية فيما يبدو، وتعنى «قُوَى» أو «كنوز» أو «مخازن». وقد عرفها العبرانيون باسم «عزة»، والفرس باسم «هازاتو»، وسماها العرب «غزة هاشم» نسبة إلى هاشم بن عبد مناف جد الرسول الذى مات ودُفن فيها.

وتشير الكلمة فى الثقافة العربية إلى كلٍّ من قطاع غزة ومدينة غزة. وتَبعُد المدينة ثلاثة أميال عن ساحل البحر المتوسط إلى الشرق، وعشرة أميال إلى الجنوب من عسقلان. ويمر بها الطريق الساحلى الرئيسى الممتد من لبنان إلى مصر ماراً من شمال فلسطين إلى جنوبها. وغزة آخر مدينة كبيرة قبل الوصول إلى سيناء، وآخر محطة لمن يريد دخول مصر، وأول محطة لمن يريد دخول فلسطين من ناحية الجنوب. ونظراً لموقعها الجغرافى، كان الاستيلاء عليها يعنى السيطرة على طرق الحرب والتجارة بين آسيا وأفريقيا فى العالم القديم.

وبعد عام ١٩٤٨، دخلت غزة تحت الحكم الإدارى المصرى، ومنها قام الفدائيون الفلسطينيون بشن هجماتهم على إسرائيل. وفى عام ١٩٦٧، ضمَّتها إسرائيل، ولكنها قاومت الاحتلال بضراوة. وقد اعترف ديان وزير الدفاع الإسرائيلى حينذاك بأن غزة «يحكمها الفدائيون فى الليل». وقد اندلعت منها الانتفاضة الفلسطينية الأولى فى ديسمبر ١٩٨٧، واستمرت فى التصاعد. وبمقتضى اتفاقية أوسلو أصبحت غزة خاضعة للسلطة الفلسطينية.

٥ - أريحا
Jericho

«أريحا» من «يرخو» وهى كلمة كنعانية تعنى «مدينة القمر» (وقد يدل هذا على أن عبادة القمر السامية كانت منتشرة فيها). ويُقال إن معناها أيضاً «الروائح العطرية» (ويشار إليها فى العصر الحديث أحياناً بكلمة «الريحا»).

وأريحا مدينة كنعانية قديمة يرجع تاريخها إلى حوالى سبعة آلاف عام، وقد اكتُشف فيها أقدم فخار وأقدم نحت فى العالم، وتُعَدُّ أقدم مدن فلسطين. بل ويُقال إنها أقدم مدينة فى العالم قائمة حتى اليوم (وحيث إنها هُجرت بعض الوقت ، فإن دمشق ودمنهور - فى سوريا ومصر - هما المدينتان اللتان تستحقان هذا الشرف، إذ أن الحياة البشرية مستمرة فيهما دون انقطاع منذ ظهرتا إلى الوجود)

٦ - صفد
Safed

«صفد» من الكلمة الكنعانية «صفت» بمعنى «العطاء». وهى مدينة فى الجليل تقع فوق جبل على ارتفاع ألفين وسبعمائة وثمانين قدماً من سطح البحر. وهى إحدى المدن الأربع المقدَّسة عند اليهود (إلى جانب القدس والخليل وطبرية). ومع هذا، لم يأت ذكرها فى الكتاب المقدَّس؛ إذ يبدو أنها كانت قرية صغيرة ضئيلة الشأن. وقد ظلت كذلك حِقَباً طويلة من الزمن، فلم يأت لها ذكر فى الفتوحات العربية الأولى. وقد دارت المعارك بين الفرنجة والمسلمين حول صفد إلى أن حررها الظاهر بيبرس عام ١٢٦٧، ثم أصبحت عام ١٥١٧ جزءاً من الدولة العثمانية.

ولا نعرف الكثير عن تاريخ وجود أعضاء الجماعات اليهودية فيها، وحينما زارها بنيامين التطيلي في القرن الثاني عشر، لم يجد فيها يهوداً. لكن بعض اليهود المهاجرين من إسبانيا استوطنوها في القرن الخامس عشر. وكان اليهود المقيمون فيها يتاجرون في التوابل والجبن والزيت والخضراوات والفواكه.

وفي القرن السادس عشر، أصبحت صفد مركزاً دينياً، إذ عاش فيها يوسف كارو مؤلف «الشولحان عاروخ» وإسحق لوريا وتلميذه حاييم فيتال، وهم من أهم القبّاليين، وبذلك أصبحت صفد مركزاً للدراسات القبّالية. ومع هذا، لم يكن عدد اليهود فيها يزيد على سبعمائة وست عشرة أسرة عام ١٥٤٨. وفي نهاية القرن السابع عشر، كان عدد اليهود من دافعي الضرائب لايزيد على عشرين. وقد استوطنها، مع نهاية القرن الثامن عشر، بعض الحسيديين. وقد احتلتها القوات البريطانية ضمن ما احتلت من فلسطين عام ١٩١٨، واستوطنها الصهاينة. وفي عام ١٩٤٨ تم طرد سكانها العرب وحل محلهم مستوطنون صهاينة.

٧ ـ الجليل
Galilee

«الجليل» من «الجلجال» وهو لفظ سامي يُرجَّح أن يكون كنعاني الأصل ومعناه «الحجر المستدير الشكل»، ومعنى الكلمة بالعبرية «دائرة» أو «مقاطعة». والجليل هو اسم المنطقة الشمالية من فلسطين، وتقع بين نهر الليطاني ووادي يزرعيل، عرضها تسعة عشر ميلاً وطولها خمسة وعشرون ميلاً. وهي مقاطعة جبلية منتجة للحبوب وتَكثُر فيها الجبال، مثل الكرمل وجلبوع، التي يَبلُغ ارتفاع بعضها أربعة آلاف قدم.

وتُعدُّ الجليل من أوليات المناطق التي سكنها الإنسان، ومن أقدم مدنها مدينة مجدو التي شهدت معارك طاحنة بين الكنعانيين والمصريين (١٤٨٠ ق.م). وقد سكنتها الحويون والجرجاشيون وغيرهم من الأقوام. وقد استقرت قبائل نفتالي وأشر ويساكر وزوبولون في الجليل. كما انتقلت إليها قبيلة دان. ولم يستطع العبرانيون طرد سكان الجليل، ولذا ظل سكانها خليطاً. وقد أعطى سليمان لحيرام (ملك صور) عشرين من

مدنها نظير أدوات بناء ابتاعها منه. وبعد التهجير إلى بابل والعودة منها، أصبحت أغلبية سكانها من غير اليهود. وقد غزاها شيشنق أثناء حكم رحبعام، وضمها الآشوريون ثم حكمها الفرس والسلوقيون. وفي عام ٦٣ ق.م. احتلها الرومان وأصبحت الجليل تابعة لهم. وفي عهد الرومان كانت فلسطين تُقسَّم إلى ثلاث مناطق: الجليل والسامرة ويهودا (يوديا باللاتينية). وكانت الجليل ذاتها تُقسَّم إلى الجليل الأعلى والجليل الأسفل.

وحينما قام التمرد الحشموني، كان عدد اليهود من القلة بحيث اضطر سيمون الحشموني إلى تهجير اليهودية منها خشية أن تهاجمهم الأغلبية، وقد هاجر بعض اليهود إليها أثناء حكم الأسرة الحشمونية بعد أن ضم أرسطوبولوس الأول منطقة يهودا. وفي تلك المرحلة التاريخية، كان يهود الجليل غير ملتزمين بالشعائر الدينية كتلك الخاصة بالختان والعشور. ولذا، كان يُشار إلهم باسم «عَمْ هاَرتس» أي «عوام الأرض»، وهي عبارة تفيد أنهم أجلاف غير مؤمنين. وكان نطقهم للعبرية مختلفاً عن نطق اليهود الموجودين في يهودا. وتقول المصادر إنهم لم يكن بوسعهم التمييز بين حرفي الألف والعين. وقد انضم بعض يهود الجليل إلى التمرد الأول ضد روما (٦٦ ـ ٧٣م)، وكان قائد القوات اليهودية في الجليل هو يوسيفوس الذي استسلم للرومان. ولم يتخذ الرومان إجراءات انتقامية ضد سكانها من اليهود لأن أعداداً منهم، خصوصاً في صفورية وطبرية، كانت متعاطفة مع الرومان. أما التمرد الثاني (١٣٢ ـ ١٣٥م) ضد روما، فلم يؤيده سكان الجليل من اليهود.

وأصبحت الجليل مركزاً للدراسات الدينية، إذ تضم طبرية التي صارت مقراً للسنهدرين. ومن مدن الجليل أيضاً الكرمل وصفد. ويقع فيها بحر طبرية المعروف باسم «بحر الجليل». وقد نشأ السيد المسيح في الجليل، ولذا فقد كان يعرف بـ «الجليلي». ثم دخلت الجليل بعد ذلك نطاق الحضارة الإسلامية، ونزلت قبائل عربية كثيرة فيها. وتأسست في العهد العثماني بعض الإمارات الإسلامية. ومن أهم مدن الجليل صفد وطبرية وبيسان وعكا. ولا تزال الكثافة السكانية العربية عالية في منطقة الجليل، وذلك على الرغم من المحاولات الصهيونية الرامية لتغيير طابعها السكاني.

٨ ـ طبرية
Tiberias

«طبرية» مدينة فى الجليل. وهى إحدى المدن الأربع التى يقدِّسها اليهود فى فلسطين، والتى يجب ـ حسب اعتقادهم ـ ألا تنقطع فيها الصلاة. أما الثلاث الأخرى فهى : القدس والخليل وصفد. تقع طبرية شمالى شرقى فلسطين عند البحيرة المسماة باسمها (بحيرة طبرية) على بُعد أربعة أميال من طرفها الجنوبى. وقد شيَّدها هيرود أنتيباس (ابن هيرود) عام ٢٢م وسماها باسم الامبراطور طيباريوس لتحل محل صفورية كعاصمة للجليل. وكانت طبرية تقع على طريق تجارى يربط سوريا بمصر، واشتهرت بالتجارة وصيد الأسماك. وتوجد على مقربة منها عيون ساخنة جعلت منها منتجعاً صحياً مشهوراً. وفى النهاية، استقر فيها أثرياء اليهود. ولذا، كانت المدينة تضم مكاتب الحكومة والصيارفة. كما أن بعض أعضاء الطبقات الفقيرة من اليهود استوطنوها ليحصلوا على الأرض والسكنى.

وطبرية أول مدينة يهودية تنال «استقلالها» وتصبح مدينة (بوليس) لها الحق فى أن تعلن الحرب وتُوقِّع المعاهدات وتفرض الضرائب، وكان يحكمها حاكم مُنتخَب تساعده لجنة من عشرة أفراد ومجلس مدينة من ستمائة شخص. وقد استسلمت طبرية للرومان أثناء التمرد اليهودى الأول ضد الرومان، ولذا لم يتم تخريبها. وقد أصبحت مركزاً لليهودية بعد تدمير القدس، فشُيِّدت فيها حلقة تلمودية دُوِّنت فيها المشناه وأجزاء من الجماراه. ومعنى هذا أن التلمود الأورشليمى وُضع فى طبرية.

دخلت طبرية دائرة الحضارة الإسلامية مبكراً، وأرسل الخليفة عثمان بن عفان إليها عام ٣٠ هجرية مصحفاً منقولاً عن مصحفه الجامع كى يقرأ المسلمون فيه القرآن الكريم. وسقطت فى يد الفرنجة بعض الوقت ثم استعادها صلاح الدين عام ١١٨٧ ولكنها سقطت مرة أخرى فى يد الصليبيين عام ١٢٤٠، ثم تم تحريرها بشكل نهائى عام ١٢٤٧.

وسيطر العثمانيون على طبرية عام ١٥١٧، وسمح سليمان القانونى لليهود بالإقامة فيها (١٥٦٢). واستولى نابليون عليها عام ١٧٩٩ ولمدة قصيرة. وازدهرت المدينة أيام الحكم المصرى لفلسطين، إلا أن الدمار لحق بها بسبب الزلزال الشديد الذى وقع عام ١٨٣٧.

وطبرية من مدن فلسطين الأولى التى استقر فيها المستوطنون الصهاينة بسبب وجود مركز دينى فيها، كما كانت أول مدينة فلسطينية سلمتها قوات الاحتلال الإنجليزية للصهاينة.

٩ ـ السامرة
Samaria

«السامرة» هى عاصمة المملكة الشمالية، ويُطلَق عليها باللغة العبرية «شومرون»، نسبة إلى «شمر» الذى كان يمتلك التل الذى بُنيت عليه المدينة. تقع السامرة على بعد ثلاثين ميلاً إلى الشمال من القدس، وستة أميال إلى الشمال الغربى من شكيم (نابلس)، وهى المدينة التى يقع فيها جبل جريزيم الذى يحج إليه السامريون فى عيد الفصح. وتُطلَق كلمة «السامرة» أحياناً على المملكة ككل.

أُسِّست المدينة عام ٨٨٠ ـ ٨٧٩ ق.م حينما جعلها عمرى عاصمة المملكة الشمالية. وقد أتاح هذا الموقع الحصين للمدينة والمطلُّ على طريقين رئيسيين، أحدهما من الجنوب والثانى من الشرق لعمرى ومملكته ـ السيطرة على طرق التجارة التى كانت تعبر فلسطين إلى الممر الساحلى. وقد شيَّد عمرى فى المدينة قصراً عُرِف باسم «بيت العاج»، ويبدو أنه كان من الضخامة والثراء بحيث ظلت الحوليات الآشورية تشير إلى السامرة باسم «بيت عمرى» مدة قرن من الزمن. وظلت المدينة قائمة إلى أن استولى عليها سرجون الثانى فى (٧٢٢ ـ ٧٢١ ق.م) بعد حصار دام ثلاثة أعوام، وقد تحولت إلى عاصمة إدارية للمنطقة. وبعد خضوع السامرة لفتوحات الإسكندر، استوطنتها جالية مقدونية وأصبحت السامرة مدينة يونانية في مظاهرها كافة. وقد هاجمها يوحنا هيركانوس الحشمونى سنة ١٠٩ ق.م وخربها وباع أهلها عبيداً. وبعد مجىء القائد الرومانى بومبى، أُعيدت المدينة لأصحابها السابقين، وأعاد هيرود الأكبر بناءها فى الفترة ٣٧ ـ ٤ ق.م، وهو الذى سماها «سباست» (سبسطية) تكريماً للامبراطور أوغسطس (سباسطوس باليونانية).

وقد اهتم هيرود بإقامة حصن وقلعة بالمدينة ووطَّن فيها عناصر مخلصة له، ولذلك جاء إلى المدينة بستة آلاف من جنوده المُسرَّحين كان بينهم ألمان وغاليون (من الغال

اى فرنسا) وغيرهما من الاجناس. وقد كانت سبسطية مصدراً لجنود الامبراطورية الرومانية. لذلك، حينما قامت الثورة اليهودية ضد الرومان عام ٦٦م، قتل اليهود الكثيرين من سكان سبسطية ودمروا أجزاء منها، لكنها استرجعت نشاطها بعد عام ٧٠م.

وتُطلَق كلمة «السامرة» أيضاً على الجزء الأوسط من فلسطين (بين الجليل ويهودا) والذى سُمِّى باسم السامرة التى تقع فيه. وتَكثُر فى السامرة التلال، ويَغلُب عليها المظهر الجبلى، كما تتميَّز بوفرة أمطارها. ويَحدُّها جبل الكرمل والبحر غرباً، ووادى يزرعيل شمالاً وجبل جلبوع ونهر الأردن شرقاً، ووادى عجلون جنوباً. وقد استقرَّت فى هذه المنطقة قبيلة يوسف (منَسَّى فى الجزء الشمالى، منها وإفرايم فى الجنوب). وبعد التهجير الآشورى، وطَّن فيها سرجون الثانى قبائل أخرى اختلطت بالعناصر اليهودية المتبقية. فظهر السامريون نتيجة تزاوج هذه العناصر (حسب الرواية التوراتية). وقد كانت المنطقة تابعة لآشور وبابل وفارس ومقدونيا والملكة الحشمونية على التوالى. ويشير الأنبياء إلى المنطقة باسم «إفرايم». أما اسم «السامرة» فيعود، على ما يبدو، إلى الآشوريين الذين كانوا يُطلقون اسم العاصمة على المنطقة التى يضمونها.

والآن يُطلق الصهاينة مصطلح «يهودا والسامرة» على الضفة الغربية لتسويغ الضم ، وإحياء ما باد من تاريخهم.

١٠ ـ جلعاد
Gilead

«جلعاد» تعبير عبرى من «جال» التى تعنى «حجر»، و«وعد» التى تعنى «شاهد»، أى أن «جلعاد» تعنى «شاهد حجر». وقد أتى فى العهد القديم : «هذه الرجمة هى شاهدة بينى وبينك اليوم. لذلك دُعى اسمها جلعاد» (تكوين ٣١ / ٤٧). وتُستخدم الكلمة للإشارة إلى كل المنطقة شرقى نهر الأردن وجنوبى نهر اليرموك والتى تسكنها بعض القبائل العبرانية ومن أهمها قبيلة جاد. وقد كتب لورنس أوليفانت كتاباً بعنوان «أرض جلعاد» يحتوى على مشروع صهيونى استيطانى. وتركز الكتابات الإسرائيلية الصهيونية فى الوقت الحاضر على أهمية أرض جلعاد باعتبارها جزءاً من أرض إسرائيل الكبرى

١١ ـ بيت إيل

Bethel

«بيت إيل» تعبير عبرى معناه «بيت الرب». وهى مدينة كنعانية قديمة كانت تُعرف باسم «لوز» على بعد ستة عشر كيلو متراً من القدس ونابلس، واسمها الحديث «بيتين». ولم تكن بيت إيل مدينة حصينة، لكنها كانت محاطة بعدة عيون ماء، وواقعة على الطريق من أريحا إلى البحر الأبيض المتوسط. وقد كانت بيت إيل مكاناً مقدَّساً لدى الكنعانيين قبل التسلل العبرانى، ثم استولت عليها قبيلة يوسف وصارت من نصيب قبيلة إفرايم. ويربط الموروث الدينى اليهودى بين إيل وكلٍّ من ابراهيم ويعقوب، حيث بنى فيها الأول مذبحاً حيث تَجدُّد العهد الإلهى. وفيها رأى يعقوب حلماً وتغيَّر اسمه إلى يسرائيل، وأصدرت دبوراه أحكامها بالقرب منها. وقد وُضعت فيها خيمة الاجتماع، كما وُضع فيها تابوت العهد قبل أن يُنقل ويستقر فى القدس. وكانت بيت إيل مركزاً لاتحاد القبائل، ولكنها فقدت أهميتها بعد بناء الهيكل. وشيُّد فيها يربعام ملك المملكة الشمالية هيكلاً قومياً لمملكته، كما شيد هيكلاً آخر فى دان وزوَّده بعجول ذهبية، حتى لا يحج سكان مملكته إلى هيكل القدس. ويبدو أنها كانت عاصمة المملكة الشمالية لبعض الوقت. وقد ألقى فيها عاموس نبوءاته. وهاجمها يوشيا ملك المملكة الجنوبية، وذبح كهنتها وخرب أصنامها وهياكلها. وهدمها الآشوريون ثم دمَّرها بعد ذلك البابليون ومن بعدهم الفرس. وقد أُعيد بناؤها فى العصر الهيلينى، ولكنها هُجرت مع الفتح العربى.

١٢ ـ شكيم

Shechem

«شكيم»، وتُكتَب أيضاً «شيكيم» ويكتبها السامريون «شخيم»، وهى كلمة عبرية معناها «كتف» أو «منكب». وتُطلَق هذه الكلمة علَماً على مدينة كنعانية قديمة تقع بين جبل جريزيم وجبل عيبال فى الضفة الغربية. وتعود أقدم حوائطها إلى عام ٢٠٠٠ ق.م، وهى فترة تسبق التغلغل العبرانى. وكانت المدينة تحت حكم الأسرة الثانية عشرة

المصرية، وضرب الآباء العبرانيون خيامهم على أطرافها (تكوين ١٢ / ٦). وقد حدث أول اتصال بين إبراهيم والكنعانيين فيها، وفيها أيضاً ظهر الإله لإبراهيم وبنى له مذبحاً. ووجد يعقوب أن الحويين يقيمون فيها. وأثناء التغلغل العبرانى، نهبتها قبيلتا سيمون ولاوى، ووقعت فيها حادثة دينا وشكيم بن حامور الملك. وأصبحت شكيم أول مركز دينى للعبرانيين. وعند انقسام المملكة العبرانية المتحدة. أصبحت شكيم عاصمة المملكة الشمالية لبعض الوقت وفقدت أهميتها بتصاعُد أهمية مدينة السامرة. ولكنها، مع هذا، ظلت مركز العبادة للسامريين. وفى عام ٧٢م، أسس فسبسيان مدينة نيابوليس التى كان معظم سكانها سامريين، وهى التى اشتُق من اسمها اسم نابلس الحالية. وقد عُثر فى المدينة على طبقات سكنية تعود إلى العصور البرونزية الوسيطة والبرونزية الحديثة وإلى العصرين الحديدى واليونانى. كما عُثر فيها على معبد كنعانى ضخم يُعتبر من أكبر المعابد الكنعانية على الإطلاق.

١٣ ـ شيلوه

Shiloh

«شيلوه» اسم عبرى معناه «موضع الراحة». و«شيلوه» اسم مدينة من أصل كنعانى تقع على بعد عشرة أميال شمالى بيت إيل على الطريق بين نابلس والقدس، على بعد سبعة عشر ميلاً منها. وقد تكون شيلوه هى خربة سيلون (من الكلمة العربية: سلْوى).

وكانت هذه المدينة موطن النبى صموئيل. وقد وضع يشوع بن نون فيها تابوت العهد حيث بقى ثلاثمائة عام. كما كانت هذه المدينة المركز الدينى والإدارى أثناء فترة الاستيطان الأول. وقد قسَّم فيها يشوع أرض كنعان ووزعها على القبائل العبرانية. وكان العبرانيون يَحجُّون إليها ويقضون فيها العيد إبّان حكم القضاة.

ومنذ أن اختطف الفلستيون تابوت العهد، لم يرجع هذا التابوت إلى شيلوه. ففقدت المدينة مكانتها، وانتقل مركز العبادة إلى القدس.

١٤ ـ جبل الهيكل

Temple Moynt

«جبل الهيكل» مصطلح يقابله فى العبرية تعبير «هر هبايت». ويُشار إليه فى الدراسات العربية بمصطلح «هضبة الحرم». كما يُقال له أيضاً «جبل موريا» و«جبل بيت المقدس»، وهى منطقة فى جنوب شرقى القدس. ويذهب اليهود إلى أن الهيكلين الأول والثانى قد شُيِّدا على هذه الهضبة، وأن تضحية إبراهيم بإسحق ـ حسب زعمهم ـ تمت على هذا الجبل. وتُعتبر هذه البقعة أكثر الأماكن قداسة بالنسبة إلى اليهود. ومن ثم، فإنهم لا يمكنهم دخولها إلا بعد تطبيق بعض شعائر الطهارة التى تحتاج إقامتها إلى رماد «البقرة الحمراء»، وهو أمر مستحيل فى الوقت الحاضر، ومن ثَمَّ يذهب معظم فقهاء اليهود إلى أن من المحرَّم على اليهود دخول هذه المنطقة.

ويُوجَد فى هذه المنطقة ما يزيد على مائة أثر إسلامى، من أهمها : المسجد الأقصى ومسجد القبة.

ـ هدم الهيكل

Destruction of the Temple

تشير عبارة «هدم الهيكل» عادةً إلى عملية هدم الهيكل على يد تيتوس عام ٧٠م، وإن كان من المعروف أن نبوختنصر كان قد هدمه من قبل عام ٥٨٦ ق.م. كما أن هيرود هدمه عام ٢٠ ـ ١٩ ق.م، ليعيد تشييده مرة أخرى. وقد هُدم الهيكل، حسب الكتابات الفقهية اليهودية، فى التاسع من آب، ولذا يصوم اليهود فى ذلك اليوم. لكن هناك من يذهب إلى أن هدم الهيكل تم فى ٧ أو حتى ١٠ آب. ولحسم هذا التناقض، تقول هذه الكتابات : إن هدم الهيكل بدأ فى التاسع من آب وانتهى فى العاشر منه. وتذهب الكتابات الصهيونية، والمتأثرة بها، إلى أن هدم الهيكل على يد الرومان هو الذى تَسبَّب فى تشتت اليهود فى المنفى على هيئة أقليات، مع أن انتشار اليهود فى بقاع الأرض كافة كان قد بدأ قبل ذلك بزمن طويل وبدون قسر. والواقع أن مجموع اليهود خارج فلسطين كان يفوق بكثير عددهم داخلها قبل هدم الهيكل.

وتجب ملاحظة الفرق بين عمليتى هدم الهيكل ونهبه، إذ أنه نُهب عدة مرات قبل هدمه، فقد نُهب مثلاً على يد شيشنق فرعون مصر، ومرة أخرى على يد يوآش ملك المملكة الشمالية.

ويرى بعض حاخامات اليهود أن هدم الهيكل كان عقاباً لهم على ما اقترفوه من ذنوب. وهذا الرأى يأخذ به المسيحيون، حيث يرون أن ذنب اليهود الأكبر هو إنكارهم أن المسيح عيسى بن مريم هو الماشيِّح.

ويشار إلى هدم الهيكل بتعبيرات أخرى مثل «خراب الهيكل »، ولكننا نفضل تعبير «هدم الهيكل» لحياده النسبى.

وفى الكتابات العبرية، يُشار إلى تخريب الهيكل بكلمة «حوربان» التى تُستخدَم للإشارة إلى أى دمار يلحق باليهود، ومن ذلك الإبادة النازية ليهود أوربا.

ـ خراب الهيكل

Destruction of the temple

«خراب الهيكل» هو «هدم الهيكل».

ـ إعادة بناء الهيكل

Rebuliding the Temple

تُستخدَم عبارة «إعادة بناء الهيكل» بمعنيين :

١ ـ إعادة بناء الهيكل بعد عودة اليهود من بابل بمرسوم قورش الأخمينى (٥٣٨ ق.م)، ومن ثَم فإنه يُسمَّى «الهيكل الثانى» تمييزاً له عن الهيكل الأول الذى هدمه نبوختنصر. وقد أصدر ملك الفرس دارا الأول أمراً بالاستمرار فى بناء الهيكل بعد أن اعترضت بعض الأقوام المقيمة فى أرض فلسطين على عملية إعادة البناء هذه. والواقع أن استخدام العبارة بهذه الصورة أمر نادر، إذ أن الاستخدام الأكثر شيوعاً يشير إلى :

٢ ـ إعادة بناء الهيكل بعد عودة الشعب اليهودى إلى صهيون، فى آخر الأيام، تحت قيادة الماشيِّح. وهذا هو الهيكل الثالث باعتبار الهيكل الثانى هو الذى بناه هيرود وهدمه تيتوس.

وبالنسبة لرأى الفرق اليهودية المختلفة فى العصر الحديث فى مسألة إعادة بناء الهيكل، فإنه يمكننا منذ البداية أن نقسِّمهم إلى صهاينة وغير صهاينة. أما غير

الصهاينة، فيعارضون العودة الفعلية، ومن ثم فهم ضد محاولة إعادة بناء الهيكل. وقد حذف الإصلاحيون الأدعية الخاصة بإعادة بناء الهيكل، ويستعملون كلمة «تمبل Temple» الانجليزية، أى «المعبد»، منذ عام ١٨١٨ للإشارة إلى الهياكل اليهودية. وهم، فى الواقع، يقصدون أن المعبد، أينما وُجد، حلّ محل الهيكل، وأن الهيكل لن يتم استرجاعه أبداً. أما الأرثوذكس، فيفضلون استخدام الكلمة اليونانية «سيناجوج» للإشارة إلى المعبد اليهودى، على أن تظل كلمة «هيكل» محدّدة الدلالة، لا تشير إلا إلى هيكل القدس. وقد احتفظ الأرثوذكس بالأدعية الخاصة بالعودة، وتبعهم المحافظون. وتظل العودة، بالنسبة إلى الأرثوذكس، مسألة مرتبطة بعودة الماشيّح. أما بالنسبة إلى المحافظين، فهى تشبه المجاز والتطلع الطوباوى المثالى.

أما الصهاينة، فينقسمون فى موقفهم من قضية إعادة بناء الهيكل إلى قسمين : صهاينة لادينيون وصهاينة دينيون. وفى الواقع، فإن الفريق الأول لا يكترث كثيراً بالعبادة القربانية، ولا بإعادة بناء الهيكل. ولذا، فهم ينظرون إلى القضية من منظور عملى، ويرون أن محاولة الصهاينة المتدينين إعادة بناء الهيكل هى مسألة هَوَس دينى يهدد المُستوطن الصهيونى بالخطر دون عائد مادى ملموس. ومن ثم، نجد أن مسألة إعادة بناء الهيكل لا تتمتع بشعبية كبيرة داخل إسرائيل (التى تتمتع بواحد - أو بالأحرى: تعانى منه - من أعلى مستويات العلمنة فى العالم). وقد أشار تيدى كوليك (عمدة القدس) إلى أولئك المهووسين الذين قاموا بوضع حجر أساس بناء الهيكل، وبيّن أنهم يسيرون فى خط شبتاى تسفى.. ذلك الماشيّح الدجال الذى ألهب حماس معظم اليهود فى القرن السابع عشر، ووعدهم بالعودة إلى فلسطين، وعيّن بعض أتباعه حكاماً للأرض، ثم انتهت الحركة بالإخفاق الذريع، الأمر الذى رجّ اليهودية رجاً من أساسها وألقى بها فى أزمة لم تُفق منها قط. وقد عارض الحاخام جورين، صاحب فتوى موقع قدس الأقداس، مسألة وضع أساس الهيكل الثالث.

ويرى الصهاينة المتدينون (المتطرفون) المسألة من منظور مختلف، فمسألة إعادة بناء الهيكل مسألة ذات أهمية مركزية بالنسبة إليهم، ولذا فإنهم يركزون جُلّ اهتمامهم على هذه العملية، والقضية بالنسبة إليهم مسألة عقائدية وليست علمية. والواقع أن كثيراً من المنظمات الإرهابية الصهيونية الجديدة قد جعلت إعادة بناء الهيكل، وهدم الآثار الإسلامية الموجودة فى هذا الموقع، من أهم أهدافها.

ورغم هذا الانقسام، بشأن إعادة بناء الهيكل، فإننا نجد أن بعض الأطروحات التى صُنِّفت فى الماضى باعتبارها دينية مهووسة ومتطرفة، صارت الآن مقبولة بل وأصبحت جزءاً من الخطاب السياسى الصهيونى، أو من برامج الأحزاب «المعتدلة»! ولذا؛ فليس من المستبعد أن نجد جميع الصهاينة (الأقلية المتدينة والأغلبية الملحدة) تؤيد كلها بعد قليل إعادة بناء الهيكل باعتباره أمراً أساسياً للعقيدة الصهيونية لا تكتمل بدونه !

أما المسيحيون الأصوليون فيرون أن بناء الهيكل هو الشرط الأساسى للعودة الثانية للمسيح. وقد عُقد مؤتمر عام ١٩٩٠ تحت رعاية وزارة الأديان فى إسرائيل لمناقشة هذه القضية، ولتقرير ما إذا كان على اليهود فى العصر الحديث إعادة بناء الهيكل.

١٥ ـ حائط المبكَى (حائط البُراق)
Wailing Wall

«حائط المبكى». ترجمة لتعبير «ويلنج وول Wailing Wall » الإنجليزى، ويقابله فى العبرية «كوتيل معْرافى» أى «الحائط الغربى»، والذى يسميه المسلمون العرب «حائط البراق». ويُقال إنه جزء من السور الخارجى الذى بناه هيرود ليحيط بالهيكل والمبانى الملحقة به. ويُعتبر هذا الحائط من أقدس الأماكن الدينية عند اليهود فى الوقت الحاضر، ويبلغ طوله مائة وستين قدماً. أما ارتفاعه فهو ستون قدماً. وقد سُمِّى هذا الحائط باسم «حائط المبكى» لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح. وقد جاء فى الأساطير اليهودية أن الحائط نفسه يذرف الدموع فى التاسع من آب، وهو التاريخ الذى قام فيه تيتوس بهدم الهيكل.

ومنذ القضاء على تمرد بركوخبا ضد الرومان، صار موقع الهيكل المهدَّم، لا الحائط، مركزاً للتطلعات الدينية اليهودية. لكن التاريخ الذى بدأت تقام فيه الصلوات بالقرب من الحائط غير معروف، فالمصادر المدراشية تشير إلى «حائط الهيكل الغربى» أو «الحائط الغربى»، ولكن هذا الحائط المشار إليه لا تتركه الحضرة الإلهية البتة، ومن ثم فهو حائط أزلى لم يتهدم ولن يُهدَم. ومن الواضح أن الإشارة لم تكن إلى حائط المبكى، وإنما إلى الحائط الغربى لقدس الأقداس. ولما كان الهيكل قد هُدم بالفعل، فلابد أن الحديث كان يحمل مدلولاً رمزيا وحسب.

والواقع أن كل المصادر التى تتحدث عن يهود القدس (حتى القرن السادس عشر) تُلاحظ ارتباطهم بموقع الهيكل وحسب، ولا توجد اية إشارة محدَّدة إلى الحائط الغربى. كما أن الكاتب اليهودى نحمانيدس (القرن الثالث عشر) لم يذكر الحائط الغربى فى وصفه التفصيلى لموقع الهيكل عام ١٢٦٧، ولم يات له ذكر ايضاً فى المصادر اليهودية التى تتضمن وصفاً للقدس حتى القرن الخامس عشر. ويبدو أن حائط المبكى قد أصبح محل قداسة خاصة ابتداءً من ١٥٢٠م، فى أعقاب الفتح العثمانى وبعد هجرة يهود المارانو حَمَلة لواء النزعة الحلولية المتطرفة فى اليهودية، ولعل هذا يفسر بداية تقديس الحائط. فالنزعة الحلولية، كما أسلفنا، تتبدَّى دائماً فى صورة تقديس الأماكن والأشياء، من تمائم واحجبة وحوائط، إيماناً بأن الإله يتجلى فى كل كبيرة وصغيرة. كما أنه قد يكون هناك تشبُّه بالمسلمين فيما يخص تقديس الكعبة والحجر الأسود. ولذا ، نجد أن حديث الحاخامات الرمزى عن «الشخيناه» فى علاقاتها بالحائط يكتسب مدلولاً حرفياً. وقد تعمَّق هذا الإيمان فى القرن التاسع عشر، وبدأ حائط المبكى يظهر فى فلكلور الجماعات اليهودية، وبدات عمليات الحفر والتنقيب الأثرى فى منطقة هضبة الحرم حول حائط المبكى، والتى كانت تشعل جذوتها النزعة الإمبريالية والديباجات المسيحية الاسترجاعية. وقد ترسخت صورة حائط المبكى فى الوجدان اليهودى والصهيونى. ومع هذا، فإن الحاخام هيرش (رئيس جمعية الناطورى كارتا)، الذى يعيش فى القدس على بعد أمتار من الحائط، يرفض زيارته، ويؤكد أن تقديس الحائط إن هو إلا حيلة من الحيل السياسية للصهيونية.

وقد حاول الصهاينة الاستيلاء على الحائط ، عن طريق الشراء فى بادئ الأمر، كما حاولوا مع فلسطين كلها، ولعلهم فى هذا يرجعون إلى فكرة أن إبراهيم اشترى مغارة المكفيله وأن داود اشترى جرن أرونا اليبوسى. ومن تلك المحاولات محاولة الحاخام عبدالله (حاخام الهند) شراء الحائط عام ١٨٥٠. وقد حاول السير موسى مونتفيورى أن يستصدر تصريحاً بوضع الكراسى أو المظلات الواقية من المطر أمام الحائط، ولكن طلبه رُفض. وفى عام ١٨٨٧، حاول البارون روتشيلد شراء الحىّ المجاور للحائط لإخلائه من السكان، واقترح أن تشترى إدارة الوقف أرضاً أخرى بالأموال التى ستحصل عليها، وتُوطن السكان فيها، وهو حل يحمل كل ملامح الحلول الصهيونية (الترانسفير)، وقد رُفض طلبه كذلك. وقبل الحرب العالمية الأولى، قام البنك الأنجلو فلسطينى بمحاولات جادة لشرائه. كما قام الصهاينة بمحاولات للاستيلاء على

الحائط، أو التسلل إلى منطقة هضبة الحرم عن طريق تقديم رشاوى، أولاً للحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين حيث عرضوا عليه نصف مليون جنيه إسترلينى، ثم عرض على الشيخ سعيد العلمى مبلغ مليون دولار. وغنىٌ عن البيان أن هذه المحاولات لم تُكلَّل لا بكثير ولا بقليل من النجاح.

ولم تكن محاولات الاستيلاء تتم عن طريق العنف المالى وحسب، إذ كان العنف يأخذ أشكالاً مادية مباشرة حينما كان الصهاينة يحاولون تأكيد حقوقهم فى الحائط وفى هضبة الحرم. وقد كانت هذه المحاولات يقابلها الرفض من قِبَل الفلسطينيين، الأمر الذى كان يؤدى إلى الاشتباكات بين الطرفين. ومن أشهر الاضطرابات التى نجمت عن الاحتكاك بين المستوطنين اليهود والعرب بسبب هذه القضية تلك الاضطرابات التى حدثت فى ٢٢ سبتمبر ١٩٢٢، أو تلك التى حدثت فى اليوم السابق ليوم الغفران ثم فى يوم الغفران نفسه (فى ٢٤ سبتمبر ١٩٢٨) حين أصرت إدارة الوقف على أن يزيل الإنجليز ستارة أو فاصلاً (محيتساه) كان الأرثوذكس قد وضعوها ليفصلوا بين الرجال والنساء. وقد قام ضابط بريطانى بإزالة الستارة. وتزايدت الاضطرابات عام ١٩٢٩ حين قام الصهاينة بجلب الكراسى والمصابيح والستائر ووضعوها أمام الحائط. ورغم عدم أهمية الحدث فى حد ذاته، فإن له دلالة خطيرة؛ إذ أن الكراسى وغيرها من الأشياء كانت تهدف إلى تغيير الوضع القائم (وهذا ضد السياسة التى تبنتها حكومة الانتداب، التى كانت تحرص على ترك كل شىء يتعلق بالأمور الدينية على ما هو عليه). وقد زادت الاضطرابات إلى أن جاء يوم الغفران فى ١٥ أغسطس ١٩٢٩ حين قادت منظمة بيتار مظاهرة نحو الحائط . وبعد هذه الحوادث، شكلت الحكومة الإنجليزية لجنة تحقيق استمعت إلى شهادات اليهود والمسلمين والموظفين البريطانيين، وقد قررت اللجنة أن المسلمين هم المالك الوحيد للحائط وللمناطق المجاورة، وأن اليهود يمكنهم الوصول إلى الحائط للأغراض الدينية فحسب، على ألا ينفخوا فى البوق (الشوفار) وألا يجلبوا خيمة أو ستارة أو ماشابه ذلك من أدوات. وقرَّرت اللجنة أن أية أدوات عبادة يحق لليهود وضعها بمقتضى الأمر الواقع بالقرب من الحائط لا يترتب على إنشائها أى حق عينى لليهود فى الحائط أو فى الرصيف المجاور له. وقد استمرت المظاهرات حتى عام ١٩٤٧.

وهذا الحائط يقع ضمن الأراضى الفلسطينية التى احتُلت عام ١٩٦٧، فقامت القوات الإسرائيلية بإزالة الحى المجاور للحائط، وكذلك كل البيوت الملاصقة له،

وأقامت أمامه ميداناً، وأصبح الحائط بؤرة اهتمام للمنظمات الصهيونية الجديدة. وتقوم الدولة الصهيونية بالعديد من الحفائر حول الحائط والتي أدت إلى تَصدُّع الآثار الإسلامية.

وأما اليهود اللادينيون فإنهم يسخرون من هذا الحماس الديني، ويشيرون إلى الحائط الغربي (بالعبرية : كوتيل) باسم «ديسكوتيل»، أي المرقص الليلي الديني !

وقد تحوَّل الحائط إلى بؤرة تجمعت فيها مشكلات التجمع الصهيوني ، خصوصاً الصراع الحاد بين العلمانيين والمتدينين. ومن أهم القضايا التي أثيرت مؤخراً، قضية الفاصل أو الستارة التي تفصل بين الجنسين أثناء الصلاة أمام حائط المبكى، إذ يطالب الأرثوذكس بوضعها بينما يرى اللادينيون والإصلاحيون أنه لا حاجة إليها. ويشير بعض المؤرخين الإسرائيليين إلى أنه في بداية فترة الهيكل الثاني، لم يكن هناك أي فصل بين الجنسين، وأن هذه الممارسة لم تبدأ إلا قبل هدم الهيكل بسنوات قليلة.

وقد بدأت بعض النسوة اليهوديات من ناشطات حركة التمركز حول الأنثى بالمطالبة بالمساواة الكاملة في الصلاة مع الرجال، وكونَّ جمعية تُسمَّى «نساء من أجل الحائط» حيث يقمن بارتداء شال الصلاة (الطاليت) وتلاوة التوراة ومحاولة الاشتراك في صلاة الجماعة، وهو ما تحرمه الشريعة اليهودية عليهن.

وقد لوحظ أخيراً تَزايُد المحلات المتخصصة في بيع المجلات والأدوات الإباحية في القدس بالقرب من الحائط . وقام ناشر مجلة بنت هاوس الإباحية بنشر طبعة عبرية من مجلته، وقام بزيارة لإسرائيل بهذه المناسبة فاستُقبل استقبالاً شبه رسمي أمام حائط المبكى! وقد احتجَّت الجماعات الدينية اليهودية على هذا.

ـ الحائط الغربي

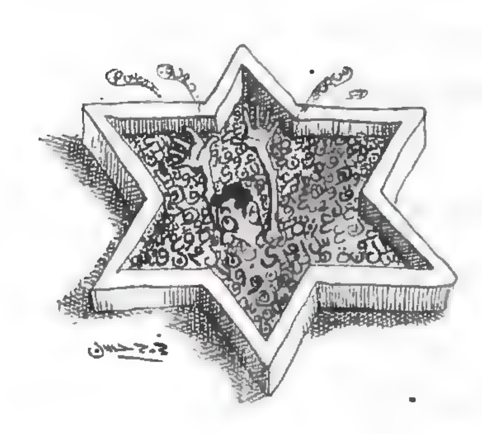
Western Wall

«الحائط الغربي» هو «حائط البُراق» الذي يسميه الصهاينة «حائط المبكَى».

* * *

القسم
الأول

(٢)
التحيُّز فى المصطلح فى قضايا الصراع والحضارة



د . أحمد صدقى الدجانى*

* كاتب ومفكر من فلسطين .



إن قضية المصطلحات قضية هامة للغاية لم يعطها الكثيرون منا حقها من الاهتمام، فتساهلوا فى استخدام مصطلحات نحتها الغير من وجهة نظره، وكان لذلك ماكان من نتائج سلبية، لعل فى مقدمتها التبعية الفكرية. فمن الضرورى إدارك دلالة المصطلحات التى نكثر من استخدامها دون وعى لما تعبر عنه من رواية ومنظور ومفاهيم غربية.

وقضية المصطلحات تبرز فى كل صراع، وتحتل أهمية خاصة فى الإعلام المتصل به، وأى خطأ فى التعامل معها تكون له نتائج وخيمة. والصراع هنا قد يكون حضارياً عند الاحتكاك بين حضارتين، وقد يكون سياسياً. وواضح أن الطرف الآخر فى كلٍّ من هذه الصراعات يحاول أن يفرض مصطلحاته ليلوِّن الحقائق على طريقته. فعلينا أن نقف أمام كل مصطلح يشيع فاحصين ممحِّصين قبل الانجرار إلى فخ استخدامه، وعلينا أن نحدد وننحت مصطلحاتنا نحن، وأن نحيى القديم لتحقيق التواصل الحضارى مع أجدادنا والتفاعل الصحيح مع قومنا، ثم نعمل على طرحها وتعميمها بعد صياغتها والاتفاق عليها.

ولننظر إلى بعض المصطلحات الشائعة مثل مصطلح "العالمية"، وهو مصطلح نكثر استخدامه على صعيد الفكر والآداب .. فما مدلوله ومفهومه؟

لقد ورد هذا المصطلح فى مشروع أدبى عدة مرات وهو يتحدث عن «الأدب العالمى»، و«المكتبة العالمية»، و«المشهد الثقافى العالمى»، فألح علىَّ أن أكتب للمسئولين عن المشروع قائلاً : " أستشعر الحاجة وأنا أتأمل فى عالمنا المعاصر إلى تحديد دقيق لمدلول هذا المصطلح.. والتساؤل متصل بتحديد الأنا والذات، وبالموقف من الآخر، وبالدوائر الحضارية، وبتفاعل الحضارات ".. ونلاحظ أن الغرب قد دأب على احتكار هذا اللفظ بحيث أصبح مصطلح العالمية ينصرف إليه، فكل ماهو غربى عالمى فى نظره وكأن العالم مقتصر عليه. وقد وقع بعضنا من أبناء الحضارات الأخرى فى محظور القبول بهذا المدلول الخاطئ للمصطلح، فأصبحوا ضحايا تبعية فكرية خطرة، واتجهت أنظار أدبائنا مثلاً إلى جائزة نوبل وهى جائزة غربية، وتحدث بعضنا عن

الأديب العالمى فلان لمجرد أنه غربى، وعن لغات عالمية وأخرى ليست كذلك. وواضح أن الأمر لا يستقيم إلا بتحديد مدلول واضح للمصطلح الذى ورد فى سورة الفاتحة حين جاء الاستهلال بحمد الله رب «العالمين».

ومصطلح آخر له أهمية كبيرة وهو مصطلح "التقدم"، وهو مصطلح يجب أن نبلور مفهوماً صحيحاً وواضحاً عنه، وأن نحدد مقياساً صحيحاً له، وأن ندرك سبل تحقيقه إن أردنا أن ننجح فى تحقيق أهدافنا فى هذه المرحلة من تاريخنا.

لقد ظهر هذا المصطلح فى الغرب مع تقدم العلم التقنى فى جو سادت فيه فكرة أن تقدم العلم التقنى مرادف للتقدم الانسانى. وعبرت فكرة التقدم هذه عن مفهوم اجتماعى تاريخى، وكانت وثيقة الصلة بمفهوم التطور الذى جاء به داروين، وبمفهوم التغير الذى ينصب على عالم الظواهر الفيزيائية، وكلا المفهومين «عار عن أى مضمون أخلاقى» . بينما التقدم - الذى هو مظهر من مظاهر التغير - مرتبط بقيمه ، فمفهومه معيارى أخلاقى، وهو مفهوم ذاتى يعنى ماهو مرغوب فيه، أو ماهو الأفضل والأصلح، أو ما هو مثالى يرجى تحقيقه، فهو من ثم مفهوم نسبى، يمكن أن يكون اجتماعياً أودينياً أو اقتصادياً أو طبيعياً.

إن نسبة مفهوم التقدم واقترانه فى الغرب بتقدم العلم التقنى جعلت له مفهوماً ينصرف إلى غزارة الإنتاج الاقتصادى والمادى والتوسع فى استغلال مصادر الطبيعة لمصلحة الإنسان ، كما ينصرف إلى الحصول على أكبر قدر من اللذات الدنيوية، وقد نجمت عن ذلك مقاييس له من نوع خاص، مثل تطور الصناعة الذى يستدل عليه من عدد المصانع ومدى إنتاجها ومعدل انتشار المصنوعات، ومثل انتشار الصحف وسائر المطبوعات وسواها من وسائل الثقافة، ومثل مدى استهلاك الأطعمة والأشربة والألبسة وسواها من وسائل العيش أو من أسباب الترف والتنعم، ومثل معدل الدخل الفردى والدخل القومى فى مجتمع من المجتمعات.

ولكن مفهوم التقدم لا ينحصر فى الكشف العلمى التقنى، وإنما هو مفهوم شامل ينطلق العلم فيه من الإيمان، ويتكامل فيه الإبداع مع التحرر، والقدرة العلمية التقنية مع القدرة على البحث والنظر، والإبداع الخُلُقى مع الإبداع الجمالى، وحرية التفكير والتعبير مع العدل، ورسوخ النظم والتقاليد والمؤسسات مع القدوة الصالحة.

والمقياس الصحيح للتقدم يجب أن ينطلق من النظر بدايةً فى " قِوَام الحضارة"، فالحضارة لا تقوم بمظاهرها، بل بنظامها وقيمها . فكل مظهر حضارى فيها يمثل نوعاً من النظام والانتظام، وانتظام الحضارة إنما يتحقق من خلال وحدتها، والمظاهر الحضارية تتضمن دوماً مفاهيم وقيماً تختلف من حضارة إلى أخرى، وللدين فى بعض الحضارات- كما للفلسفة فى حضارات أخرى- أهمية خاصة فى بلورة هذه المفاهيم والقيم.

إن التقدم فى جوهره تحضر وتحرر. ولابد لنا أن نقف أمام كلمة «التحرر» هذه التى كثر تداولها . فالتحرر من الحرية، والحرية مقترنة دوماً بالمسئولية، وهى انطلاقاً من الإيمان بنظرة كونية تعطى التحرر معنى شاملاً، بقهر الظلم على صعيد المجتمع، وبتسخير الطبيعة فى هذا الكوكب الأرضى الذى جعله الله ذَلولاً ليمشى الإنسان فى مناكبه، وبالتحرر من أهواء الذات: **«وأما من خاف مقامَ ربه ونهى النفسَ عن الهوى؛ فإن الجنة هى المأوى»** [سورة النازعات : ٤٠، ٤١].

يقتضى هذا التحرر، على الصُعُد الثلاثة، قدرة عملية تقنية، وقدرة على النظر والبحث. وهاتان القدرتان تتوافران بالإيمان وإعمال الفكر والعمل الصالح. كما يقتضى إبداعاً خُلقياً وإبداعاً جمالياً - أساسهما الإيمان وحرية مسئولة - وعدلاً، ويقتضى أيضاً تربية وقيادة يوفران القدوة الصالحة. لقد انشغل مفكرونا فى عصر نهضتنا الحديث بموضوع التقدم، ولم يقبل غالبيتهم أن يحصر مفهومه فى تقدم العلم التقنى، وإنما فهموه على أنه تقدم عام شامل لمختلف مجالات الحياة وعلى الصُعُد كافة، ورأوه ينطلق من الإيمان بالله ويتجسد فى العمل الصالح الذى يقتضى التواصى بالحق والتواصى بالصبر.

يبقى أن نعمل انطلاقاً من هذا المفهوم الواضح، كى نقضى على رواسب التخلف التى ما تزال تفعل فعلها فينا، ونبلغ بانبعاث أمتنا الحضارى إلى مداه، ونصبح مؤهلين لطرح مفهوم التقدم الصحيح فى عالمنا كى نسهم فى إنقاذ كوكبنا الأرضى من أخطار توظيف التقدم العلمى التقنى لغير صالح الإنسان.

***

وخطورة قضية المصطلحات تبرز على صعيد صراعنا مع الاستعمار الغربى والصهيونية العنصرية، حيث عمل كلاهما على نحت مصطلحاتهما الخاصة بهما، ثم تعميمها فى الساحة الدولية، موظفين فى ذلك سيطرتهما على وسائل الإعلام.

ولنقف أمام مصطلح "الإرهاب" ، حيث نجده يستخدم لوصف أية مقاومة مسلحة للعدوان المسلح الغاشم الذى يقوم به المستعمر الغربى.

وبَدَهىٌ أن أصحاب هذا الفكر الاستعمارى لا يصفون عدوان حكوماتهم بأنه إرهاب. لا .. ولا أنه عدوان. بل إنهم يُضفون عليه صبغة "تمدينية" أو "تحضرية" أو "دفاعية" أو "أمنية"، وهم يعبرون عن فرحهم بنجاح هذا العدوان بأشكال مختلفة، ويعتبرون قياداته أبطالاً يكرمون، والجرائم التى اقترفوها بطولات تجرى الإشادة بها. فإذا مارس الشعب المعتدى عليه حق المقاومة واستخدم السلاح دفاعاً عن نفسه وذوداً عن أرضه وماله وعرضه؛ انطلق هذا الفكر الاستعمارى يصف هذه المقاومة بأنها إرهاب، ويتفنن فى إلصاق أبشع النعوت بها وبأبطالها.

وما أكثر الأمثلة الصارخة على ذلك، بدءاً من الغزو الفرنسى لمصر والبطل سليمان الحلبى الذى كان واحداً ممن قاوموه، مروراً بحملات الغزو الأوروبى لوطننا والأبطال الذين تصدوا لها، ووصولاً إلى الثورة الفلسطينية وهى تقاوم الغزوة الصهيونية

ونقف أمام مصطلح "التفاوض"، فنجد الفكر الاستعمارى الغربى يستخدمه ليطرح بديلاً للمقاومة المسلحة التى يسميها إرهاباً، ولذلك فإنه يضع شرطاً له هو الامتناع عن المقاومة المسلحة - أو على حد تعبيره "الامتناع عن كل أشكال العنف"- ، كما يشترط لحدوثه أن تكون له فى هذا التفاوض اليد العليا ليمارسه من موقع القوة المطلقة، ويحرص على أن يقيد مجاله تقييداً محكماً، ثم يضع شرطاً آخر له وهو ألا يطلب المفاوض الآخر المعتدى عليه شيئاً؛ لأن ذلك يعنى تفاوضاً بشروط، وهو لا يقبل "التفاوض بشروط مسبقة" ! وهكذا يصبح مفهوم "التفاوض" فى هذا الفكر الاستعمارى الغربى عملية إذعان من الطرف الآخر واستسلامه وتسليمه بكل أمر يعرض عليه؛ إذ لا خيار آخر أمامه.

ويبرز مصطلح "السياسة المتوازنة" فى الفكر الاستعمارى الغربى عند الطرف الثالث المتحالف أو المؤيد أو الداعم للطرف الأول الغازى، حين يود الإسهام بدور ويحفظ مصالح له تربطه بالطرف الثانى المعتدى عليه. ومفهوم هذا المصطلح عنده أن يبيع الطرف الثانى كلماتٍ مقابل تمكين الطرف الأول من التحكم بالطرف الثانى، وتستهدف هذه الكلمات تهدئة الطرف المعتدَى عليه بحيث لا يثور، وبعث الأمل فى نفسه كلما أوشك على اليأس بحيث لا ييأس من جدوى التعويل على الطرف الثالث فيختار طريقاً آخر! وتسوِّى هذه "السياسة المتوازنة" فى هذا الفكر الغربى الاستعمارى بين المعتدِى والمعتَدى عليه، وبين تدعيم الأول بكل ما يمكنه من عدوانه مادياً ومعنوياً والاعتراف اللفظى بأن للثانى «حقوقاً مشروعة»، ويستخدم هذا المصطلح ليساند المصطلحين السابقين ويمكِّن لهما. ولذلك نرى الطرف الثالث حريصاً - وهو يتحدث عن سياسته المتوازنة - على أن يدين المقاومة المسلحة للاحتلال، واصفاً إياها بالإرهاب أو بالعنف، ويدعو إلى "التفاوض" بعد التوقف عن "كل أشكال العنف".

ثم نصل إلى مصطلح "قوى التطرف" الذى يستخدمه هذا الفكر الغربى الاستعمارى ليصف به أولئك الذين يمارسون حقهم فى مقاومة العدوان بالكفاح المسلح، ويطرحون قوى الاعتدال "بحثاً عن آخرين" . وقد يطلقه فعلاً على البعض من باب التمنى والرغبة، ومن باب الإيحاء. ويعنى به أولئك الذى يقبلون "أن يأخذوا معه ويعطوا" ويحاوروا، وكم تكون فجيعته حين لا يجد من ينطبق عليه هذا النعت بهذا المفهوم!

لنا أن نعود إلى جميع البيانات التى صدرت عن الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية الغربية لنرى فيها أمثلة لا تحصى لهذه المصطلحات، وكلها تعبر عن هذا الفكر.

***

الأمر الآخر الذى نقف أمامه فى هذا السياق هو ازدواجية المقاييس فى تطبيق المبادىء. وواضح أن الأمر الأول الخاص بالمصطلحات تجسيد له.

ويكثر هذا الفكر الغربي الاستعماري من الحديث عن المبادئ ، ويتفنن في التغزل بها والفخر بأن مجتمعه يقوم عليها، ويسهب في شرح مسيرة إرساء هذه المبادئ التي خاضها الأحرار لنصرتها، ويشير بخاصة إلى وثيقة حقوق الإنسان التي جاءت تتويجاً لما سبقها. كما يشير كل بلد غربي إلى وثيقة خاصة به حفظها تاريخه. ولكن ما إن يبرز أمر تطبيق هذه المبادئ على مجتمعات أخرى يتسلط عليها الغرب حتى يكون لهذا الفك الغربي الاستعماري شأن آخر مع المبادئ نفسها!

إنه في هذه الحالة يتحدث عن "الاعتبارات العملية"، وينحت تعبيرات يَجْهَد في نحتها ليلف ويدور، فبدلاً عن حق تقرير المصير مثلاً يجري الحديث عن الحكم الذاتي، أو الحديث عن "المشاركة في تقرير المستقبل" أو الحديث عن «تحسين نوعية المعيشة» ويتضاءل صوت المبادئ ليرتفع صوت "الواقعية" وتستخدم لغة المصالح.

وواضح هنا أن هذا الفكر الغربي الاستعماري يقيس بمقياسين، ويكيل بمكيالين، وهو في كل الأحوال يعامل معاملة "المطففين" «الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » [سورة المطففين: ٢ ، ٣] . وقد عانت الشعوب المستعمرة ويلات من أبشع نماذج المطففين.

نذكر هنا أن غوستاف لوبون عالم الاجتماع الفرنسي حين درس المجتمع البريطاني لاحظ ازدواج المقاييس، وكيف أن الفارق كبير بين ممارسة البريطاني في مجتمعه وممارسته في المستعمرات للمبادئ التي تعلمه إياها التربية الأنكلوسكسونية. وتفسير ذلك هو أن النظرة التي حكمت هذه التربية هي نظرة "محلية" وليست "عالمية" ، والمثل الأعلى خاص بالمجتمع وليس بالعالمين.

إن المعاناة التي عانتها الشعوب المستعمرة بسبب هذا الأمر تفوق الوصف، وهي ما تزال مستمرة، وكلما تابعت السياسة الأمريكية تجاه حقوق شعب فلسطين رأيت المثل الصارخ لازدواج المقاييس في تطبيق المبادئ، وتذكرت وثيقة وردت في كتاب أمريكي اسمه "علامات على طريق الحرية الأمريكية" - وله ترجمة عربية صدرت بدمشق بعنوان "معالم الحرية"-، الذي جمع وثائقه ميلتون ميلترز وصدر عام ١٩٦١.

الوثيقة تعود إلى عام ١٨٧٩م وهي رسالة وجهها الزعيم جوزيف الهندي الأحمر وقائد قبائل النير بيريز الذي وصفه خصمه الأمريكي جنرال هوارد بأنه أعظم زعيم

فى تاريخ الهنود الحمر، وقد عنونها بـ «رأىٌ هندىٌ عن الأمور الهندية»، وسجل فيها مفاوضاته مع رئيس الولايات المتحدة راذرفورد هيز. وكانت قبيلة النير بيريز من القبائل التى بقيت تكافح بمرارة ذلك الغزو الغربى. وقد قبلوا التفاوض وأبرموا اتفاقات بعد أن أجروا مباحثات، وكانت صدمتهم عنيفة حين رأوا ازدواج المقاييس فى تطبيق المبادئ، وقد عبر عن مرارتهم زعيمهم هذا فى رسالته التى تستحق أن تقرأ كاملة ولكننا نكتفى هنا ببعضها:

«سأنبئكم - على طريقتى - كيف ينظر الهندى إلى الأشياء ، فلدى الرجل الأبيض كلمات كثيرة يعبر بها عن : كيف ينظرون إليه. ولكن قول الحقيقة لا يتطلب الكثير من الكلمات. وما سأقوله يصدر عن قلبى وسأتكلم بلسان مستقيم، و«الروح الأعظم» شاهد على ما أقول فهو يسمعنى »..

«لقد منحنا آباؤنا قوانين عديدة تعلموها عن آبائهم، وهى قوانين جيدة، وتعلمنا أن نعامل الناس بمثل ما يعاملوننا، وألا نكون البادئين بفسخ أية مبايعة، وأن عاراً علينا أن نكذب، وأنه يجب أن نقول الصدق، وأنه عار على الرجل أن يأخذ زوجة الآخر أو ملكه دون أن يدفع ثمنه. وعلمتنا أن «الروح الأعظم» يرى ويسمع كل شئ، وأنه لن ينسى أبداً ، وأنه فى الحياة الأخرى سوف يمنح كل إنسان بيتاً روحياً حسب استحقاقه ، فإذا كان رجلاً صالحاً فسيملك بيتاً جيداً ، وإذا كان فيما مضى رجلاً سيئاً فسوف يملك بيتاً رديئاً.. وهذا ما أعتقد ويعتقده شعبى».

«أخيراً.. سمح لى بالمجئ إلى واشنطن بصحبة صديقى الثور الأصفر، ومعنا مترجم. وأنا مسرور بمجيئى فقد صافحت عدداً من الأصدقاء، إلا أن أشياء كثيرة أود أن أعرفها ويبدو أنه لا أحدَ قادرٌ على تفسيرها».

«فأنا لا أستطيع أن أفهم كيف ترسل الحكومة رجلاً لمحاورتنا ينقض كلامه كما فعلت بالجنرال مايلز. ومثل هذه الحكومة ليست على حق، ولا يمكننى أن أفهم لماذا يسمح لكثيرين من الزعماء، أن يتحدثوا بطرق مختلفة، ويَعِدوا بأشياء كثيرة مختلفة».

«لقد رأيت الرئيس العظيم (رئيس الجمهورية هيز)، والرئيس العظيم الذى يليه (وزير الداخلية)، والوكيل ورئيس القانون وعدداً كبيراً من رؤساء القانون الآخرين

(أعضاء الكونغرس).. وكلهم يدعى صداقتى وأننى سوف أمنح العدالة، ولكنى لا أفهم أن تتكلم ألسنتهم دون أن يقدموا شيئاً لشعبى، فالكلمات الطيبة لا تبقى طويلاً ما لم تبلغ شيئاً ما، ولا تعوضنى بلادى التى يغشاها الرجال البيض الذين لم يحافظوا على قبر أبى، ولن يدفعوا ثمن خيولى ومواشىَّ . الكلمات الطيبة لن تعيد إلىَّ أطفالى.. ولن تمنح شعبى وطناً يستطيع العيش بسلام. ولقد سئمت من الكلام الذى لا يؤدى إلى نتيجة، ونفسى تجيش على بخواطر شتى، حين أتذكر كل الكلمات الطيبة وكل الوعود المنقوضة».

***

ومن متطلبات انتصارنا فى صراع النفس الطويل الذى نخوضه ضد الصهيونية العنصرية التمسك باستخدام المصطلحات التى تعبر عن منظورنا وحقوقنا وتوجهاتنا، ورفض مصطلحات العدو التى تعبر عن منظوره، وأطماعه، وتقلب الحقائق رأساً على عقب.

ينبغى أن نتحدث عن "فلسطين" حين نعرض لأى موضوع يتعلق بالمكان، ونتحدث عن "الضفة الغربية" و "قطاع غزة" و "الجليل" و "النقب" و "المثلث" و "سهل يافا" و"مرج بنى عامر"، ونرفض أى حديث عن «أرض إسرائيل» و«يهودا والسامرا»، ونرفض استخدام مصطلح "جبال جلعاد" الذى يستخدمه العدو بدلاً من "جبال عجلون"، ونرفض استخدام مصطلح "أورشليم" الذى يطرحه بدلاً من "بيت المقدس"، أو مصطلح "جبرون" الذى يستخدمه بدلاً من "الخليل".

ينبغى أن نتمسك بالحديث عن "شعب فلسطين العربى" حين نتحدث عن سكان تلك الأرض الغالية، ونرفض أى حديث عن "السكان" أو "سكان الأراضى" أو حتى "سكان الضفة والقطاع" فضلاً عن استخدام "سكان يهودا والسامرا" . وفرق كبير بين مدلول مصطلح "الشعب" وبين مصطلح "السكان"، فالشعب له حقوقه فى وطنه، ومصطلح السكان يحاول طارحوه أن يلتفوا به على تلك الحقوق.

ينبغى أن نبرز مصطلح "مقاومة الاحتلال" وندين كل محاولة لإلصاق تهمة "الإرهاب" بمن يقاوم، وما أكبر الفرق بين المقاومة والإرهاب!

هل يجوز لنا أن ننساق إلى استخدام مصطلح "العمليات الانتحارية" الذى يصف به العدو "عمليات الاستشهاد" البطولية، ونحن الذين نؤمن بأن الاستشهاد حياة، وبأن الانتحار حرام؟!

إن عدونا يتحدث عن "الواقعية" بمفهومه، وهو يستخدم هذا المصطلح ليدعونا إلى التسليم بالأمر الواقع والاستسلام لشروطه.. فهل هذه هى الواقعية بمفهومنا؟ الجواب: لا ؛ لأن الواقعية بالنسبة لنا مشيدة على أرض صلبة من فهم حقائق الجغرافيا والتاريخ، وهى تقترن بثقافتنا الأكيدة المبنية على التصدى للعدوان.. ومن يضحك أخيراً يضحك كثيراً!

إن حزب العمل الإسرائيلى يتحدث فى برنامجه عن "حل وسط يتعلق بالأراضى" وهى يعنى أن يأكل بذلك جُلَّ الضفة الغربية وقطاع غزة، ويستثنى المناطق الكثيفة السكان بالعرب الفلسطينيين ليحافظ على يهودية الدولة الإسرائيلية. فهل هذا هو فهمنا للحل الوسط ؟ وهل يمكن أن نقبل حلاً وسطاً يفقدنا شبراً من الضفة الغربية وقطاع غزة؟

لقد طرح السيد جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكى- وخلفيته اقتصادية - شعار "تحسين نوعية معيشة الفلسطينيين" فى نوفمبر ١٩٨٣ واتجه ببصره إلى الضفة الغربية .. فهل مشكلة شعب فلسطين العربى فى الضفة تحل بتحسين نوعية المعيشة؟ أم أنها مشكلة حقوق وطنية فيها حق تقرير المصير وحق العودة؟

كثيراً ما يتحدث الغرب عن " الاعتدال" و "المعتدلين" وما أخطر هذا المصطلح إذا كان مدلوله التفريط بحقوق الشعب والتسليم بالأمر الواقع الناجم عن الاعتداء والاغتصاب، ونحن من الذين يلتزمون الاعتدال والقصد، ويدينون الإخلال بالكيل والميزان، وذلك ضمن التمسك بالحق والتصدى للمعتدى المغتصب.

إن مفهوم مصطلح "منظمة التحرير الفلسطينية" يحدده بوضوح ميثاقها الذى تنص مادته الأولى أن كل فلسطينى عضو طبيعى فى منظمة التحرير الفلسطينية، فكيف نفهم هذا الذى يتردد عن فلسطينيين ليسوا فى منظمة التحرير الفلسطينية فى معرض الحديث عن حوار تجريه الولايات المتحدة معهم؟

واضح أن مجالات استخدام المصطلح عدة. فهناك مجال الجغرافيا حين يتعلق الأمر بالأمكنة، وهناك مجال حقوق الشعب، وهناك مجال الأعمال والمسلك. وفى جميع هذه المجالات تشتد الحاجة إلى الأمر نفسه، وهو أن نستخدم مصطلحاً نابعاً منا، يعبر عن منظورنا وحقوقنا وتوجهاتنا.

تبرز هذه الحاجة بصورة خاصة فى المحافل الدولية، وأذكر كيف كنا نصرف الوقت الطويل لتحديد المصطلح المناسب. وقد ثارت أمامنا مرة مسألة استخدام مصطلحى "الأراضى العربية" و" الأراضى الفلسطينية العربية" وذلك عند بحث قضيتى فلسطين والشرق الأوسط. واستقر رأينا على استخدام المصطلح الأول عند بحث القضية الثانية؛ لأن البحث يتعلق بجميع الأراضى العربية التى احتلت عام ١٩٦٧، واستخدام المصطلح الآخر عند بحث قضية فلسطين، لأن منظورنا فى معالجة الموضوع يقتضى إبراز الحق الفلسطيني والتركيز على وجود دائرة فلسطينية خاصة ضمن الدوائر العربية الأوسع.

لقد تساءل مرة أحد طلابى : لماذا الحرص على إلحاق صفة العربى والعروبة عند الحديث عن شعب قُطْر عربى أو عن القطر نفسه، فنقول: شعب مصر العربى، وفلسطين العربية، ومصر العربية؟ فسألته عن ظروف ظهور المصطلح ، والموضوع الذى يعبر عنه. وتوصل الطالب إلى الجواب. فهذا الحرص تعبير عن استشعار الحاجة للربط بين الدائرة القُطْرية والدائرة القومية، ولرفض اصطناع أى تناقض بينهما، والتوكيد على مستلزمات ذلك.

من هنا تتضح وتبرز أهمية قضية المصطلحات هذه فى كل صراع، وتحتل أهمية خاصة فى الإعلام عنه، وفى أية مفاوضات تحدث لتسويته . وأية غفلة عن أهميتها ، وأى خطأ فى التعامل معها ستكون له نتائج وخيمة.

***

ولقد برزت هذه القضية بقوة فى الصراع الذى نشِب بين المسلمين واليهود فى عصر النبوة. فلننظر كيف تعامل المسلمون معها.

يلفت نظرنا أن القرآن الكريم تضمن حديثاً عنها فى سورتين، فقد جاء فى سورة البقرة قوله تعالى : « **ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا: "راعنا" ،وقولوا: "انظُرنا"، واسمعوا. وللكافرين عذاب اليم »**. يقول ابن كثير فى تفسيره هذه الآية : "كان اليهود يعانون من الكلام مافيه تورية لما يقصدونه من التنقيص ، فإن أرادوا أن يقولوا اسمع لنا قالوا : راعنا، ويُورُّون بالرعونة، ولذلك نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين فى مقالهم وأفعالهم".

وورد الحديث الآخر عنها فى سورة النساء من خلال قوله تعالى: **«من الذين هادوا يحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، ويقولون : سمعنا وعصينا، واسمع غير مُسْمَع، وراعنا .. ليّاً بالسنتهم وطعناً فى الدين. ولو انهم قالوا: سمعنا وأطعنا، واسمع وانظرنا.. لكان خيراً لهم واقومَ. ولكنْ لعنهم الله بكفرهم، فلا يؤمنون إلا قليلاً»** [سورة النساء: ٤٦]. يقول ابن كثير فى ذلك: "جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلَّموا إنما يقولون «السام عليكم» ، والسام هو الموت.

لقد انتبه أجدادنا إلى أهمية قضية المصطلحات هذه، مستجيبين لتوجيه الله سبحانه، فأحسنوا نحت مصطلحاتهم وحرصوا على التمسك بها. ويلفت نظرنا كمثَلٍ على ذلك المصطلح الذى جرى استخدامه بعد أن أبرم صلاح الدين الأيوبى هدنة الرملة فى شعبان عام ٥٨٨ هـ مع ريتشارد قلب الأسد، وهو لفظ «الموادعة» وقد رجعت إلى "صبح الأعشى فى كتابة الإنشا" للقلقشندى فوجدته يفرد باباً للمهادنات حدد فيه مدلول كل مصطلح حولها ومتى يستخدم. فهناك الهدنة والمهادنة، وهناك الموادعة والمسالمة، والمقاضاة ـ التى هى التحكيم اليوم ـ .. ولكلٍّ معناه الدقيق.

إن أول ما ينبغى عمله فى التعامل مع هذا الأمر الأول الخاص بالمصطلحات الغربية والصهيونية هو الوقوف أمامها قبل الوقوع فى فخ استخدامها، ويقيناً ستثمر الوقفة رفضها ونبذها. وهذا موقف مطلوب، ولكنه غير كاف. إذ لابد أن نقرنه بطرح مصطلحاتنا نحن والعمل على تعميمها.

نعرف أن تعميم مصطلحاتنا ليس بالأمر السهل، ودونه صعوباتٌ جَمَّة. ونحن نعلم مدى قوة الإعلام الذى ينشر ذلك الفكر الاستعمارى الغربى بوسائل الاتصال

المختلفة، بل إننا نعرف أن الوقوف أمام مصطلحاتهم ونبذها أمر صعب بسبب سيطرتهم على وكالات الأنباء الأقوى فى عالمنا. ومع ذلك فلا بديل عن الوقفة وبذل قصارى الجهد لتعميم مصطلحاتنا، وأضعف الإيمان أن نبدأ بالامتناع عن استخدام مصطلحاتهم فى إعلامنا وأن نستخدم مصطلحاتنا. ولنا أن ننطلق فى ذلك كله - كما سبق - من قوله تعالى : **«يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا : راعنا، وقولوا : انظرنا، واسمعوا. وللكافرين عذاب أليم».**

وقد أسعدنى فى عدد من اللقاءات العربية الفكرية التى شاركت فيها مؤخراً أن تنال قضية المصطلحات التى نستخدمها عناية، وأن يتم التوصل بين الملتقين إلى الاتفاق على المصطلحات التى يستخدمونها فى موضوعات فكرية وسياسية حيوية. وقد تجلى هذا الأمر بخاصة فى المؤتمر العربى الذى انعقد بتونس بين ٣-٥ آذار (مارس) ١٩٩٠، وفى البيان الصادر عنه. وهذا يعنى أن الجهود التى بذلت فى إثارة هذه القضية والتنبيه إلى خطورتها قد أثمرت . ويبقى أن تستمر هذه الجهود وتعزز بجهود لمعالجة القضية لأنها قضية مستمرة.

لقد وقف المشاركون فى هذه اللقاءات أمام عدد من المصطلحات، ودار حوار بينهم حولها فى معرض حوارهم حول القضايا التى تستخدم فيها هذه المصطلحات، فهل نقول: "هجرة اليهود إلى إسرائيل" أم نقول: "التهجير الصهيونى لليهود من أوطانهم إلى فلسطين العربية" ؟ هل نكتفى بالحديث عن ضرورة تحقيق "الأمن العربى" كواحد من أهدافنا العربية، أم لابد من الحديث أيضاً عن "هدف" تحرير الأرض العربية"؟ وهذان مثالان متصلان بالصراع العربى الصهيونى من بين أمثلة كثيرة. وحين يجرى الحديث عن حضارتنا.. أنقول: "الحضارة العربية "أم" الحضارة الإسلامية" "أم «الحضارة العربية الإسلامية"» ؟، ثم.. حين يتطرق الحديث إلى أبناء وطننا العربى الكبير فى أصولهم وأديانهم ومذاهبهم.. أنقول: "أقليات دينية عرقية وإثنية"- وتعبير إثنية هو تعريب لفظ إنكليزى- أم نقول "أقوامٌ ومللٌ" ؟ وحين يجرى الحديث عن أبناء الوطن العربى الذين يقيمون فى أقطار عربية غير أقطارهم، أنقول : "أجانب يحملون مواطنة أجنبية" أم نقول "عرب يتمتعون بالمواطنة العربية" ؟ وكيف يكون حديثنا عن

عمق الوطن العربى والدول المجاورة الواقعة على تخومه؟ .. هل نشير إلى ما يفرق أم إلى ما يجمع؟ إلى ما يثير الشك أم إلى ما يبنى الثقة؟ وهل يجوز وضع الكيان الصهيونى الاستعمارى الاستيطانى- الذى هو غرس حديث فى قلب أرض عربية باركها الله - فى خانة دول الجوار فيتحدث عنه بعضنا على انه من الجيران ويصنفه مع تركيا وإيران وأثيوبيا ونيجيريا وتشاد ؟! وقد اهتزت أركان ندوة شاركت فيها مؤخراً حين وقع مسئول عربى فى هذا الخطأ، وتحدث عن علاقات حسن الجوار مع هذا الكيان من أجل تنمية أقطارنا! وكان أن سمع ما تناساه من حقائق عدوانية الصهيونية وتربصها بنا، وحقيقة الاستعمار الاستيطانى، والعلاقة الوثيقة بين هدف"التحرير" وهدف "التنمية".

نتأمل فى بعض المصطلحات التى يطرحها فكرنا العربى وهو يعالج قضايانا. ونسعد حين نجد مثلاً حرصاً على استخدام مصطلح "التحرير" للدلالة على هدف الأمة بشأن أراضينا العربية المحتلة فى الصراع العربى الصهيونى، ذلك أن عدونا مستمر فى بذل قصارى جهده لمحو هذا المصطلح منذ عام ١٩٦٧ معتمداً مختلفَ الأساليب . ولو تأملنا أساليبه لرأينا تماسك حلقاتها فى سلسلة المصطلحات التى يستخدمها . فقد عمد حين احتل الأراضى العربية إلى تسمية الضفة الغربية "يهودا والسامرة" مستخدماً الاسم التوراتى. وقد حرص فى المحافل الدولية التى ترفض هذه التسمية على أن يتحدث عن "المناطق" أو "الأراضى" دون تحديدها بـ "المحتلة" ليؤكد موقفه بأنه يعتبرها حقاً له. وقد امتلأ الإعلام الخارجى بالحديث عن " التسوية" و"الحل الوسط" ليقفز فوق الحديث عن " الانسحاب" ، ووظف نفوذه الإعلامى للتعتيم على مصطلح «التحرير». ولابد لنا أن نصارح أنفسنا بأن بعضنا تأثر بذلك كله، شعورياً أو لا شعورياً. وتجلى تأثره فى هجرانه لمصطلح «التحرير». وهكذا وجد المفكرون العرب ضرورة التأكيد على هذا المصطلح وإشاعة استخدامه مرة أخرى، ودعوا إلى ذكره عند الحديث عن مصطلح "الأمن العربى" الذى يرسم دائرة أوسع

تحتل دائرة التحرير موقع المركز منها. كما أننا نسعد حين نجد حرصاً على استخدام مصطلح "التهجير الصهيونى لليهود من أوطانهم" ، بدلا من مصطلح "الهجرة".. وقد سبق أن تحدثنا عن الفرق بين المصطلحين.

***

كما بدأ يشيع استخدام مصطلح "الحضارة العربية الإسلامية" عند الحديث عن قضايانا الحضارية، وهذا أمر يسعد. ويلفت النظر أن بعض مفكرينا العرب يحرصون حين يستخدمونه على ذكر أن جميع أبناء أمتنا، على اختلاف مللهم وأقوامهم ساهموا فى بنائها مع أبناء أمم أخرى.

ويتميز هذا المصطلح بأنه يبرز ركنين أساسيين تقوم عليهما الحضارة، هما : ركن العقيدة وركن اللغة التى يجرى التعبير بها. وهذا ما يجعل المصطلح متصفاً بالشمول، ومحققاً من ثَمَّ هدف اللقاء بين الناس وصولاً إلى "وحدة التنوع". وأذكر أننى استخدمت المصطلح فى لقاء إسلامى مسيحى عقد فى استانبول فجاءنى أستاذ تركى مسلم وسألنى: لماذا قلت الحضارة العربية الإسلامية ولم تقل الإسلامية فقط؟ وقد تفهم وجهة نظرى حين شرحتها له. والأمر نفسه حدث حين سألنى زميل فى لقاء عربى : لماذا لا نقول الحضارة العربية ونقف؟ وفى المناسبتين كلتيهما كان إخوة لنا من العرب النصارى يعتزون بانتمائهم للحضارة العربية الإسلامية ويتحدثون عن الإسهام النصرانى فيها. وما أكثر المناسبات التى عبر فيها إخوة لنا من أمم أخرى عن اعتزازهم بالانتماء للحضارة العربية الإسلامية متحدثين بلسان "البيرونى" وهو يفخر بأنه يكتب بالعربية وبلسان "إقبال" وهو يغنى للقدس فى شعره الموحى. وقد أسعدنى أن يجرى الحديث فى عدة لقاءات فكرية عربية جرت مؤخراً عن "دعم الهُوية الحضارية العربية الإسلامية" فى معرض معالجة قضية الاحتكاك بين الحضارات والتفاعل الحضارى ومواجهة محاولات "الآخر" فرض حضارته عن طريق "الغزو"، مع التاكيد على ضرورة "التفاعل الإيجابى مع ينابيع الحضارة الإنسانية".

ولعل من أكثر المصطلحات إثارة للجدل فى أوساطنا الفكرية مصطلح «الاقليات»، الذى يجرى استخدامه كثيراً عند الحديث عن أوضاعنا فى وطننا العربى الكبير وفى

أقطاره. وهذا المصطلح غربى النشأة وقد نقله أبناؤنا الذين درسوا فى الغرب، وهو يستخدم مقروناً بالدين والعِرْق و«الإثنية» ـ أى «الجنس» ـ. ويثير هذا المصطلح عند البعض «حساسية» حين توصف به جماعتهم، سواء كان هذا الوصف على أساس لُغوى أو مِلِّىٌ دينى مذهبى، لما يتضمنه من معنى «القلة» فى مواجهة الكثرة، وما يشيعه من جو مليء بالتحسب من هيمنة «الأغلبية». ويلاحظ عدد من مفكرينا العرب أن لهذه الحساسية ما يبررها، وأنه قد حدث توسع فى استخدام المصطلح وخلط أيضاً، أوصلا إلى أن تشمل هذه الحساسية قطاعات واسعة من أبناء وطننا العربى لم ينجوا من رذاذ استخدامه. فإذا نظرنا إلى الأمر على أساس لُغوى.. فأية دائرة جغرافية نعتمد؟ دائرة المنطقة، أم القطر بحدوده السياسية، أم دائرة الوطن الكبير، أم الدائرة الحضارية؟ فإخواننا فى جنوب السودان لهم لغتهم إلى جانب معرفتهم بالعربية، فهل هم أقلية فى منطقتهم؟ والأمر نفسه يصدق على إخوتنا الأكراد. وإذا نظرنا إلى الأمر على أساس مِلِّىٌ نجد أن إخوتنا النصارى الموارنة فى منطقة كسروان بلبنان أغلبية، ولكنهم فى قطر لبنان ككل ـ إذا اعتمد أساس المواطنة القُطْرية ـ يصبحون أقلية. ثم.. إذا نظرنا إلى الأمر على أساس لُغوى دينى نجد أن إخوتنا الأمازيغ العرب لهم لغتهم التى يعتزون بها اعتزازَهم بالعربية لغة قرآنهم، ولهم منطقتهم التى ينتمون إليها ضمن وطنهم القطرى ووطنهم القومى. فكيف نصف هؤلاء جميعاً بالأقليات؟ هل نصف أيضاً المالكىٌ فى قُطْر أكثره أحناف بأنه أقلية، وكذلك الكاثوليكى بين إخوانه الأرثوذكس؟! وقس على ذلك.

وحين نرجع إلى معجم المصطلحات الاجتماعية نجد أن مصطلح "الأقلية" نشأ فى الغرب حين اعتمدت الانتخابات فى أعمال الهيئات من المجالس واللجان ، ونجد حواراً دار حول مشاركة الأقلية وكيفية هذه المشاركة. كما نجد أن علم الأجناس (الأنثولوجى) ازدهر فى الولايات المتحدة بحكم تكوين المجتمع الأمريكى.

ولكننا حين نرجع إلى تراثنا الحضارى لا نجد مثل هذا المصطلح، ونجد معالجة لتنوع الناس مختلفة تجسد معنى «وحدة التنوع». وقد أسعدنى أن يجرى الحديث فى عدة لقاءات عربية عن «تنوع الأقوام فى الوطن العربى»، والاعتناء بثقافتهم الخاصة ضمن هُويتهم الحضارية العربية الإسلامية. وأسعدنى أن يجرى الحديث عن «مسألة

الأقليات» مقترناً بتوفير العلاج الصحى لها "فى إطار المواطنة والمساواة والوحدة الحضارية".

إن لنا أن نتابع حديثَ المصطلحات المتعلقة بالمواطنة العربية كى لا يُعتبر العربى أجنبياً فى وطنه الكبير، وحديثَ المصطلحات المتعلقة بدول الجوار والأمم التى نلتقى معها فى الانتماء للحضارة العربية الإسلامية كى لا يصبح بأسُنا بيننا شديداً، وحذراً من أن يتغلب منطق الصراع على منطق التعاون.

وواضح من الأمثلة التى سقناها فى قضية المصطلحات أن علينا عند تحديد المصطلح أن نأخذ فى الاعتبار أن يكون مطابقاً للواقع، وفى الوقت نفسه متضمناً المصلحة العامة، ومعبراً عن أهداف الأمة، وأن يواجه مصطلح العدو.

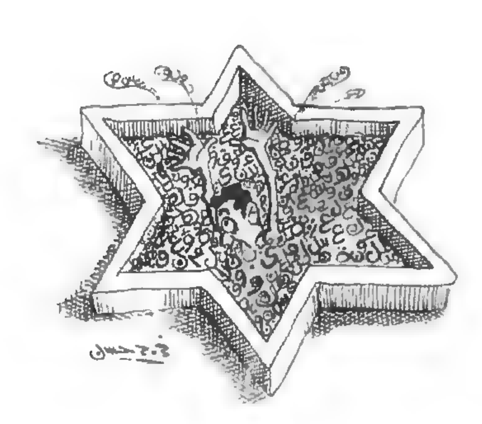
مطلوب إذن متابعة الجهد فى قضية المصطلحات ؛ لأن معالجتنا لهذه القضية ضرورة لدعم نضالنا والانتصار على عدونا.

***

القسم
الأول

(٣)

إعلامنا وفِخَاخُ المصطلحات !



أ. محمد السمّاك*

* كاتب وصحفي من لبنان .



ينشغل علماء الألسنيات بالبحث عن أجوبة على ثلاثة أسئلة تتعلق باللغة والنطق..

السؤال الأول هو: هل الأطفال مبرمجون جينياً لتعلم اللغة، أم أنه لابدّ من بذل الجهد لدرسها؟

السؤال الثانى هو: هل هناك حد معين لا يمكن بتجاوزه تعلم اللغة؟

السؤال الثالث هو : أى دور للعوامل الاجتماعية فى تعلم اللغة؟

***

فى عام ١٩٧٠ كُشف النقاب فى الولايات المتحدة عن مأساة طفلة حبسها والدها فى المنزل لمدة ثلاثة عشر عاماً متواصلة، لم يسمح لها ولو لمرة واحدة بالخروج من المنزل، كما لم يسمح ولو لمرة واحدة لأى شخص بدخول المنزل. كان يربطها من قدميها إلى الخزّانة أو إلى السرير، ولا يكلمها إلا نُباحاً، حتى إذا بكت كان يعاقبها بشدة لمنعها من التعبير عن مشاعرها تعبيراً آدمياً. لم تسمع الطفلة فى حياتها صوت راديو أو تليفزيون أو صوت أى إنسان سوى "نُبَاح" والدها. لم يكن والدها يجرى عليها تجربة اجتماعية أو سلوكية أو لغوية، كان كائناً مهووساً!.

المهم فى هذه المأساة الإنسانية أن علماء الألسنيات وجدوا فيها مادة نادرة للدراسة، فحاولوا تلقين الفتاة اللغة الإنكليزية، ولكنهم عندما عجزوا عن ذلك تماماً، خرجوا باستنتاج أقاموا عليه قاعدة علمية، وهى أنه بعد تجاوز عمر معين لا يمكن تعلم اللغة.

يبدو لى أن العالم العربى ، الذى مر فى حالة معنوية أشبه ما تكون بحالة تلك الفتاة تحت ضغط القوى الاستعمارية، المباشر وغير المباشر ـ هو شواذ القاعدة. فهو مثلها، مربوط علمياً وثقافياً إلى استخدام مفردات من غير لغته، ليعبر بها عن مفاهيم كائن مهووس مثل والد تلك الفتاة.. ولكن من نوع آخر! والهدف من وراء ذلك هو أن تصبح هذه التعابير جزءاً من لغته، وحتى تصبح مفرداتها مفاتيح لا غنى عنها فى استخداماته للغته السياسية والإعلامية والأدبية على حد سواء.. وبالتالى حتى يؤدى هذا الاستخدام إلى حفر قناعة فى ضميره تتناقض وحقوقَه ومصالحَه، ولتصبح بالنتيجة حقائقَ ومسلَّماتٍ لديه وخارج دائرة التشكيك أو حتى التدقيق.

يعرف الذين يعملون على غرس هذه البذور فى تربتنا الثقافية أن الأطفال مبرمجون على تعلم اللغة.. ولذلك فهم يحرصون على أن يعلمونا مفردات لغوية ذات مضامين تكوينية لقناعات فكرية تؤطر مواقفنا السياسية العامة. وهم يعرفون أن هناك حداً لايمكن من بعده تعلم اللغة، ولذلك يحرصون على تسريب هذه المفردات والمصطلحات فى لغتنا اليومية لتنتقل من جيل إلى جيل عبر وسائل الإعلام والاتصال المرئى والمسموع والمكتوب، ليس بأقلام أعدائنا وخصومنا فقط، إنما بأقلامنا نحن أيضاً.

كذلك، فإنهم يعرفون أن العوامل الاجتماعية تلعب دوراً هاماً فى إعداد الجو المناسب للتلقين اللغوى، خاصة عندما تكون المفردات المستخدمة تتعلق بالحياة اليومية للإنسان: بهمومه ومعاناته، وبطموحاته وتطلعاته، بآماله وأمانيه.

فمنذ القرن التاسع عشر تجرى محاولات لتحويل الإنسان العربى إلى شاشة تنعكس عليها اهتمامات الآخرين وتطلعاتهم، بحيث إننا عندما نقرأها نعتقد أنها من ذاتنا، وليست من ذات هؤلاء الآخرين الذين يعملون على تدجيننا بما يتوافق وبرامجَهم ومخططاتِهم.

ليس مصادفةً أن اللغة العربية تحتل المرتبة الثانية بعد اللغة الإنكليزية من حيث حجم استخدامها فى الإرسال الإذاعى الدولى، فهناك حوالى ٥٠ هيئة بث أجنبية تبث حوالى الألف ساعة فى الأسبوع باللغة العربية من الصين وكوريا الشمالية حتى الولايات المتحدة وكندا مروراً بألمانيا وروسيا وسويسرا وفرنسا، وتبث إذاعة إسرائيل وحدها على ١٥ موجة من أربع محطات فى ١١ لغة ولمدة ٢٦٧ ساعة فى الأسبوع، أى بمعدل ٣٨ ساعة يومياً.

وبالإضافة إلى اللغة العربية تبث إذاعة إسرائيل بلغات العالم الإسلامى الأخرى كالفارسية والسواحلية، وبلغات منتشرة فى العالم الإسلامى كالفرنسية والإنكليزية والإسبانية والبرتغالية.

ولعل أهم مظهر من مظاهر هذا الزخم الإعلامى يتمثل فى التدفق الإخبارى الذى ينفجر من وكالات الأنباء الأربع الكبرى: أسوشيتد برس، يونايتد برس، رويتر، وكالة الصحافة الفرنسية.. بمعدل يفوق ٥٠ مليون كلمة يومياً.

تُغرق أخبار هذه الوكالات الإعلام العربي خاصة، وإعلام العالم الثالث بصورة عامة، بأخبار يتم اختيارها وصياغة مفرداتها وعباراتها وفقاً لمعايير اجتماعية وسياسية لا تراعى مصالح المجتمعات الموجهة إليها أو أولوياتها العَقَدية، ولكنها تحاول تمرير العبارات والمصطلحات ذات المضامين الفكرية والسياسية التى تراعى فى الدرجة الأولى مصالح القوى والجهات الدولية التى تعمل على تدجين واحتواء الوطن العربى ثقافياً وسياسياً. ولعل أول أهم مؤشر على نجاح ذلك هو إقبالنا على استخدام هذه العبارات والمصطلحات وكأنها نابعة من ذاتنا، معبرة عن أفكارنا، مترجمة لقناعاتنا!

***

منذ أن قامت حركات سياسية متطرفة تتجلبب بالإسلام، وتحتكر لنفسها حتى النطق باسمه، سربت إلى مفرداتنا الإعلامية عبارة "الأصولية الإسلامية" لتختصر الوصف العام لهذه الحركات. إن من الواضح أن الهدف من ذلك هو الإيحاء للعالم ولأنفسنا فى الدرجة الأولى أن التطرف هو أصل الإسلام وجوهر تعاليمه ورسالته، وأن العودة إلى الأصول التى تدعو إليها الصحوة الإسلامية هى دعوة إلى انتهاج أسلوب التطرف بما هو تكفير للمختلف وإلغاء للآخر واستباحة لدمه.

وقد وقع الإعلام العربي فى فخ هذه التسمية، حتى ضاعت المسافة بين الأصول الإسلامية وحركات التطرف.

إن الأصول الإسلامية هى : **«لا إكراهَ فى الدين»، «لكم دينُكم ولىَ دين» ، «لكلٍّ جعلنا منكم شرْعةً ومنهاجاً» ، «إن الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون» ، «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» ، «افأنت تُكره الناسَ حتى يكونوا مؤمنين؟» ، «قل الحقُّ من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» ، «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبرُوهم وتُقسطوا إليهم. إن الله يحب المقسطين» ، «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى احسن»** .. وغيرها كثير من الآيات التى ترسى قواعد سلوك الاختلاف مع الآخر.

من هنا ؛ فإن إطلاق صفة الأصولية الإسلامية على حركات التطرف التى تُلغى الآخر المختلف جملة وتفصيلاً، أساء إلى الأصول الإسلامية ووصم الإسلام بما ليس فيه. وقد درجنا فى الإعلام العربى على ترديد هذه العبارة بإيحاءاتها السلبية من غير وعى، وبما يخدم فى النهاية الهدف من استخدامها وهو تقديم صورة عن الإسلام تجرده من سماحته ومن تكريمه للإنسان بالمطلق، بصرف النظر عن إيمانه أو عدم إيمانه.

وعندما ترسخت هذه العبارة فى الاستخدامات الثقافية والسياسية وُضع الإسلام فى جبهة والحضارة الإنسانية فى جبهة مقابلة، ونُسب إلى الإسلام فى أصول تعاليمه كراهية كل ماهو خارج عقيدته، وكل من هو خارج دائرة الإيمان بهذه العقيدة. وما كان لهذا الاتهام أن يفرض نفسه على حَمَلة الأقلام فى العالم لو لم تتجذّر مقولة الربط بين التطرف والأصول الإسلامية، وهو ما تردده أقلامنا يومياً أيضاً من غير وعى منا.

ومن هنا ؛ كان الانطلاق نحو عبارة "صراع الحضارات بين الإسلام والغرب" التى وقعنا فى فخها أيضاً.

يقول المطران جورج خضر: "إن من مقتضيات المواجهة بيننا وبين الغرب تحديد التسميات عندنا وعندهم. أنت تتخبط إن كنت لا تعرف مدلول كلماتك أو بقيت الدلالة عندك غامضة. لنأخذ مثلاً هذه العبارة: "الإسلام والغرب" التى هى حصيلة الاستشراق. وقع المسلمون فى الفخ إذ قبلوها؛ فكأن المواجهة هى بين دين وإقليم أوربا الغربية وسياسته وحضارته . إن الذين قبلوا العبارة إنما يريدون أن المسيحية ديانة الغرب، فكأنه لا مسيحية أخرى، أو كأن المسيحية الأخرى تابعة للغرب، أو كأنها تقف تجاه المسلمين موقف الغرب. ثم .. إذا اتخذنا الإسلام؛ فهذا دين يواجه أدياناً ولا يواجه حضارة. هناك عالم إسلامى إزاء الغرب؛ لأن العالم الذى يسوده الإسلام فكراً لا يسير على الإيقاع نفسه الذى يسير عليه الغرب أو أوروبا، وتسوده فلسفة سياسية مختلفة، إذ الغرب علمانى، ودار الإسلام تحيا فى ظل هيمنة الله أو حاكميته، هذا بصرف النظر عما إذا كان الغرب لا يزال يحيا على الإيمان أو لا يحيا".

واليوم نقف أمام محاولة جديدة لتمرير مصطلح جديد شاع استخدامه فى الصحافة الغربية بعد أحداث الحادى عشر من أيلول - سبتمبر ٢٠٠١، وهو يختصر عبارة "الإرهاب الإسلامى". وتقوم فلسفة هذا المصطلح الجديد على أساسين:

الأول: مبدأ الجهاد فى الإسلام.

والثانى: ركن الزكاة.

فالمصطلح الجديد يحاول أن يوحى بأن الجهاد إرهاب، وأن الزكاة تمويل للإرهاب!

هنا، لستُ فى صدد الحديث عن الجهاد أو الزكاة فى الإسلام، فذلك أمر آخر. ولكننى مَعنىٌّ بالمصطلح الذى يجرى العمل على تمريره وهو "الإرهاب الإسلامى". فانطلاقاً من المصطلح السابق الذى يربط جوهر الإسلام وأصله بالتطرف، فإن المصطلح الجديد يتكامل معه فى ذات السياق.

وإذا كان الإعلام العربى قد سقط فى فخ مصطلح "الأصولية"، فإن من الحكمة أن لا يقع فى فخ مصطلح "الإرهاب" ، ذلك أن الوقوع فى هذا الفخ من شأنه أن يكرس استخدام مصطلحات خطيرة أخرى تجعل من عمليات الاستشهاد فى أراضينا المحتلة عمليات انتحارية، ومن المقاومة إرهاباً، ومن الفدائيين مخرِّبين، ومن المستعمرات اليهودية فى الأراضى العربية المحتلة مستوطنات.

إن المنتحر يقتل نفسه يأساً، أما الاستشهادى فإنه يبيع نفسه لله وهو مؤمن بغدٍ أفضل لأمته.

إن المقاومة هى مواجهة عدو محتل ومغتصب ومنتهك للحقوق وللمقدسات، أما الإرهاب فإنه اعتداء على حقوق الآخرين وكرامتهم وعلى حقهم فى الحياة.

إن الفدائى هو الذى يقدم نفسه فداءً لدينه ووطنه وشعبه وعِرْضه، أما المخرِّب فهو الذى يَعيث فى الأرض فساداً فيقتل الأبرياء ويدمر البيوت ويقتلع الأشجار.

إن المستعمرات هى تجمعات سكانية لغرباء مغتصبين محتلين لأرض الغير. أما المستوطنات؛ فهى تجمعات لمواطنين من أصحاب الأرض الشرعيين. والفارق كبير بين الاستيطان والاستعمار.

***

سبق لنا أن وقعنا فى فخ مصطلح "الشرق الأوسط" منذ أواخر القرن التاسع عشر، ولم نخرج منه حتى الآن. نعرف تماماً أن هذا المصطلح يستخدم - ونستخدمه نحن أيضاً - بدلاً من مصطلح "الوطن العربى" ، ونعرف كذلك أنه شرق بالنسبة للغرب، وأنه أوسط بالنسبة للأقصى، ونعرف أن هذه التقسيمات الجغرافية أملتها مصالح وحسابات أوروبية. ومع ذلك، وبالرغم من تحرر وطننا من الاستعمار - أو من الاستعمارات الأوربية -، وبالرغم من إنشاء جامعة الدول العربية.. فإننا مانزال أسرى مصطلح "الشرق الأوسط"، وما نزال نحجم عن استخدام مصطلح "الوطن العربى" - إلا قليلاً - كمصطلح تفرضه التزامات ومشاعر قومية، بدلاً من مصطلح "الشرق الأوسط" الذى تفرضه التزامات ومشاعر لا تَمُتُّ إلى القومية بصلة، بل غالباً ما تكون معادية فى الشكل والأساس.

ما كان لهذه المنطقة من العالم أن تحمل هُويتها العربية وهناك مشروع يتكرس يوماً بعد يوم فى قلب الوطن العربى لإقامة إسرائيل، ولذلك يتردد فى لغتنا الإعلامية والسياسية مصطلح "الشرق الأوسط الجديد"، والجديد فيه هو اعتبار إسرائيل جزءاً منه، ليس جغرافياً فقط، بل أمنياً واقتصادياً أيضاً.

ومن هنا ؛ يطرح بين وقت وآخر مصطلح "التطبيع" بين إسرائيل والدول العربية، بما يوحى فى المبدأ أن وجود إسرائيل أمر طبيعى مثل وجود أية دولة عربية أخرى، بل إن وجودها طبيعى حتى أكثر من وجود بعض الدول العربية الأخرى!

وكذلك نرى أن الإعلام العربى نادراً ما يستخدم مصطلح "القضية الفلسطينية" بعد أن شاع استخدام مصطلح "الصراع العربى - الإسرائيلى".

مع أن هذا المصطلح الثانى يوحى بأن ثمة طرفين متصارعين (العرب وإسرائيل)، أى أن لكلٍّ منهما حقاً، وأن صراعهما يدور حول حدود هذا الحق. أما مصطلح القضية الفلسطينية فإنه يدل على أن ثمة قضية واحدة لصاحب حق واحد ، هو الشعب الفلسطينى.

إن الصراع مع الآخر يعنى الاعتراف به، لأن الصراع لا يكون مع من ليس موجوداً. وهو يعنى تالياً الانتقال فى العلاقة مع إسرائيل من المبدأ إلى التفاصيل، أى

من مبدأ عدم إقرار أى حق لها بما اغتصبته من أرض، إلى الصراع معها حول ما يعد تجاوزاً للحق. وهذا ما سرَّبه مصطلح "الصراع العربى-الإسرائيلى" إلى أدبياتنا السياسية.

كان مصطلح "القضية الفلسطينية" يضع إسرائيل فى موقف من لا يملك حقاً فى الوجود فى الأساس. وأن كل القضية هى قضية شعب اغتُصب وطنه، وشُرِّد من أرضه، وانتهكت مقدساته وحقوقه. أما مصطلح الصراع العربى-الإسرائيلى ؛ فإنه يضع إسرائيل فى موقف تتجاوز معه هذا الأمر المبدئى، لتضع صراعها فى إطار تسوية الحدود مع الدول العربية (حدود ١٩٦٧ فى حدها الأقصى!).

***

من حيث المبدأ .. ليس من المعقول أن نطالب بحقوقنا بلغة نستخدم فيها مفردات ومصطلحات توحى بعكسها. وحسناً فعل الاتحاد العام للصحفيين العرب بالتنبه لهذه القضية وبالتنبيه إليها. يكفى هنا أن أشير إلى أن الإسرائيليين لم يستخدموا فى إعلامهم مرة واحدة اسم فلسطين، أو حتى الضفة الغربية . إنهم يستخدمون عبارة "يهودا والسامرة"، وهم لم يستخدموا أبداً اسم القدس بل «جروزالم» ، ولم يستخدموا عبارة الجيش الإسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن من دون ربطها بصفة الدفاع - أى «جيش الدفاع الإسرائيلى» وذلك للإيحاء بأن إسرائيل فى حالة دفاع عن النفس وأن المعتدى عليها هم أطفال الحجارة، ورجال الانتفاضة العُزَّل!

أما نحن؛ فلم نستطع أن ندخل مصطلحاً عربياً واحداً إلى لغة الإعلام الإسرائيلى، فى الوقت الذى وقع إعلامنا العربى ضحية عشرات المصطلحات التى يشكل استخدامهاخدمة للمصالح الإسرائيلية.

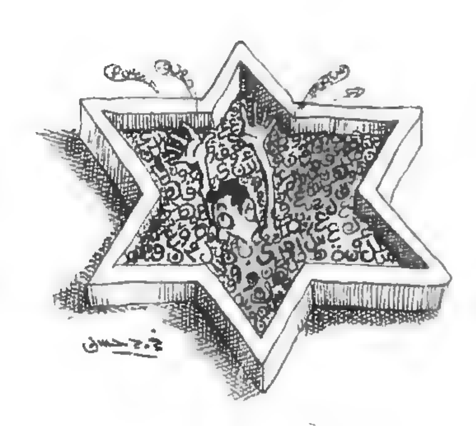
فى ضوء ذلك أقترح جمع هذه المصطلحات فى لائحة واحدة وتعميمها - من خلال دراسة صادرة عن الاتحاد العام للصحفيين العرب - على وسائل الإعلام العربية واتحادات الكتاب والأدباء العرب والأحزاب والمجالس البرلمانية العربية، للتنبيه إلى مساوئ استخدامها لما تلحقه من ضررمعنوى ومبدئى بالقضية القومية وبالقضية الفلسطينية.

***

القسم الثانى

القسم
الثانى

(١)
حول ضرورة تفنيد الرواية الإعلامية الإسرائيلية



د. حنان عشراوى*

* الأمين العام للمبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالى والديمقراطية، وعضو المجلس التشريعى - فلسطين



يُعدُّ العمل على التقويض اللغوى للمفاهيم والمفردات والمصطلحات فى الرواية الإعلامية والسياسية الإسرائيلية واستبدالها ضرورة قصوى، خاصة فى هذه المرحلة بالذات والتى يقوم الخطاب الإعلامى والسياسى الإسرائيلى خلالها - بشكل منهجى - بفرض اصطلاحات ومفردات ومفاهيم ذات دلالات تقلب الحقيقة، وتهدف إلى تجريم الضحية والتعاطف مع القاتل والمعتدى ووصفه بالضحية.

ويجب أن يتزامن العمل على هذا التقويض اللغوى مع استبدال هذه المفردات والمصطلحات والمفاهيم عن طريق استخدام اللغة الأصلية التى تقدم الرؤية والمضمون الفلسطينى والعربى.

وعلينا الأخذ بعين الاعتبار أن استخدام تلك المفردات والمصطلحات الصهيونية ليس مجرداً؛ بل هو وسيلة تعبيرية مخادعة ومغلوطة تستخدم فى صياغة مفاهيم مخادعة لخدمة نظرية الأمن الإسرائيلية.

لذلك يجب العمل على:

اولاً: فضح النظرية الإسرائيلية (وهى فى مضمونها نظرية امنية بحتة):

● تفنيد ادعاءات إسرائيل بأنها مستهدفة ومكروهة ومرفوضة الوجود من قبل العالم العربى وأنه مطلوب القضاء عليها، وتسليط الضوء على سياسة بث الرعب واستغلال الرعب فى كسر شوكة الشعب الفلسطينى، وتجنيد الدعم داخل إسرائيل وخارجها لتجريم الممارسات اللاإنسانية التى تقوم بها ضد الشعب الفلسطينى.

● التأكيد على أن الأمن لايتأتى عن طريق البطش والإرهاب واستخدام مبدأ ومفهوم القوة العسكرية ومحاولات تركيع شعب أعزل يناضل من أجل حريته وكرامته وإنسانيته.

● العودة إلى حقيقة الوجود الإسرائيلى على الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ م والتأكيد على عدم شرعيته، ودحض مطلب الأمن قبل السلام الذى يتعارض جذرياً مع مفهوم السلام والحل السياسى العادل والشامل.

● ضرورة الفصل بين «اللاسامية» والمساءلة القانونية لإسرائيل كدولة، ورفض تسويق إسرائيل لسياستها على أساس أن أى نقد لها هو تهديد لشرعيتها كدولة وكأنه محاولة لسحب شرعية وجودها.

● توضيح التناقض القائم حول نظرية الأمن الإسرائيلى من جهة والحرب النفسية والإعلامية التى تبنتها لتغيير الواقع والحقيقة من جهة أخرى.

ثانياً: التقويض اللغوى للرواية الإسرائيلية:

١ - المصطلحات والمفردات الواردة فى الرواية الإسرائيلية:

■ مصطلح "الدفاع عن النفس " (Self Defence) الذى تستخدمه إسرائيل لتبين أنها هى المعتدى عليها وأن ماتقوم به هو دفاع عن النفس.

والحقيقة أن إسرائيل تقوم باستخدام القوة والعنف والإرهاب لتكريس الاحتلال.

■ "ضبط النفس " (Restraint) والذى تستخدمه لتصوير نفسها بأنها تكبح جماح «ردها» على "الاستفزاز" الفلسطينى، بينما هى فى حالة هجوم وعدوان احتلالى. والحقيقة أنها تستخدم المصطلح بعد قصفها للمواقع والمنازل الفلسطينية وبعد الاغتيالات، وهو مايهدف إلى "تجريم الضحية" (Blaming The Victim). والتعاطف مع القاتل والمعتدِى ووصفه بالضحية، بالإضافة إلى تشويه الصورة الفلسطينية عن طريق إحياء نمطية الإرهاب.

■ "الإرهاب" (Terrorism) وهو المصطلح الذى تطلقه على المناضلين والمقاومين الفلسطينيين بهدف تشويه صورة النضال الفلسطينى والتستر خلف هذه الصورة وإخفاء حقيقة إرهاب الدولة الإسرائيلية.

■ "القتل الوقائى"أو" القتل المستهدف" (Trageted Kilings) أو «الدفاع السريع» (Rapid Self-defence) وهو ماتطلقه على عملية الاغتيالات (Assassination) و"التصفية الجسدية" (Liquidations) التى تقوم بها فى صفوف المقاومين الفلسطينيين.

■ "المحاصرة والحصار والخوف " وهو ما تستخدمه لابتزاز عواطف الغرب وكأنها الدولة المستهدفة والمحاصرة من الأمة العربية ومن عمليات الفلسطينيين، وذلك لإيجاد مبررات للحصار الخانق الذى تفرضه بالقوة العسكرية على الشعب الفلسطينى براً وبحراً وجواً وتقطع أوصال المدن والقرى والبلدات الفلسطينية، بالإضافة إلى الممارسات الاحتلالية الأخرى.

■ " هيكل البناء" (Structure) وهو ماتستخدمه فى حالات هدم المنازل والبيوت والمؤسسات الفلسطينية وقصفها بالصواريخ ومدافع الدبابات وكأنها أماكن خالية تستخدم من قبل"المسلحين الفلسطينيين"، علماً بأن الآلاف من المساكن والمنازل (Home) الآهلة بالسكان دمرت خلال الانتفاضة بالقصف الإسرائيلى.

■ "الفصل " (Separation) وهو ما تستخدمه كتعبير عن رغبتها فى «فصل الاحتكاك» بين الإسرائيليين والفلسطينيين وحماية نفسها من اعتداءات الفلسطينيين، بالرغم من استمرار إسرائيل فى الحفاظ على السيطرة على الأرض. والحقيقة أنه الحصار والسجن والتطويق العسكرى، «وهو فرض نظام"الفصل العنصرى» (Apartheid) على أرض محتلة.

■ "يهودا والسامرة" اسم يطلقه الاحتلال الإسرائيلى على أراضى الضفة الغربية وقطاع غزة ويهدف إلى ترسيخ أسماء إسرائيلية للمناطق والمدن العربية.

■ مصطلح "الأحياء اليهودية " (Jewish Neighborhoods) تطلقه على "المستوطنات" (Settlemements) لإعطائها الصبغة الشرعية وإضفاء بعد إنسانى عليها، على الرغم من كونها غير شرعية وتشكل عدواناً مستمراً على الشعب الفلسطينى.

■ مصطلح "المدنيين الإسرائيليين " (Israeli Civilians) تطلقه على «المتوطنين » (Settlers) الذين يسكنون فى المستوطنات المقامة على الأرض الفلسطينية.

■ مصطلح "عرب إسرائيل" الذى تطلقه على فلسطينيّ ٤٨.

■ مصطلح "شرقى القدس" الذى تطلقه على "القدس الشرقية المحتلة" أو"القدس العربية المحتلة" بهدف الإشارة إلى توحيد القدس تحت السيادة الإسرائيلية.

■ مصطلح "المناطق" الذى تستخدمه للإشارة إلى "المناطق المحتلة" فى "الضفة والقطاع المحتلين".

■ "أعمال عنف "و" أعمال شغب"وتستخدمهما للإشارة إلى "مقاومة الاحتلال" التى تكفلها الأعراف والقوانين الدولية.

■ مصطلح "أرض متنازع عليها" وتطلقه على الأراضى المحتلة.

٢ ـ مثال المفاهيم الواردة فى الرواية الاسرائيلية:

الرواية الاسرائيلية حول: "كامب ديفيد" والتى تتضمن مغالطات أساسية ومحاولات قلب للحقيقة والظهور بمظهر المتنازل من قبل الإسرائيليين، ومنها:

■ فكرة "التنازل التاريخى" (Historical concession) ، وتقديمه على أنه «عرض سخى» (Generous offer)، من إسرائيل للفلسطينيين وكأنه مِنّةٌ !

وتفنيد ذلك الحديث حول العرض أنه:

(أ) لم يتضمن عرضاً مقبولاً أونهائياً ليقبل أويرفض.

(ب) لم يتضمن شكلاً نهائياً لوقف احتلال دائم يقوم على تقطيع أوصال الأراضى الفلسطينية.

(ج) يضفى شرعية على المستوطنات، اللاشرعية أصلاً.

(د) يعطى إسرائيل حقاً سيادياً دائماً فى القدس.

(هـ) يعطى إسرائيل حقاً فى السيادة على الحدود والمعابر والبحر والجو.

(و) يسقط حق العودة عن اللاجئين الفلسطينيين.

(ز) يتطلب إنهاء الصراع بالكامل، بينما تبقى القضايا الجوهرية بدون حل أو بترتيبات مجحفة.

■ مصطلح «الفرصة التاريخية» (Historical Opportunity) الذى استخدم فى "كامب ديفيد" لم يكن فيه حد أدنى من الحقوق الفلسطينية المطلوبة لإقامة سلام عادل ودائم، بينما تحقيق كل مطالبنا وحقوقنا هو الأمر الذى يقود إلى سلام عادل.

■ عبارة "من ضيّع فرصة السلام؟" فى إشارة إلى أن الفلسطينيين بعدم قبولهم الأفكار الواردة حول العرض ضيعوا فرصة السلام. والحقيقة أن إسرائيل، التى تصر على إبقاء احتلالها للأراضى الفلسطينية (حدود ١٩٦٧م) ، والتى تشكل ٢٢٪ فقط من مساحة فلسطين التاريخية - هى التى ضيعت فرصة السلام الحقيقى. ومن هنا؛ فإن «التنازل التاريخى» و «التنازل المؤلم» و «التنازل الكبير» هو ما قدمه الشعب الفلسطينى، بقبول ٢٢٪ من مساحة فلسطين التاريخية وإبقاء ٧٨٪ للإسرائيليين، الأمر الذى يلغى فعلياً أى «تنازل» تدّعيه إسرائيل.

■ مصطلح «إعطاء أراضٍ» للفلسطينيين يقوم على مغالطة حول حق الفلسطينيين فى هذه الأراضى، وهى «إعادة الأراضى» إلى أصحابها الأصليين، لأنها ليست تنازلاً من أحد.

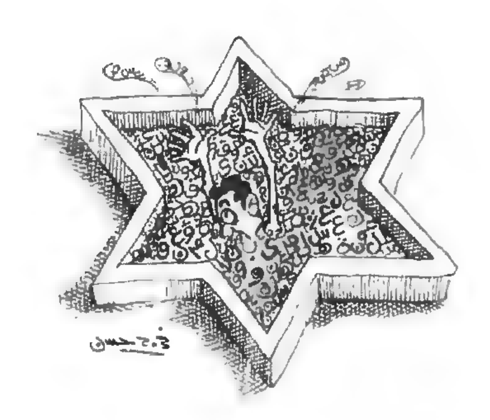
■ مصطلح «باراك ذهب أبعد من أى زعيم إسرائيلى» وهو تسويق «لتنازل إسرائيلى». والحقيقة أن المرة الأولى التى تناقش فيها قضايا الحق الدائم كانت فى عهد باراك، ولذلك فهو الطرح «الأول» وليس «الأبعد» حسب الرواية الإسرائيلية.

* * *

القسم
الثانى

(٢)

المصطلحات الإعلامية فى خندق الصراع



أ . نعيم الطوباسى*

* نقيب الصحفيين الفلسطينيين ـ القدس



تستجيب المصطلحات الإعلامية السياسية والعسكرية الاجتماعية فى الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى لمطالب ومعانى هذا الصراع على أرض الواقع. وبالتالى؛ فإن قاموس هذه المصطلحات المتنوعة لايتوقف عن الزيادة والإضافة أو الحذف والتغيير والتبديل، وفق تطورات وتغيرات الحال. وقد مر هذا القاموس بمراحل متعددة، هى ذاتها مراحل الصراع منذ نشأة إسرائيل فى العام ١٩٤٨ وحتى الآن. ويمكن القول إن مرحلته الأولى كانت أكثر تبكيراً من هذه النشأة بكثير، أى منذ بدء " الحركة " الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية فى فلسطين، فى أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، ووعى الشعب الفلسطينى بها، وانطلاق ثوراته وانتفاضته فى مقاومتها.

وفى الوقت الذى كان يعمل فيه الشعب الفلسطينى على إنشاء قاموس مصطلحاته بما يخدم حقائق التاريخ وقيم الحق والعدل والشرعية، فى ظروف صعبة ومعقدة أحاطت به وحاصرت إمكاناته وقواه بعد نكبة العام ١٩٤٨، ثم هزيمة العام ١٩٦٧.. كانت إسرائيل بالمقابل، تنشىء قاموس مصطلحات على العكس تماماً، عبر ما يوفر لها فرص قلب الحقائق رأساً على عقب، وتزييف التاريخ والجغرافيا، وفرض روايتها الصهيونية - التوراتية على القاموس كله.

بالإضافة إلى ذلك، أخذ الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى شكلاً جيداً متطوراً ذا أبعاد إعلامية مصطلحاتية، أضيف إلى أشكاله الكلاسيكية المعروفة والمتواصلة، ومن خلال هذا الشكل الجديد، يقف القاموسان: الفلسطينى من جهة، والإسرائيلى من جهة ثانية، على رأس الخندق الأمامى للصراع. وبكلمات أخرى، يقف الإعلام الفلسطينى السياسى والاقتصادى والعسكرى والثقافى والحضارى، فى مواجهة الإعلام الإسرائيلى بكل أنماطه وصفاته.

فكيف تتحرك " المصطلحات" فى سياق هذه المواجهة؟ وما البرامج التى تحرك هذه "المصطلحات"، بكل أنواعها، لدى كل طرف؟

وما الإمكانات المادية والتقنية التى تدعم تفاصيل هذا السياق كله، لصالح هذا الطرف أو ذاك؟

من الواضح لنا أن إسرائيل تُولى أهمية كبرى لعملية نحت وتركيب المصطلحات التى تخدم روايتها الصهيونية، وتسوقها لدى الرأى العام العالمى، مرحلة بعد أخرى. وقد تندفع إسرائيل بهذه المصطلحات، نحو الرأى العام العربى أيضاً فى مرحلة معينة، وربما إلى الرأى العام الفلسطينى ذاته، فى بعض الأوقات.

ويمكن أن نسمى هذه الهجمة أو الهجمات المصطلحاتية من قبل إسرائيل، بالتسمية الصريحة لها، وهى "الأسرلة"، أى إخضاع وتطويع الرأى العام، فى مختلف أماكنه وتجمعاته الإقليمية والدولية، لوجهة النظر الإسرائيلية فى الصراع العربى - الإسرائيلى، أو الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى على وجه الخصوص، وفى كل قضايا وشؤون المنطقة ، بكل ما يتعلق بالحرب والسلام، والتاريخ والجغرافيا، والثقافة والاقتصاد.. إلخ.

والواقع أن كثيراً من مصطلحات هذه "الأسرلة" قد سادت أو انتشرت بطريقة أو بأخرى ومنها على سبيل المثال:

الخط الأخضر: وهو ما يعنى حدود ماقبل الخامس من حزيران ١٩٦٧، فلماذا قبلنا بهذه التسمية؟ ولماذا أسقطنا معنى الحدود؟

المناطق: وهى الضفة الغربية وقطاع غزة، حين تطلق عليها وسائل الإعلام الإسرائيلية اسم "المناطق" فحسب دون أية صفة تعريفية لها، على اعتبار ماتراه أنها مناطق متنازع عليها، ولم يحدد مصيرها بعد. أوتضيف إليها صفة "المدارة" هى بالنسبة لها مناطق "مدارة" من قبل ماتسميه بـ "الإدارة المدنية"، التى هى فى الحقيقة تسمية مخففة للحكم العسكرى الاحتلالى المباشر للأرض الفلسطينية المحتلة.

ومع أن إسرائيل لم تتمكن من الترويج الواسع لمصطلح «**يهودا والسامرة**» أو «**يهودا وشمرون**» بديلاً لمصطلح «**الضفة الغربية**» إلا داخل رأيها العام اليهودى المشبع بمصطلح " أرض إسرائيل الكاملة" فى صراع مع مصطلح" أرض فلسطين التاريخية".. فإن إسرائيل تمكنت من أن تفيد من مصطلح""الضفة الغربية" ذاته. فما هذه الضفة سوى ضفة لنهر الأردن من جهة الغرب. فى حين أن الحقيقة

الجغرافية هى أنها جزء من الهضاب الشرقية لفلسطين إذن، فقد غابت فلسطين عن التسمية، وما بقى مجرد أجزاء : ضفة وقطاع!

القدس: وقد فرضت إسرائيل بديلاً لها هو "**أورشليم**" أو"**يروشالايم**"، بعد أن ضمت شطرها الشرقى المحتل بعد العام ١٩٦٧، إلى شطرها الغربى، وأعلنتها عاصمة لها" موحدة وإلى الأبد" حسب مصطلحها السياسى الإعلامى. وبالمقابل، لم نستطع بعد، فى قاموسنا الفلسطينى، أن نعمم مصطلح" القدس الشريف" الذى هو الشطر الشرقى المحتل من القدس، كعاصمة لدولة فلسطين، ومانزال حتى الآن نردد عدة مصطلحات فى هذا الشأن إلى جانب "القدس الشريف" مثل "القدس" ودون أية صفة، كأن نقول : " القدس المحتلة"، أو "القدس العربية" ، أو "الشطر الشرقى من القدس".

عرب إسرائيل ١٩٤٨: فلماذا لانقول إنهم الجزء الباقى من الشعب الفلسطينى تحت الحكم الإسرائيلى؟

حامل الملف: ترفض إسرائيل مصطلح «الوزير الفلسطينى» و «الوزارة الفلسطينية» ، منذ نشوء السلطة الوطنية الفلسطينية، وفق اتفاق أوسلو ١٩٩٤. وهى تستخدم مصطلح «ملف الاقتصاد» مثلاً بدلاً من «وزارة الاقتصاد» ، و «حامل ملف الاقتصاد» بدلا من «وزير الاقتصاد» ، وهكذا لجميع وزراء ووزارات السلطة الوطنية. وهذه السلطة الوطنية نفسها بالنسبة للإعلام السياسى الإسرائيلى مجرد «سلطة فلسطينية» دون «وطنية»، أى دون «وطن» ودون «دولة» فى المحصلّة. فهى إذن تراها فى نهاية المطاف، إطاراً لحكم ذاتى، أو سلطة إدارية لاتأثير حقيقياً لها، وفى أى شأن. ووفق هذه الرؤية الإسرائيلية، فإن الرئيس ياسر عرفات هو Chairman وليس President ، رغم أنه الرئيس الشرعي المنتخب للشعب الفلسطيني، على تراب وطنه!

ومن المؤلم أن بعض وسائل الإعلام العربية، وغالبية الإعلام فى بقية دول العالم، يقع تحت سيطرة هذا التعريف الإسرائيلى للمصطلحات التى نشأت بعد اتفاق أوسلو.

ويمكن بطبيعة الحال الإشارة إلى عشرات المصطلحات الأخرى التى "تتاسرل"فى هذا الشأن، على امتداد سنوات عديدة، إلا أن الأخطر من هذا كله، هو التزييف الأخير الذى لحق بمصطلح الانتفاضة، ومصطلح المقاومة الشرعية ضد الاحتلال . فقد تحولت الانتفاضة فى الإعلام الإسرائيلى إلى "عنف"، كما تم حشر المقاومة ضد الاحتلال وحركة التحرير الوطنى بشكل عام فى قائمة «الإرهاب»، ومن المذهل أن يتمكن القاموس الإسرائيلى من فرض نفسه فى شأن هذه المصطلحين، وبخاصة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ فى نيويورك وواشنطن ، ويبدو أن هذه الأحداث قد خدمت هذا القاموس حتى تطابق مع القاموس الأمريكى، غير أنه من الصعب أن نفهم كيف يمكن للقاموس العربى الإعلامى أن يتطابق أحياناً مع هذين القاموسين فى هذا الشأن بالذات؟!

ولا تتوقف إسرائيل عن مواصلة «تغذية» قاموسها بالمصطلحات الجديدة، المتغيرة والمتطورة، وفق تفاصيل الصراع على الأرض. ففى مطلع تموز ٢٠٠١، أصدرت إحدى الدوائر المختصة فى الجيش الإسرائيلى قائمة جديدة من المصطلحات التى تستجيب للمتغيرات، وطالبت الصحافيين والناطقين الإعلاميين والسياسيين والعسكريين الإسرائيليين بالالتزام بها، بديلاً لما كان مستخدماً. وعلى رأس هذه القائمة تحول مصطلح"إغلاق مناطق «إلى» «منع الدخول إلى إسرائيل»، و «عمليات الانتقام والعقاب» إلى «خطوات أمنية» وإلى «عمليات إحباط موضعية»،و «اختطاف مخربين» إلى «اعتقال مشبوهين»، وأما الانتفاضة نفسها، فإنها أصبحت «مواجهة مسلحة»! ويقف على رأس هذه المصطلحات، ذلك المصطلح الذى نحتته إسرائيل فى "تبرير" عدوانها على شعبنا، وحصارها له، وتدمير بنيته التحتية، وتخريب ممتلكاته، وقتله وإهانته، وهو «التدبير الدفاعى» ، وكأن إسرائيل التى تعتقل وتقتل وتحاصر وتخنق شعباً أعزل، لاتفعل أكثر من «الدفاع عن نفسها»!

على أية حال.. إن الرد على هذا القاموس الإسرائيلى، يجب أن يكون عبر تطوير وتعزيز القاموس الفلسطينى الذى لابد أن يضم كل المصطلحات الوطنية اللازمة فى هذا الصراع الطويل، وهى مصطلحات غير جامدة أوثابتة، بل متحركة ومتغيرة ومتطورة باستمرار. ولاشك أننا نحتاج فى هذا الشأن الهام، إلى إيجاد هيئة أوعدة

هيئات مختصة لتحرير وتركيب المصطلحات الضرورية، مع العمل على تعميمها ونشرها، وتوفير فرص الالتزام بها محلياً، إلى جانب ترويجها وإيضاح أهميتها السياسية على المستويين العربى والدولى. وتحقيق الخطوة الفلسطينية الأساسية فى شأن هذه المصطلحات سوف يفتح الطريق بالضرورة أمام إمكانية عقد أكثر من مؤتمر أوندوة أو "ورشة عمل" على المستوى القومى العربى لإنشاء قاموس عربى أوسع وأشمل، وقابل فى الوقت نفسه للتطوير والتغيير، لتكريس المصطلحات المطلوبة. وقد يمكن نقل هذا الجهد إلى المستوى الدولى أيضاً، فى إطار الشرعية الدولية وحمايتها للحقوق العربية.

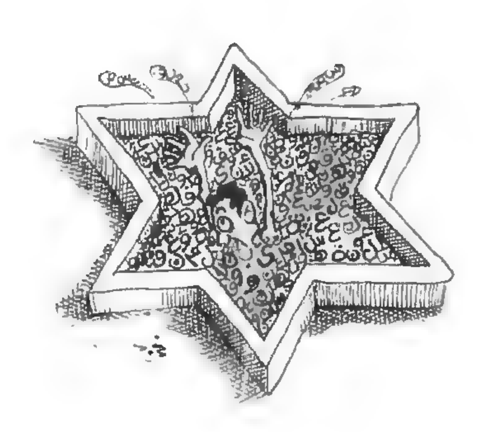
بمثل هذه الطريقة نستطيع أن نوقف "الأسرلة"، وأن نكشف عدوانها، وأن نحقق فى الوقت نفسه قدرتنا على نشر وجهة نظرنا ومصطلحاتنا، بجدارة وقوة.

***

القسم
الثانى

(٣)

اغتيالُ المكان !
تهويد خَارطة فلسطينَ التاريخية



أ . أبو السعود إبراهيم*

* نائب رئيس تحرير الأهرام ، والمشرف العام على أقسام المعلومات بمؤسسة الأهرام - القاهرة .



مقدمة

استطاعت الدعاية الصهيونية المضللة أن تطمس حقيقة النزاع بين العرب وإسرائيل ، وتشوهها أمام الرأى العام العالمى.

يقول اللفتنانت جنرال بيرنز، رئيس هيئة أركان منظمة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة فى فلسطين،: «إنه لا يُعرض على الأمريكيين والأوروبيين سوى الجانب الإسرائيلى من قضية فلسطين».

ويقول الميجر جنرال كارل فون هورن Carl Von Horn رئيس هيئة أركان الحرب للمنظمة عينها بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٦٣، وفى كتابة Soldiering For Peace : "لقد ادهشتنا براعة الكذب التى زيفت الصورة الصحيحة! فقد اجتمعت وسائل الإعلام الإسرائيلية الماهرة، مع الصحافة بأسرها، لكى تصنع صورة زائفة مشوهة روجت لها بخبرة المحترفين الفائقة بكل وسيلة متاحة، ووجهتها إلى شعبها وإلى العاطفين عليها والمؤيدين لها فى أمريكا وفى بقية أنحاء العالم. ولم يسبق لى فى حياتى أن تصورت أن بالإمكان تحريف الحقيقة بمثل هذه السخرية والبراعة!".

ويقول الدكتور ديفيز:«إن نسبة كبيرة من العالم، بما فى ذلك العالم الغربى، تعرف القليل عن فلسطين الحديثة، أو عن الصراع الذى كان يحدث فيها حول هجرة اليهود، والجهود التى بذلت لإنشاء دولة يهودية. وفيما يتعلق بالجمهور الأمريكى، فإن غالبية الناس لم يتح لها أبداً أن تستمع إلى وجهة النظر العربية».

والخطوة الأولى فى البحث عن حل، هى إزالة الحجاب الذى نشرته الدعاية الصهيونية حول قضية فلسطين، وفضح دجلها، وتعريتها. ويرى الصحفى مايكل آدامز "أن الصهيونيين قد انتصروا حتى الآن لأنهم زيفوا الحقائق وضللوا العالم.. وقضية العرب فى غنىً عن كل تشويه أو مبالغة. والأمر الذى تحتاج إليه هو أن تُسمع. ومتى سُمعت.. فعندئذ تتكلم الحقائق بنفسها".

وجوهر الصراع هو نشوء إسرائيل فى فلسطين. أنشأها قوم غرباء بظلمهم السكان الأصليين، واغتصابهم أرضاً ليست لهم. يقول مكسيم رودنسون: "إن الصراع يبدو، فى أساسه، صراع شعب أصيل ضد احتلال شعب أجنبى لجزء من وطنه".

إن كل ماحدث من تطورات فى الصراع العربى الإسرائيلى إنما مَردُّه إلى هذه المشكلة الإنسانية، وكل مشكلة أخرى هى فرع من المشكلة الأساسية، مثل: المنازعات حول الحدود، والإغارات، ومشكلة مياه الأردن، وأخيراً احتلال إسرائيل لأجزاء جديدة من الأرض العربية. ومهما قدمت إسرائيل من «تنازلات» بشأن هذه المشكلات ، فإن الصراع سيستمر مالم تحل المشكلة الأساسية، وهى عودة الفلسطينيين إلى وطنهم ليعيشوا فيه أحراراً.

وإذا كانت إسرائيل قد كسبت الحرب، فإنها خسرت فرصة كسب السلم. يقول الأستاذ هنرى كتن فى كتابه "فلسطين فى ضوء الحق والعدل" : "إن إسرائيل مخلوق غير شرعى، وغير طبيعى. فمن الناحية القانونية ترتب على خلق إسرائيل، وعلى اغتصابها أرضاً تعود لشعب آخر، تشريدُ السكان الأصليين لفلسطين". وقد كان إقحام إسرائيل وسط العالم العربى سبباً فى نشوء صراع مستحكم، أدى أربع مرات حتى الآن إلى جلب ويلات الحرب على الأرض المقدسة. وفلسطين قلب العالم العربى، ولهذا كان إنشاء دولة صهيونية فى وسطه مغامرة جنونية. ومنذ أن بدأت التجربة الصهيونية فى فلسطين، والشرق الأوسط فى حالة اضطراب. وإذا استمر هذا الموقف، فيلوح أنه يهدد بمزيد من الحرب والكوارث. وقد عاشت اليهودية فى سلام مع العالم العربى فى قرون مضت، ولم تتعرض أبداً لاضطهادات كالتى تعرضت لها فى أماكن أخرى، ولكن العالم العربى رفض دولة إسرائيل الصهيونية العنصرية، تماماً كما يرفض الجسم البشرى أية مادة غريبة عنه".

وفى سنة ١٩٨٠، أصدر مركز الاستعلامات الإسرائيلى بالقدس المحتلة كتيباً بعنوان "من معالم إسرائيل" يتضمن بعض اتجاهات الدعاية الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية، بعد التسوية المصرية الإسرائيلية. فعلى غلاف الكتيب، يرفع طفل طائرة ورقية كتبت عليها كلمة "سلام" باللغتين العبرية ثم العربية، فى إيماءة تشير إلى أن السلام هو العنوان على المعالم الإسرائيلية التى يتحدث عنها الكتيب.

ويبدأ الكتيب بالحديث عن الموقع، فيصف إسرائيل بأنها أرض التوراة، والوطن القديم " للشعب اليهودى"، ويدعى أن الفترات الوحيدة فى التاريخ التى كانت فيها

هذه الأرض مستقلة هى فترات السيادة اليهودية فى عهد التوراة، وعندما أعلنت إسرائيل الحديثة " استقلالها" فى ١٤ / ٥ / ١٩٤٨.

ويطمس الكتيب بذلك حقيقة فلسطين، الوطن القديم والحديث للشعب الفلسطينى، كما يلغى عصوراً تاريخية كاملة، كانت فيها هذه الأرض مستقلة تحت السيادة العربية الإسلامية !.

ثم ينتقل الكتيب بعد ذلك إلى بيان المسافات الطولية والزمنية، والجوية والبرية إلى القدس، التى يسميها «أورشليم» متجاهلاً بذلك حقيقة بيت المقدس العربى الإسلامى، حيث المسجد الأقصى الذى كان القبلة الأولى للمسلمين، وأصبح الحرم الثالث لهم.

هذا هو لون من التزييف والتضليل الإسرائيلى لطمس كل ما هو عربى، وهو ما سوف نتعرض له بشىء من التفصيل فى الصفحات التالية.

***

تهويد المسميات العربية

لم تكتفِ الصهيونية، حركة وكياناً، باغتصاب الأرض الفلسطينية، وبتشريد معظم الشعب الفلسطينى خارج وطنه، وإنما عمدت إلى محاولات طمس كل أثر يدل على الهُوية العربية للبلاد التى أطلقت عليها اسم «إيرتس يسرائيل = أرض إسرائيل».

ومنذ تأسيس الدولة/ الكيان عام ١٩٤٨، قامت المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة بحملة محمومة لتهويد أسماء الأماكن والمعالم الجغرافية الفلسطينية، بطريقة لم يسجل لها التاريخ مثيلاً، من حيث المعايير الكمية والنوعية.

وقد عبر المفكر اليهودى «موشى مينوهين» فى كتابه «انحطاط اليهود فى عصرنا» عن تشريب الناشئة اليهود المفاهيم الصهيونية المتعلقة بفلسطين وبدولة اليهود القادمة على الطريق. فتحدث عن دراسته فى مدرسة «جمنازيا هرتسليا العبرية» قائلاً: «كانوا يعلموننا يومياً واجباتنا المقدسة نحو عمينو، أرتسينو، مولادتينو (= شعبنا، بلدنا، وطننا) .. غرسوا فى قلوبنا الفتية بشكل متكرر أن أرض الآباء يجب أن تعود لنا مطهرة من الغوييم (نظيفة من الأجانب ـ العرب)، وأن علينا تكريس حياتنا لهذا الغرض».

وبعد تأسيس الدولة، كانت عملية تهويد الأسماء العربية الفلسطينية تمثل إحدى الحلقات فى إعطاء الهُوية الجديدة للبلاد. وتم التشديد على هدف الربط بين الدولة ككيان سياسى منظم وبين ما يسمى «القومية العبرانية التوراتية»، حسب تحديدات «بن غوريون» أول رئيس حكومة لإسرائيل ، الذى كان يركز على أن هناك ضرورة لبلورة طابع عبرى وأسلوب عبرى لم يكونا قائمين فى السابق، ولم يكن بالإمكان إقامتها فى المنفى.

وهكذا كان وعى إسرائيل بذاتها وعياً عبرياً، من حيث كونُه يستمد مادة الحياة التاريخية من العهد القديم (التناخ) ومن التلمود، أى أنه مدعوم بأشباح الماضى. وحسب «إسحق دويتشر» فالأغلبية الساحقة من هذا الجيل من الإسرائيليين لم تكن لها أية جذور فى إسرائيل، وإسرائيل هى دولة الأشخاص المنقولين (دولة الشخص الطريد، المشرد)، وهذا هو السبب فى أنهم يتحدثون كثيراً عن «الجذور العميقة» وزرع الجذور.

و عقيدة «التجذير» هذه تعد إحدى السمات بالخطاب الأيديولوجى الصهيونى ـ الإسرائيلى، كما يعد استخدام التاريخ والأسطورة لتفسير الوضع السياسى المعاصر والأحداث الراهنة علامة مميزة لما يسمى «الثقافة السياسية الإسرائيلية»، وتعكس عملية تهويد أسماء الأماكن الفلسطينية هاتين السمتين.

انطوى التوصيف الصهيونى لفلسطين ـ الأرض والشعب والهوية ـ على نصوص جامدة تبنتها الأوساط الصهيونية بمختلف اتجاهاتها، وتكررت فى مواقف القيادات والعامة على حد سواء. فقد اعتمدت الصهيونية مقولة إسرائيل زنجويل (أحد زعمائها الأوائل) بأن «فلسطين أرض بلا شعب ينبغى أن تعطى لشعب بلا أرض». ولم يكن عبثاً أو مصادفة عدم ورود أى ذكر البتة للعرب كمواطنين أصليين فى فلسطين ضمن خطابات «تيودور هرتسل» أمام المؤتمرات الصهيونية الستة التى حضرها. وفى كتابه الذى ترجمه إلى العبرية بعنوان: «مدينات هيهوديم = دولة اليهود» لم يذكر السكان الأصليين. ويمكن ملاحظة كيفية التعامل معهم بشكل رمزى، فى معرض حديثة، عن «الخطة = هتخنيت»، إذ يتحدث عن تنظيم مطاردة الوحوش وتفجير قنابل الميليتيت وسط تجمعاتها!

كان الاعتقاد بالفراغ السكانى/ الفلسطينى ، يمثل اتجاهاً طاغياً بين الصهيونيين، بكل مكونات هذا الاتجاه الفكرية والشعورية والسلوكية. فقد اعتبروا العرب غير موجودين منذ بداية استعمار فلسطين، وكانوا ـ كما أفاد «آحاد هاعام»، أحد الصهيونيين البارزين الأوائل ـ يستشيطون غضباً ممن يذكرهم بوجود شعب آخر فى البلاد يعيش هناك ولا ينوى المغادرة. وعلى هذه الخلفية، كانت الدفعات الأولى للصهيونيين تتوجه إلى فلسطين بالروح نفسها التى كان الأوربيون يتوجهون بها إلى الأقطار والمناطق التى اعتبروها خالية من السكان. وكان مفهوم أرض فلسطين الخالية مطابقاً بالضبط لنظرية «ديستلك» حول تلك المناطق. ومن ثم كانت الدعوة الصهيونية لملء الفراغ وتجاهلها المواطنين العرب فى البلاد بمثابة تعمية على الجريمة التى سيتم ارتكابها بحق هؤلاء المواطنين. وإذا كانت هذه الجريمة قد قفزت إلى ذهن «ماكس نوردو» الذى انطلق إلى هرتسل يحذره حين «اكتشف للمرة الأولى

وجود سكان فى فلسطين عرب فى فلسطين، إلا أن هذا «الاكتشاف» لم يُثْنِه ـ كحالة صهيونية نموذجية ـ عن تبنى شعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»!

وعلى خط موازٍ، ظهرت دعاوى الفراغ الحضارى (العربى الفلسطينى) المتخلف، لدى اكتشاف الوجود العربى الواضح أمام الصهيونى المهاجر. فباشرت العنصرية الاستعمارية تبرير الاغتصاب عبر تأكيد «لاإنسانية العرب»، أى الاعتراف بأن فلسطين مأهولة، لكن سكانها «متوحشون وبدو غير متحضرين».

وقام الصهيونيون برسم صورة لفلسطين وسكانها تنسجم ومساعىَ تغييب الفلسطينيين/ شعباً وهوية.

ـ ضمن تعقيبه أمام لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية فى قضية فلسطين عام ١٩٤٥، شدد «بن غوريون» (رئيس الوكالة اليهودية) على أنه ليس هناك شعب فلسطينى تاريخى، زاعماً أنه لا يوجد فى التاريخ العربى شىء اسمه فلسطين، بينما هناك تاريخ يهودى وجدت فيه «أرض إسرائيل»، وأن هذا البلد ـ يقول بن غوريون ـ «صنع منا شعباً، وشعبنا صنع هذا البلد». وبعد نحو ٢٥ عاماً من نشوء دولة إسرائيل تحدثت «غولدا مائير» رئيسة الحكومة الإسرائيلية فى المنحى ذاته خلال مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية بأنه «لم يكن فى البلاد شعب فلسطينى يعتبر نفسه شعباً، وأننا طردناه كى نأخذ مكانه.. إنهم لم يكونوا موجودين».

وبشكل متوازٍ أيضاً مع محاولات التغييب الصهيونية للشعب الفلسطينى، كان العنف، خطابا وسلوكاً، يكرس مسعى صهيونياً متواصلاً للقضاء على هذا الشعب وحذف أى أثر له من الوجود. وشهيرةٌ، هى الدعوة التى وجهها «مناحيم بيجن » للجنود الإسرائيليين (فى ٢٨/ ١٠/ ١٩٥٨) بقوله: «عليكم ألا تشفقوا عليه (أى على العدو العربى) ما دمنا لم نقضِ بعد على الحضارة العربية التى سنبنى على أنقاضها حضارتنا».

وبتكامل واضح مع الأعمال القاصدة نفيَ الوجود الفلسطينى، شنَّت حملة تهويدية استهدفت طمس الأسماء العربية للمناطق والمواقع والمعالم الجغرافية فى البلاد، وإحلال أسماء عبرية مكانها حسب أنماط متعددة، ونجد نماذج تهويد الأسماء فى مدينة القدس، مثلاً على النحو التالى:

الاسم العربى	التسمية اليهودية الإسرائيلية
طريق سليمان (القانونى)	شارع المظليين
تل الشرفة	جبعات همفتار
باب المغاربة	رحوب بيتى محسى
طريق الواد	رحوب هكاى
حارة الشرف	مشغاف لداخ
سوق الحصر	حباد
عقبة درويش	حبر حييم
عقبة غنيم	سوليه هالكوت
طريق المجاهدين	دير شاعر هيروت

***

أنماط التسميات اليهودية/ الإسرائيلية:

فى ظل الإدراك الإسرائيلى التام لأهمية التسمية ودلالتها الخاصة بأماكن البلاد، حرصت اللجنة الحكومية للأسماء على إشراك العديد من المؤسسات والهيئات والفعاليات الإسرائيلية فى عملية التسمية. وأرادت هذه اللجنة ومشاركوها توفير عوامل الاقتناع الإسرائيلى العام بالأسماء الجديدة.

لهذا روعيت فى عملية التسمية اعتبارات كثيرة تتعلق بالتاريخ المزعوم، وبالقراءة المقبولة أو التحريفية لمعطيات علم الآثار والتنقيبات (القديمة والجديدة) ، كما تتعلق بدواعٍ اجتماعية وسياسية وجغرافية، بطريقة تتضح فيها عملية استبعاد الأسماء العربية شكلاً ومضموناً.

توزعت التسميات الإسرائيلية للأماكن الفلسطينية وفق عشرة أنماط رئيسية ـ استطعنا رصدها ـ تنتمى إلى كلٍّ منها مئات الأسماء الموضوعة. وإذا كان من المتعذر، فى هذا المقام، إيراد جميع الأمثلة المنتمية إلى تلك الأنماط، فإن انتقاء بعض العينات يفى بغرض التعريف الذى يتوخاه هذا العرض.

١ ـ أسماء تحدث عنها التناخ (العهد القديم):

قسمت المؤلفات اليهودية الدينية والتاريخية أرض فلسطين إلى مناطق جغرافية/ إدارية، بالطريقة التى تحدث عنها التناخ (العهد القديم) فى سفر يشوع، أى بين أسباط بنى إسرائيل. وبهذا أقدمت تلك المؤلفات على إجراء مطابقة قسرية ومصطنعة بين الرواية التناخية وبين الأرض الفلسطينية، فى وقت لم تحسم فيه بعد مسألة «المصداقية الجغرافية التاريخية للتناخ»، بل وتزداد باطراد المسافة بين هذه الجغرافية المتصورة ومعطيات علم الآثار والتنقيبات العلمية المحايدة. حسب ذلك التقسيم جرت تسمية المناطق الفلسطينية على النحو التالى:

المناطق الراهنة (بصورة تقريبية)	التسميات اليهودية الإسرائيلية
ـ منطقتا حيفا وعكا، حتى الليطانى	أشير
ـ الجليل الشرقى بمحاذاة المنطقة السابقة	نفتالى
ـ منطقة الناصرة وقسم من منطقة عكا	زبولون

ـ منطقة طبرية وبيسان	يساكر
ـ مناطق جنين ونابلس وطولكرم	منسى
ـ منطقة رام الله	إفرايم
ـ منطقة القدس وشمالها	بنيامين
ـ منطقة اللد والرملة ويافا	دان
ـ منطقة جنوب القدس	يهودا
ـ منطقة النقب الشمالى	شمعوت

وفى الخرائط والأطالس وشتى الكتب الإسرائيلية، أطلق على العديد من الأماكن والمعالم الجغرافية الفلسطينية أسماء تناخية، إما بسبب ورود هذه الأسماء فى «العهد القديم» أو بفعل تقدير أن هذه الأماكن المسماة كانت مسرحاً لحدث معين حسب الرواية التناخية. وفيما يلى بعض النماذج:

الأسماء العربية	التسميات اليهودية الإسرائيلية
ـ سهل عكا	عميق زبولون
ـ وادى الحوارث	عميق حيفر
ـ مرج ابن عامر	عميق يزرعيل
ـ البحر الميت	يم هميلح (يم لوط)
ـ بحيرة طبرية	يم كنيرت (يم هجليل)
ـ بركة عطا (بين حيفا ويافا)	بركة يا عار

- نهر العوجا (يصب شمال يافا)	ناحل يركون
- نهر المقطع (يصب شمال حيفا)	ناحل كيشون
- وادى الجنداج (الجليل الأعلى)	ناحل ديشون
- وادى غزة	ناحل بسور
- عين تل القاضى (اقصى الجليل الشرقى)	عين ليشم
- عين الحياة (الجليل الأسفل)	عين لبدوت
- عين الدفلة (شمال قيصارية)	عين طيف
- جبل الجرمق (منطقة صفد)	هارميرون
جبل فقوعة (شرق العفولة)	هار جليوع
- جبل الدحى (قرب العفولة)	جفعات همورية
- هضبة الروحة (غرب مرج ابن عامر)	جفعات نشية
- تل الأسمر (بين الحضيرة والعفولة)	جفعات يو آتشياهو
- جبل الرياحية (اقصى الجنوب)	هاريهو شفاط
- جبال (الخليل ونابلس)	هاريم يهودا وشومرون
- مدينة القدس	عير يروشلايم
- مدينة الخليل	عير حبرون
- مدينة نابلس	عير شكيم
- مدينة جنين	عير جنيم

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغالبية العظمى لأسماء الأماكن ، التى تزعم المصادر اليهودية أنها عبرية، هى أسماء كنعانية انتحلتها إسرائيل كما فى الأسماء السابقة وغيرها مثل: يردن = الأردن، عكو = عكا، يافو = يافا، نصريت = الناصرة، عراد، عربة ، نهلال ، عدولام، الجليل.. إلخ.

٢ ـ تسميات تلمودية:

أطلقت هذه التسميات على أماكن ورد ذكرها فى المنشأ (والتلمود عموماً) وكانت مستعملة فى العهدين البيزنطى والرومانى، ومنها مثلاً:

ـ خربة نبرتين (فى الجليل الأعلى): خربة نبورياه.

ـ خربة المنارة (فى الجليل الأسفل) : خربة منوريم.

ـ خربة المسكنة (فى الجليل الأسفل) : خربة مشكنة.

ـ خربة اللجون (فى مرج ابن عامر) : خربة عوتناى.

ـ خربة البيس (بين الخليل وبيت جبرين): خربة كفار بيتش.

وفى حالات أخرى أطلقت تسميات يهودية على أماكن فلسطينية تخليداً لأسماء شخصيات ورد ذكرها فى التاريخ اليهودى، فمثلاً سمى جبل «الشيخ مرزوق» (جنوب غرب القدس): «هار غيورا» على اسم «شمعون باغيور» (أحد قادة التمرد اليهودى ضد الرومان). وسمى جبل «العريمة» (فى منطقة الخليل) باسم «هار هكنائيم» (لذكرى المتعصبين اليهود الذين تمردوا ضد الرومان وتحصنوا فى قلعة متسادا = مسادة).

٣ ـ تسميات نسبة إلى حاخامات وأدباء:

من أمثلة ذلك:

ـ تسمية جبل «حيدر» (فى الجليل الأعلى) باسم «هار هآرى» (لذكرى رئيس حاخامات الكابلاه فى فرنسا).

ـ تسمية «عين الحمرة» (جنوب صفد) باسم «عين همبيط» (لذكرى الحاخام موشى مطرانى الذى عاش فى صفد فى القرن السادس عشر).

ـ تسمية «عين التينة» فى (الجليل الأعلى) باسم «عين يكيم» (لذكرى حارس الكهنة الذى كان مقيماً فى صفد).

ـ تسمية «عقبة أبو مدين» (قرب حائط البراق) باسم «عقبة الشاعر يهودا هليفى».

٤ ـ تسميات لرموز صهيونية:

من الأمثلة التى تندرج تحت هذا النمط ما يلى:

ـ جبل «شرفة» (غرب القدس): «هار هرتسل»، لدى نقل عظام مؤسس الصهيونية الأول إليه عام ١٩٤٩.

ـ تل «عين الصابون» (منطقة الحولة): تل «روعيم»، لذكرى مجموعة الرعاة الصهاينة الذين أسسوا مستعمرة «تل حاى».

ـ هضبة «أبو خنزير» (منطقة الحولة): «جفعات هائيم»، لذكرى «هنريتا زولد» التى يلقبونها «أم هجرة الشبيبة».

ـ عين «عبده» (منطقة الحولة): عين «هاروفيه»، لذكرى طبيب صهيونى عمل فى مجال البيئة والصحة بالمنطقة.

ـ الساحة المقابلة لباب الخليل (مدينة القدس): ميدان «عودة صهيون».

وشارع «مأمن الله » (فى المدينة ذاتها): شارع «عودة صهيون».

٥ ـ تسميات لمحاربين صهاينة:

من الأمثلة على ذلك ما يلى:

ـ جبل «قليلة» (جنوب مرج ابن عامر): «هار جيبوريم» (=الأبطال)، لذكرى المحاربين الصهاينة الذين سقطوا هناك ١٩٤٨.

ـ تل «أوقية» (فى الجليل الغربى): «جفعات همشوريان»، لذكرى معركة «محاربون صهاينة» فى حرب ١٩٤٨.

- جبل «رأس أبو رديحة» (شرقى النقب): «هار أرنون» على اسم أحد المحاربين الذين سقطوا خلال احتلال المنطقة عام ١٩٤٨.

- فى جبال القدس: «هار هاغنا» لأنه كان مكان تدريب سرياً لعصابات «الهاغناه» أيام الانتداب، وتل «هطياسيم» لذكرى سقوط ٦ طيارين صهاينة قتلوا خلال حرب ١٩٤٨.

- عين «السمن» (الجليل الشرقى): عين «شمونة» لذكرى قتلى مستعمرة «تل حاى» الثمانية.

- عين «البيضا» (الجليل الغربى): عين «كوفشيم»، لذكرى الصهاينة الذين احتلوا قرية حنيتا العربية وهجّروا سكانها العرب أيام الانتداب البريطانى.

٦ - تسميات منسوبة لمستوطنات صهيونية:

أطلقت إسرائيل على المستوطنات التى أنشأتها أسماء خاصة بنفس الطريقة التى انتهجتها فى تسمية الأماكن الفلسطينية، ومحت من الخرائط غالبية أسماء القرى العربية التى أقيمت تلك المستوطنات على أراضيها.

وعمدت إلى نسبة معالم أو مواقع فلسطينية إلى المستوطنات الصهيونية، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

- تل «رحمة» (النقب): «جعفات بيروحام»، نسبة إلى مستوطنة فى المنطقة.

- فى منطقة الحولة: عين «أبو جال»: عين «مرجليوت» عين «دبية»: عين «لهفوت»، عين مأمون عين «جونين»، ذلك نسبة إلى مستوطنات المنطقة.

٧ - تسميات محرفة عن العربية:

حسب هذا النمط، جرى تحريف الأسماء العربية للأمكنة واستخدمت عوضاً عنها ألفاظ عبرية، مع إبقاء بعض الحروف الأصلية فى هذه الألفاظ من أمثلة ذلك:

- جبل «أباريك» (النقب الجنوبى): «هاربرك».

- جبل «الدرج» (النقب الجنوبى): «هار درجا».

- جبل «الرحمة» (النقب الأوسط): «هار رحاماه».

- جبل «طوال النفح» (النقب الأوسط): «هار نفحاه».

- تل أبو هريرة» (منطقة غزة): «هارور».

- تل «الشريعة» (منطقة غزة): «سيرع».

- تل «سيحان» (منطقة غزو): «شيحان».

- تل «المالحة» (منطقة بيسان): «ملحاه».

٨ - تسميات مترجمة عن العبرية:

تم حسب هذا النمط الحفاظ على التسميات العربية، لكن ترجمت معانيها إلى العبرية، وأطلقت الأسماء المترجمة بلفظها العبرى (وأحياناً مع تحريف بسيط) على الأماكن الفلسطينية. مثل:

- جبل «جرادة» (النقب): «هار جوفاى» (= جرادة).

- جبل «رجم القناصية» (النقب): «هار تسياد (= قناص).

- جبل «الراكب» (النقب): «هار ريخف » (= مركبة).

- جبل «السويدى » (النقب): «هار شحوروت» (= أسود).

- جبل «رجم الضبعة» (النقب): هار تسفواع» (= ضبعة).

- وادى «التبان» (النقب): «تيفن» (= تبن).

- تل «الرحيب» (الجبل الأعلى): «هار راحيف» (= واسع).

- تل «القنيطرة» (منطقة غزة): تل «كيشت» (= قنطرة).

٩ - تسميات حسب طبيعة المكان:

أخذت التسميات المنتمية إلى هذا النمط من واقع الأماكن وأبرز سماتها الخاصة. ويتلخص عنصر التهويد فى هذه الحالة فى إطلاق ألفاظ عبرية على موجودات الأماكن. مثل:

- منطقة السهول المتاخمة لجبال الخليل من جهة الغرب، سميت «هشفيلا» (= المنخفضة).

ـ جبل «رأس الرب» (منطقة القدس): «هار أوراه» (على اسم نبات الجرجير المنتشر فى المنطقة).

ـ عين «العنكليت» (الجليل الغربى): عين «يراك» (على اسم نبات حول المنبع).

ـ عين «أم عامر» (منطقة الحولة): عين «أجمون» (على اسم نبات موجود فى المنطقة).

ـ وادى «مكلك» (يصب فى البحر الميت): «أوج» (على اسم نبات السماق الشائك الذى ينمو بين صخور المنطقة).

١٠ ـ تسميات لزعماء إسرائيليين أو أجانب:

ارتبطت هذه الحالة بموت زعماء إسرائيليين أو أصدقاء لإسرائيل فأطلقت الأسماء فى محاولة «لتخليد» هؤلاء الأشخاص فى أذهان الناس. فمثلاً أطلق اسم الوزير «موشى حاييم شابيرا» على تل المشارف فى القدس، وأطلقت على منطقة مجاورة لباب الأسباط (أحد أبواب المدينة القديمة) اسم شارع «مردخاى غور»، كما سميت مستوطنات وغابات وشوارع مواقع مختلفة على هذا النحو. ومن الشخصيات التى استخدمت أسماؤها: وايزمان ـ بن غوريون ـ أشكول ـ بلفور ـ ترومان.. إلخ.

ولدى استعراض قوائم التسميات الإسرائيلية يلاحظ المدقق وجود حالات تسمية غامضة يصعب التكهن بالمغزى أو السبب الكامن وراء إطلاقها. لكن الأمر بالنسبة للجنة الحكومية للأسماء معلل، ويمكن الجزم بأنه جاء نتيجة اقتراحات مدروسة وحيثيات ونقاشات أسفرت فى النهاية عن تبلور تلك الحالات.

على أية حال.. مهما تعددت أنماط التسميات المعتمدة فى تهويد أسماء الأماكن الفلسطينية، يجدر التأكيد على أن الاسم العربى يثبت الوجود العربى والهوية العربية للمكان، وأن التهويد عمل عدوانى يتوخى طمس الوجود والهوية فى إطار السعى إلى تهويد البلاد برمتها. هذا بالإضافة إلى أن التسميات الإسرائيلية، باعتمادها الأساطير والتُّرهات والتلاعب بالعقول، قامت بعمليات مسخ وتزييف للواقع، وحاولت أن تنتزع من البلاد روحها الحضارية وتألقها التاريخى الحقيقى.

***

آلية تهويد الأسماء

انتهجت إسرائيل فى عملية تهويد الأسماء العربية آلية متشعبة الأداء، عبرت عن ذاتها بالأشكال الرئيسية التالية:

١ ـ تم تشكيل لجنة خاصة عام ١٩٤٨ باسم «اللجنة الحكومية للأسماء» من شخصيات رسمية وأكاديمية، ضمت متخصصين فى الموضوعات التاريخية والدينية والجغرافية. فضلاً عن مسؤولين فى ميادين التخطيط والتنظيم. وكان بعض أعضائها مستشرقين أو مهتمين بالشئون العربية.

كانت مهمة اللجنة دراسة أسماء الأماكن والمعالم والمواقع الجغرافية، ووضع بدائل للأسماء العربية. وأخذت اللجنة ـ التى لا تزال مهمتها قائمة حتى الآن بصرف النظر عن تبدل الأشخاص ـ تنظم قوائم بين حين وآخر تصدرها فى «نشرة الوقائع الإسرائيلية » باللغتين العبرية والعربية، وتتعلق هذه الأسماء بالعديد من المسميات، منها مثلاً «مجالس الساحات المحلية ـ القرى والمستوطنات ـ المواقع التاريخية والخرب ـ المناطق الطبيعية ـ المعالم الجغرافية الخاصة ـ الأنهار ـ العيون والآبار ـ السهول ـ الجبال والتلال ـ المغارات ـ الطرق ـ المناطق الجبلية الحديثة ».. إلخ.

وقد ظلت «اللجنة الحكومية للأسماء» تستقى توجهاتها من الاستراتيجية العليا للكيان الصهيونى، وتوظيفها فى المجال الثقافى الاجتماعى ـ السياسى الخاص بالتسمية. ومن خلال عملها التهويدى لا تزال هذه اللجنة تؤدى مهمتها العدوانية إزاء الشخصية العربية الفلسطينية وهوية البلاد، سواء من خلال جهودها الذاتية، أو عبر محصلة تعاونها مع مختلف الجهات والهيئات المحلية والدولية التى تعنى بشؤون الجغرافيا والتاريخ والآثار والتراث، وغير ذلك من الميادين التى تستخدم فيها تسميات الأماكن الفلسطينية.

٢ ـ أوردت إسرائيل فى الكتب والمقررات الدراسية الأسماء العبرية للأماكن الفلسطينية، وطالبت التلاميذ والدارسين، حتى العرب منهم، بعدم استخدام الأسماء

العربية لتلك الأماكن، وعمدت إلى تقديم العهد الإسرائيلى بكل وقائعه ومفرزاته دون اكتراث بالهوية العربية للمكان. وقد أشار «موشى ديان» فى كلمة ألقاها أمام طلاب كلية الهندسة التطبيقية (التخنيون) فى حيفا إلى أن القرى اليهودية أقيمت مكان القرى العربية، وخاطب الطلاب قائلاً: «أنتم لا تعرفون حتى أسماء هذه القرى، وأنا لا الومكم، لأن كتب الجغرافيا لم تعد موجودة. ليس هذا فقط، وإنما أيضاً زالت القرى العربية نفسها من الوجود. فقد قامت «نهلال» فى موقع «معلول»، و «جعفات» فى موقع «جباتا»، و «كيبوتس ساريد» فى موقع «خنيفس»، و «كفار يهوشع » فى موقع «تل الشومان». وما من موضع فى هذا البلد إلا وكان فيه أصلاً سكان عرب». بهذه الطريقة، وسواها، كان تهويد أسماء الأماكن يتوافق مع محاولات انتزاع الماضى العربى من الأذهان. واستناداً إلى حقيقة استمرارية التنشئة الاجتماعية ـ السياسية فى نفوس المتلقين، وتمثلهم المفاهيم والآراء التى تشبعوا بها، يصبح من الممكن تفسير بعض الاعتبارات التى حكمت الاهتمام الإسرائيلى بتهويد الأسماء فى الكتب والمقررات لمختلف المراحل الدراسية.

٣ ـ أنجزت إسرائيل خارطة معدلة للخارطة التى وضعتها حكومة الانتداب البريطانى عام ١٩٤٤ بمقياس ١: ١٠٠,٠٠٠، وبلغ عدد أجزائها ١٦ جزءاً ولكنها لم تدرس منطقة النقب. فلجأت إدارة المساحة الإسرائيلية إلى زيادة ٨ أجزاء على هذه الخارطة لتلافى النقص فى خارطة الانتداب. ثم أجريت تعديلات على أطوال الأجزاء، فصدرت الخارطة الكلية بمجموعة من ٢٦ جزءاً وبنفس مقياس الرسم، شاملة جميع المناطق من أقصى الشمال حتى إيلات على البحر الأحمر. وكانت الطبعات الإسرائيلية لهذه الخارطة تحمل الأسماء العبرية التى تم إطلاقها على الأماكن الفلسطينية. وفى العام ١٩٩٦ صدر فى إسرائيل أطلس الطرق بمقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ على شكل كراس مكون من نحو ١٠٠ صفحة متضمناً كذلك الأسماء العبرية للطرق والمعالم المذكورة فى هذا الأطلس.

٤ ـ تقدمت إسرائيل إلى «المؤتمر الدولى لتوحيد المصطلحات الجغرافية» المنعقد فى جنيف ٤ ـ ٢٢/ ٩/ ١٩٦٧ بمذكرة تضمنت محاولاتها لإحلال أسماء عبرية محل

الأسماء العربية الأصلية للمواقع العربية فى فلسطين. وتعاونت إسرائيل مع الهيئات الدولية ودور نشر الأطالس والكتب الجغرافية فى العديد من المؤسسات المنتشرة فى دول العالم.

٥ - أولت المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة اهتماماً كبيراً للتعامل العام مع مسألة التسميات، واعتبرت عملية تهويد الأسماء «مهمة قومية»، لا فرق فى ذلك بين أسماء الأماكن وأسماء الأشخاص الذين وجهت الدعوة إليهم لاستبدال أسمائهم، وفى بعض الحالات اشترط «بن جوريون» للترقية فى الجيش تغيير الاسم.

وانسجاماً مع ذلك ، جرى إعداد أطالس وموسوعات إسرائيلية بمختلف اللغات تضمنت تسميات عبرية لغالبية أماكن البلاد، منها مثلاً: أطلس إسرائيل - الموسوعة اليهودية - موسوعة الصهيونية وإسرائيل - كل البلاد: المعجم الجغرافى لأرض إسرائيل - الدليل السياحى.. وغيرذ ذلك من الكتب والمؤلفات والأعمال الدعائية التى نشرت داخل البلاد وخارجها.

٦ - ركز المسؤولون فى وسائل الدعاية الإسرائيلية المقروءة والمسموعة والمرئية على استخدام الأسماء العبرية الجديدة للمواقع والأماكن فى البلاد وفى الضفة والقطاع وعدم استخدام الأسماء العربية، ويتم تجديد الأوامر بخصوص ذلك بين حين وآخر. وعلى سبيل المثال يجب أن يقال قرية «هشيلوح» وليس قرية «سلوان». ويومها أثارت المسألة انتقادات لدى بعض الأوساط الإسرائيلية ، منها قول «دانى روبنشتاين» (المتخصص بالشؤون الفلسطينية): «إن تنفيذ هذه التعليمات سيعنى دعوة للحرب، ونوعاً من الرغبة فى الانتقام، ومحاولة لطمس أو نفى الوجود الشرعى للأماكن العربية. كذلك فإن توقيت صدور تلك التعليمات لم يكن اعتباطياً، بل كان مفاده أنه إذا لم يكن بالإمكان إبعاد العرب من هنا (الآن) فعلى الأقل لنبعد أسماء قراهم عن لغتنا».

٧ - زعم الإسرائيليون أن العديد من الأسماء العربية هى تحريف للأسماء العبرية القديمة، وأن ما قاموا به خلال عملية تهويد الأسماء هو بمثابة إعادة الأسماء الأصلية إلى المواقع. وحول ذلك خصص الباحث «ميرون بنفنستى» فى كتابه «المقذوف والعصا» فصلاً كاملاً لهذه المسألة، فأكد أن رسم خارطة وتحديد أسماء

يعنيان سعياً نحو امتلاك شيء، وأضاف : « ككل مجتمع مكون من المهاجرين حاولنا أن نمسح من خارطة البلاد الأسماء العربية ونثبت ملكيتنا بواسطة أسماء جديدة حملناها في قلوبنا طوال مئات السنين المهجرية»، ثم يبلغ بنفنستي ذروة الاستهانة بالعقول قائلاً: «لقد صنع سكان البلاد العرب معروفاً معنا وحافظوا على الأسماء القديمة. فكيف كنا سنعرف أين هي «عنوت» لولا «عناتا» ؟! وكيف كنا سنجد «شيلو» لولا «خربة سلوان»؟!».. وعلى المنوال ذاته، دأب الكثيرون على سرقة وانتحال الأسماء الكنعانية للمواقع والأماكن، وتقديمها كأسماء عبرية قديمة.

***

آليات المواجهة

والآن.. يجب أن نتساءل: كيف يمكن مواجهة كل هذا التزييف؟

إن تحدياً خطيراً بحجم الاجراءات الإسرائيلية لطمس عروبة فلسطين وتزييف هُويتها الحقيقية، يستدعى مواجهته على المستويين: الجماعى والفردى. وإننا نرى فى هذا الصدد ما يلى:

١ - متابعة الجهد الذى قامت به الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية وما شكلته من لجان فى اجتماع حلقة الخبراء العرب فى بيروت ٢٣ - ٣١/ ١٩٧١ لتحديد أسماء المواقع الجغرافية فى الوطن العربى. وقد كان من مهام إحدى هذه اللجان (لجنة فلسطين) مناقشة ما تقوم به إسرائيل من تغيير لأسماء المواقع الجغرافية على الأراضى المحتلة.

٢ - الوقوف على الجهد الذى قام به مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، وما شارك به فى الحلقة التى أشير إليها سابقاً، وما قدمه من قائمة شاملة للمواقع الفلسطينية التى غيرت السلطات الإسرائيلية أسماءها إلى أسماء عبرية مع ذكر الأسماء العربية الأصلية الأصلى لهذه المواقع.

٣ - تشكيل لجنة تضم خبراء فى نظم المعلومات والجغرافيا واللغويات وشئون فلسطين تتولى مهمة تحقيق الأسماء العربية الدقيقة للأعلام الجغرافية فى فلسطين حتى ١٥ مايو ١٩٤٨، والأسماءالحالية المحرفة.

٤ - تسجيل الأعلام الجغرافية المحققة على خرائط تكون مرجعاً علمياً وتراثياً وجغرافياً لفلسطين.

٥ - قيام الجامعة العربية بتعميم مثل هذه الخرائط المقترحة بعد أن يتم مراجعتها وتصحيحها وإرسال نسخ منها إلى منظمة اليونسكو والمجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للأمم المتحدة لتثبت الأسماء العربية الأصلية وما يقابلها بالحروف اللاتينية.

٦ - قيام اتحاد الصحفيين العرب بتشكيل لجنة من الخبراء المتخصصين لإعداد

قاموس شامل لكل الأسماء التى حرفتها أو اختلقتها إسرائيل وطبعه وتوزيعه، مع التنبيه على ضرورة أن يُلتزم به فى وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

إن المطلوب إعادة النظر فى وضع الإعلام العربى وتوجيهاته فى وقت أضحى الإعلام (بمختلف وسائله) سيدَ هذا العصر وشُغْلَه الشاغل.

٧ ـ تحديد واضح لأية استراتيجية عربية من خلال الوعى العميق باستراتيجيات العدو من الناحية الإعلامية، والبحث فى المجالات والميادين والتقنيات القادرة على التصدى لهذا الإعلام وأساليبه، والعمل للتحرر من سيطرة وتأثير ومؤسسات الإعلام الغربية التى غالباً ما يكون تأييدها للصهيونية واضحاً، كونَها تستقى أخبار الصراع من الإعلام الصهيونى ومصادره فقط، وإيجاد إطار نفسى تنسيقى وفعال ومستمر بين المؤسسات الإعلامية ووكالات الأنباء العربية ذات المواقف المبدئية والواضحة من الصراع العربى الإسرائيلى، ونهج كل السبل لفضح أساليب العدو وكشف جرائمه الوحشية بحق العرب وشعوب المنطقة، وتبيان خطورة سياساته على السلم والأمن الدوليين.

٨ ـ توثيق الصلات بالمراكز والمؤسسات الإعلامية الدولية غير الموالية للصهيونية، واستغلال كل الوسائل المتاحة والإمكانات الإعلامية والسياسية القائمة من أجل إيصال التغطية الإخبارية والمواد الإعلامية التى تخدم القضية العربية تجاه الرأى العام الدولى، واستخدام وتوظيف كافة التقنيات الحديثة منها والمتطورة بأعلى قدر من الكفاءة للوصول إلى شعوب العالم، والتصدى لأشكال الاختراقات الإعلامية الصهيونية والتعاقد مع مراكز أبحاث متخصصة من أجل إعداد الكوادر الإعلامية على أيدى أصحاب الكفاءات والفعاليات الثقافية، مع الاتجاه إلى صياغة أكثر مصداقية وجاذبية للمواد الإعلامية بغية تأمين حضور أوسع فى الميدان الإعلامى الدولى. والعمل على ترويج النتاج الإبداعى الفنى والثقافى الذى يخدم القضايا العربية، ويؤكد الهُوية الإنسانية والحضارية للأمة العربية، ويساهم فى كشف الأكاذيب والترويجات الإعلامية المضللة التى يحيكها العدو من نسيج أباطيله حول هذه الأمة وصراعها معه.

ومهما يكن حجم الصعوبات التى تواجه الإعلام العربى فى تصديه للإعلام الإسرائيلى فى ساحة الخارج ، فإنه يجب العمل على تجاوزها، واضعين نصب أعيننا مصلحة الأمة وتقدمها واستقرارها وازدهارها، أمام عدو لا يستكين ولا يكف عن زرع الفتن وإثارة النعرات ورمى الاتهامات وحبك المؤامرات لتفتيت الأمة، لكى يسهل الانقضاض عليها توطئة لفرض شروطه التى لا تحمل سوى الذل والهوان.

إن المقاومة الرائعة التى قامت فى الأرض المحتلة، هى طليعة بعض العنفوان العربى البطولى، مما يؤكد أن صفوة القول أن على العرب أن يواجهوا الخطر الصهيونى بالتخطيط الجاد، بعد أن كانوا وما برحوا يتصرفون بمبادرات عفوية وسياسات أمنية مرتجلة. كما يجب العمل على إنشاء مجالس ولجان من المفكرين والصحفيين وكبار المثقفين لتسيير الإعلام فى الداخل والخارج، على أن يكون الإعلام المحلى موحداً فى العالم العربى بأسره، بحيث يهدف إلى تعبئة الأمة نفسياً حول هدف إيجابى موحد هو مقاومة إسرائيل. أما الإعلام فى الخارج فيجب أن يُوكَل إلى نخبة من أهل الفكر والمعرفة والخبرة والاختصاص بعيداً عن المحسوبية التى كانت ترسل إلى العالم موظفين ينتسبون إلى النافذين فى الأقطار العربية أكثر مما ينتسبون إلى الفكر والنباهة!

وهنا نتساءل: أين موقعنا نحن العرب من الثورة التكنولوجية الهائلة؟!.. هل نقدر على مقاومة غزو فضائنا وأدمغتنا الإلكترونية وتليفزيوناتنا ؟!

وفى النهاية.. لا بد لنا من التأكد على أنه وإن تصدعت حواجز سياسية عربية أمام المخاطر، وإن انحلّت مفاصل اقتصادية عربية حيال التحديات .. إلا أنه يبقى أن الحضارة العربية قادرة على توليد الآمال وقادرة على مواصلة الصمود والتحدى حتى يتحقق السلام القائم على العدل.. وعلى العدل أساساً.

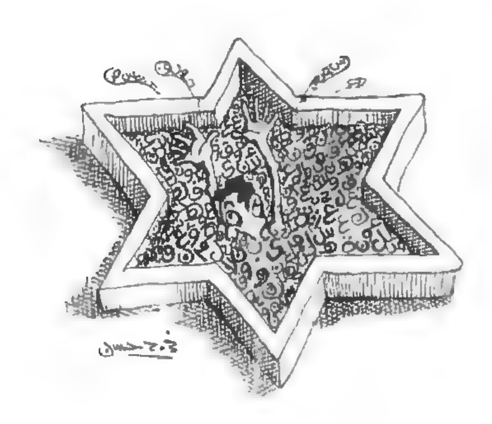
وختاماً نقول: عندما نحلم وحدنا فلن يكون هناك سوى حلم.. ولكن عندما نحلم معاً فسوف يكون ذلك بداية لواقع حقيقى أفضل!.

***

القسم
الثانى

(٤)

الدَّعاية الصهيونية المضلِّلة وكيفية مواجهتها



د. مشهور الحبَّازى*

* نائب نقيب الصحفيين الفلسطينين ـ القدس

مقدمة

تشكل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة إحدى أهم أدوات كسب الحرب فى العصر الحديث، وقد تنبهت الحركة الصهيونية إلى أهمية الإعلام فى ترسيخ الكيان الصهيونى فى المحيط العربى منذ بداية إنشاء الدولة العبرية عام ١٩٤٨، وعملت على إقامة شبكة إعلامية كبيرة فى مختلف أنحاء العالم، فأسهمت هذه الشبكة باستمرار فى مساندة الكيان الصهيونى والترويج لأفكار الصهاينة واستدرار عطف العالم الغربى إلى جانبهم.

ومع بداية عملية السلام فى نهاية عام ١٩٩١ عملت الحكومة الصهيونية على التغلغل فى العالم العربى عبر وسائل الإعلام التى تمتلكها، وتمكنت شيئا فشيئاً من بث مزيد من المصطلحات الإعلامية فى وسائل الإعلام العربية التى تعاملت معها بشكل أو بآخر، حتى إن بعضها بات يتعامل مع الكيان الصهيونى وكأنه جزء من المنطقة لابد من التعامل معه «بموضوعية»، وإفساح المجال أمامه لإبداء رأيه فى كل القضايا! هذا من دون النظر إلى قوة الحق العربى الساطعة المغتصبة من قبل ذلك الكيان الذى ينفيها كلياً ويعتبرها باطلاً وتضليلاً وتزويراً للحقائق. ومؤخراً بات يعتبر المطالب بالحق الفلسطينى والعربى متطرفاً ومتشدداً ، والمدافع عنه حتى بالكلام إرهابياً يستحق كل وسائل العقاب!

وتمكن الكيان الصهيونى خلال الفترة الماضية ـ وما يزال ـ من نشر كثير من المصطلحات فى العالم العربى والإسلامى، الذى بات جزء لا بأس به منه يتعامل مع تلك المصطلحات وكأنها أمر واقع، مما شكل خطورة كبيرة على ثقافة الناشئة فى العالم العربى والإسلامى حيث يتعرضون إلى عملية تدجين وترويض يهودية وصهيونية خطيرة.

لقد أحسن اتحاد الصحفيين العرب كل الإحسان عندما اهتم بموضوع المصطلحات المدسوسة من قِبَل الكيان الصهيونى فى وسائل الإعلام العربية والبحث فى سبل التصدى لها، فكلف عدداً من المهتمين بالموضوع بالعمل على إعداد ملف متكامل حول المصطلحات السياسية الخاصة بالقضية الفلسطينية، والصراع العربى

الصهيونى، وتنبه بشكل أساسى إلى موضوع تغيير الأسماء والمواقع والمدن ضمن هذه الدراسة.

إننى لآمل أن يُطوَّر هذا المشروع إلى مشروع متكامل يغطى نقصاً كبيراً فى المكتبة العربية الجغرافية والإعلامية، وأن يتم تنسيق الجهود من أجل نشر المصطلحات والأسماء والألفاظ الفلسطينية والعربية والتعامل معها فقط، لما لذلك من أثر فى إبقاء تلك الأسماء والألفاظ حية فى عقول الناشئة تثير فيهم الذكريات وتحركهم نحو العمل على استخلاص حقوقنا المغتصبة.

وسأتناول هذا الموضوع ضمن ثلاثة محاور، الأول: المصطلحات السياسية والعسكرية التى نشرتها وسائل الإعلام الصهيونية لتغطية عدوانها على الشعب الفلسطينى وبقية الشعوب العربية، الثانى: تغيير أسماء الأماكن والآثار الفلسطينية مع أمثلة على ذلك، الثالث: أساليب مقترحة لتخليص اللغة الإعلامية العربية من المدسوسات الصهيونية.

***

أولاً :

المصطلحات السياسية والعسكرية

دأب الصهاينة من سياسيين وعسكريين وإعلاميين ومثقفين وكُتّاب على استخدام كثير من المصطلحات السياسية التى قد تظهر لدى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية على أنها تشكل تحولاً إيجابياً أو اعتدالاً فى المواقف الصهيونية، فيما هم يستخدمونها بقصد سياسى وفكرى آخر.

ويتم بث تلك المصطلحات من خلال ما يسمى «الإذاعة الإسرائيلية باللغة العربية»، أو البرامج العربية فى التلفاز الإسرائيلى، أو المقالات والتقارير التى تتم ترجمتها من العبرية أو الإنجليزية إلى العربية، حيث يتم التعامل معها على أنها حقائق، ونادراً ما يتم وضع الاسم العربى الحقيقى معها بين قوسين من قبل بعض المترجمين. ومنذ اندلاع انتفاضة الأقصى المباركة نشطت الأكاديمية اللغوية لجيش الاحتلال الصهيونى فى «غسيل» المصطلحات السياسية والعسكرية باستمرار لتجميل ما تقوم به قوات الاحتلال ضد الشعب الفلسطينى. ويستخدم الصهاينة مصطلحات سياسية تخلق تداعيات لغوية وتاريخية وسياسية تشوه بشكل واضح الخطاب الفلسطينى والعربى، وهم يستخدمون هذه المصطلحات التى ينحتونها بعناية فائقة - لأبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية العربية والدولية - لتوظيفها ضمن تصورهم للحل الدائم للقضية الفلسطينية، هذا التصور الذى يقوم على:

١ ـ عدم الاعتراف بوجود شعب فلسطينى كامل التوصيف الديمغرافى، بل يرى أن العرب أوجدوا الفلسطينيين على ما يسمونه (أرض إسرائيل)، وبالتالى فإن على العرب حلُّ مشكلة هؤلاء الفلسطينيين باستيعابهم مرة ثانية فى أراضيهم الواسعة، وبعيداً عما يسمونه «أرض إسرائيل» التى وعدهم بها ربهم، والتى يجب أن تكون خالية من الغرباء (غير اليهود).

٢ ـ عدم الاعتراف بوجود سيادة فلسطينية على الأرض ومقدراتها، بل يمكن الاعتراف وبشكل مؤقت بوجود سيادة لفلسطينيين على أنفسهم، كما هو واضح فى اتفاقية أوسلو ومقترحات يهود باراك وبيل كلينتون التى عرضت فى كامب ديفيد الثانية عام ١٩٩٩.

ولخدمة هذا التصور يستخدمون كثيراً من المصطلحات السياسية والعسكرية فى وسائلهم الإعلامية، وهى مرشحة للتغيير والتبديل وباستمرار وحسب الحاجة. ومن أهم تلك المصطلحات مايلى :

١ ـ الفلسطينيون :

وهذا مصطلح يروجه قادة الكيان الصهيونى ويردده الأمريكيون بقصد، وكثير من الأوروبيين والعرب بقصد أو من دون قصد.

وقد يسعد كثيرون بسماعه ظناً منهم أنه اعتراف بشعب فلسطين، لكن الصهاينة والأمريكيين يستخدمونه إنكاراً لوجود الشعب الفلسطينى، وإقراراً منهم بوجود جماعة بشرية كبيرة بين اليهود وفى دولتهم وعلى أرضهم، وأنها تسعى لحل مشكلاتهم خارج إطار السيادة . وهذا يعفيها من التوجه نحو حل مشكلة الشعب الفلسطينى الذى يسعى إلى التحرر والاستقلال وبناء الدولة المستقلة على جزء من وطنه المحتل من الصهاينة.

٢ ـ مناطق فلسطينية :

وهو مصطلح يخدم المصطلح الأول، ويردده كثيراً سياسيون فلسطينيون وعرب من دون علم بحقيقة ما يقصده الصهاينة والأمريكيون، الذين يقصدون منه أن هذه المناطق يهودية لكن أكثرية سكانها ـ لظروف طارئة! ـ من الفلسطينيين، ولذلك فالحل يعنى سيادة على السكان وليس الأرض التى هى ليست لهم.

كما أن عدم تعريف «مناطق» يعنى أنها بحاجة إلى تحديد، وهذا من شأنه أن يلغى قرارات الشرعية الدولية التى تتحدث عن أرض محددة تم احتلالها فى تواريخ محددة.

٣ ـ مثقفون فلسطينيون :

وهذا مصطلح يروجه الصهاينة ويستخدمه المثقفون الذين يشاركونهم فى بعض الاجتماعات، وهم يرمون من ورائه إلى القول بأن أكثرية الفلسطينيين غير متعلمة، وأنهم كباقى شعوب الدول النامية، وأن المثقفين فى الفلسطينيين فئة صغيرة ومحدودة

جداً، وبالتالى يمكن الالتقاء بهم والتفاهم معهم والتوصل إلى حلول معهم.

٤ ـ مسؤول ملف :

بدلاً من «وزير» ، وهذا يعنى الانتقاص من قيمة الحكومة الفلسطينية أمام الشعب الفلسطينى وشعوب العالم.

٥ ـ السلطة الفلسطينية :

بدلاً من «السلطة الوطنية الفلسطينية»، وهم يصرون على شطب الوطنية خدمة لهدفهم الأساسى المتمثل فى حل مشكلة السكان الفلسطينيين من دون السيادة على أرض فلسطينية.

٦ ـ رئيس السلطة :

وبالإنجليزية (Chairman) وهى تعنى رئيس سلطة محلية أو ذاتية، ويرفضون استخدام لفظ الرئيس الفلسطينى أى (president) التى تعنى رئيس جمهورية.

٧ ـ السكان المحليون :

وهو مصطلح يطلقه الصهاينة فى تعاملهم مع الشعب الفلسطينى فى قراه ومدنه ومخيماته، ويهدفون منه إلى الإيحاء بأنهم مجرد سكان يقيمون على الأرض ولا ينتمون إليها ولا يمتلكونها.

٨ ـ الزعيم الفلسطينى :

فى أحيان كثيرة يطلق الصهاينة هذا اللقب على الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، وذلك بهدف الإيحاء بأنه غير منتخب، وأنه زعيم لفئة محدودة.

٩ ـ قوات الأمن الإسرائيلية :

بدلاً من قوات الاحتلال الإسرائيلية، وهذه التسمية تشير إلى شرعية وجودها، وأنها تقوم بمهمتها العادية وهى فرض الأمن وحفظه عندما يُخلُّ به الفلسطينيون، أو من تسميهم «السكان المحليين».

١٠ - إسرائيل، أرض إسرائيل (إيرتس يسرائيل) :

بدلاً من فلسطين. وهذا المصطلح يستخدمه الصهاينة فى الإشارة إلى فلسطين الطبيعية ومزارع شبعا اللبنانية المحتلة والجولان السورية وأية أرض يمكن احتلالها من العرب فيما بين النيل والفرات وفقاً لما ورد فى توراة اليهود.

١١ - يورشلايم، اورشليم، العاصمة :

مصطلح واسم يطلقونه على مدينة القدس بشطريها الغربى والشرقى انسجاماً مع ما يعتبرونه ذكرى توحيد العاصمة بعد حرب حزيران ١٩٦٧، الذى يحتفلون به كل سنة. أما العرب فيقولون «القدس الشرقية »، وكأنهم يعترفون تلقائياً بالقدس الغربية لليهود.

١٢ - شرقى العاصمة :

مصطلح يطلقونه على الجزء الشرقى من القدس والذى احتل عام ١٩٦٧، ويحتفلون بذكرى توحيده كل عام، وذلك بالرغم من أن العالم كله لا يعترف بالقدس عاصمة للدولة العبرية.

١٣ - بصورة غير مشروعة :

مصطلح إعلامى يستخدمه الضهاينة لعملية وجود المواطن الفلسطينى فى القدس أو اية أرض فلسطينية محتلة منذ عام ١٩٤٨، أو منذ عام ١٩٦٧، واقيمت عليها مستوطنة أو معسكر لجيش الاحتلال، أو حتى أعلن عنها جيش الاحتلال منطقة ممنوعاً على أصحابها الدخول إليها، وهذا يتطلب تصريح خاص من قوات الاحتلال. وهو مصطلح يوظف لخدمة التصور العام للحل الصهيونى للقضية الفلسطينية.

١٤ - منظمات راديكالية :

مصطلح يطلقونه على الفصائل الفلسطينية الرافضة لمشاريع التسوية المطروحة أمريكياً وإسرائيلياً خارج قرارات الشرعية الدولية.

١٥ - منظمات إرهابية :

مصطلح صهيونى أطلق فى انتفاضة الأقصى على كل الفصائل الفلسطينية التى

تشارك فى أعمال وفعاليات الانتفاضة المقاومة للاحتلال، وحتى على ما أسموه «التنظيم» فى حركة فتح، وفى بعض الأحيان يطلق على حركة فتح التى هى العمود الفقرى للسلطة الوطنية الفلسطينية.

١٦ ـ عملية عسكرية :

مصطلح يطلق على إعادة جيش الاحتلال احتلاله للمدن الفلسطينية التى تخضع لسيادة فلسطينية كاملة وفق اتفاقيات أوسلو، وكأن ما تقوم به قوات الاحتلال أمر مشروع وليس احتلالاً.

١٧ ـ التنظيم :

مصطلح أطلق فى انتفاضة الأقصى على جزء غير محدد من حركة فتح، وذلك فى محاولة لخلق فتنة وفُرقة داخل الحركة، وكأن ثمة نزاعاً بين تيارين فيها.. تيار مع السلام وآخر مع الانتفاضة، التى باتوا يسمونها «الإرهاب».

١٨ ـ العنف :

مصطلح أطلق على فعاليات الانتفاضة الفلسطينية العسكرية، وهو يهدف إلى تشويه صورة المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلى، وتقزيمها إلى حد اعتبارها مجرد عنف غير مشروع ضد الوجود الصهيونى فى الأرض الفلسطينية المحتلة.

١٩ ـ الإرهاب :

مصطلح أطلق على فعاليات الانتفاضة الفلسطينية العسكرية، وهو يهدف إلى إلغاء حق الشعب الفلسطينى فى مقاومة الاحتلال بالوسائل العسكرية. وللأسف فإن وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية تردد مصطلح العنف والإرهاب من باب ماتسميه «الموضوعية»، وتكتفى أحياناً بوضع عبارات مثل: ما يسمى، على حد قوله.. ظانةً أنها بذلك تتخفف من تحمل المسؤولية!.

٢٠ ـ اوكار الإرهاب :

مصطلح أطلق لتبرير احتلال الأراضى الفلسطينية الخاضعة لسيادة فلسطينية أمنية ومدنية كاملة .

٢١ ـ الرد على العدوان :

مصطلح أطلق لتبرير قصف الأراضى الفلسطينية الخاضعة لسيادة فلسطينية أمنية ومدنية كاملة بالطائرات ومدفعية الدبابات والرشاشات الثقيلة .

٢٢ ـ مخرِّب :

مصطلح أطلقه الصهاينة على كل فلسطينى يقاوم الاحتلال الإسرائيلى . والتعبير الصحيح هو : "مقاوم" أو" فدائى"

٢٣ ـ منظمة تخريبية ـ أو معادية ـ أو إرهابية :

مصطلح أطلقه الصهاينة على الفصائل والأحزاب الفسطينية المقاومة للاحتلال ويقابله : " فصيل وطنى "

٢٤ ـ أعمال شغب وإخلال بالنظام العام :

مصطلح أطلقه الصهاينة على كل عملية مقاومة وطنية سلمية فلسطينية لمظاهر الاحتلال المختلفة، ويوحى هذا المصطلح بعدم مشروعية المقاومة الفلسطينية وعدم تحضر المشاركين فيها .

٢٥ ـ البناء العشوائى :

مصطلح أطلق لتبرير هدم المنازل الفلسطينية، وذلك بحجة عدم حصول المواطنين الفلسطينيين على تراخيص بناء من سلطات الاحتلال على أراضيهم التى يمتلكونها أباً عن جد، وكأن سلطات الاحتلال تقوم بهدم المنازل بهدف التنظيم !

٢٦ ـ تقديم تسهيلات :

مصطلح أطلقه جيش الاحتلال خلال انتفاضة الأقصى عندما فرض الحصار المشدد على القرى والمدن الفلسطينية ، وهو يعنى العودة إلى الوراء، وكأن الانتفاضة جلبت للشعب الفلسطينى التعقيدات والصعوبات، والتخلى عنها يعيدها إلى الوراء حيث تسهيلات الاحتلال .

٢٧ ـ إعادة انتشار جيش الاحتلال :

مصطلح أطلقه السياسيون الصهاينة وتلقفه الكثيرون للقبول بالاحتلال بأشكال متعددة .

٢٨ ـ الخطرالديمغرافى :

مصطلح قديم جديد يرفعة الكيان الصهيونى لتبرير عدم قبوله البحث فى حق اللاجئين بالعودة إلى بلادهم التى شردوا منها عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ .

٢٩ ـ الاعتدال والتشدد :

مصطلح قديم جديد أيضاً يرفعه الكيان الصهيونى لتصنيف الدول العربية بهدف التفرقة بينها ، وتطلق صفة التشدد على الدول التى لا تتعاون والطروحات الإسرائيلية بشكل أو بآخر.

٣٠ ـ الخط الأخضر :

وهو يعنى المنطقة الحرام (الحدودية) بعد هدنة ١٩٤٨ ، وقد ألغتها الدولة العبرية وزرعتها بالأشجار الحرجية والمستوطنات اليهودية ، وهو ما يدل على رفض الكيان الصهيونى وضع حدود جغرافية لكيانه المصطنع .

٣١ ـ مناطق مدارة :

مصطلح صهيونى يطلق على الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهى تعنى أنها مدارة بإدارة مدنية إسرائيلية التى هى تسمية مخففة للحكم العسكرى ، بينما مسئولو تلك الإدارة هم فى غالبيتهم العظمى ضباط عسكريون، وبعضهم يكونون فى خدمة الاحتياط

٣٢ ـ يهودا والسامرة ، أو يهودا وشمرون :

مصطلح توراتى للضفة الغربية ، الأول يدل على جنوب الضفة والثانى يدل على شمالها.

٣٣ ـ الضفة الغربية :

مصطلح صهيونى يتشبث به الكثيرون ويحرصون عليه، بينما يعنى هذا المصطلح الصهيونى أنها ضفة لنهر الأردن من جهة الغرب ألحقت بالأردن (الضفة الشرقية للنهر) ، ذلك أن أرض إسرائيل حسب الاصطلاح التوراتى تقع على ضفتى نهر

الأردن ، ومن هنا فإنهم يعتبرون بأنهم "يتنازلون " للفلسطينيين بإقامة دولتهم على الضفة الشرقية مما يسمونه (أرض إسرائيل). أما الضفة الغربية فى الاصطلاح الجغرافى فهى جزء من الهضاب الشرقية لسلسلة جبال فلسطين .

٣٤ ـ عرب إسرائيل :

مصطلح صهيونى أطلق على الجزء الصامد من الشعب الفلسطينى فى فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨، حيث تم تقسيم الفلسطينيين إلى خمسة أقسام (بدو ودروز وشركس ومسيحيون ومسلمون)، وتستخدم هذه الأقسام حسب مصلحة الكيان الصهيونى.

٣٥ ـ مسلحون فلسطينيون :

مصطلح أطلق على رجال المقاومة الفسلطينية، ويهدف إلى الإيحاء بأن هؤلاء مسلحون خارج أى إطار شرعى، وأنهم يحملون السلاح بطريقة غير مشروعة.

٣٦ ـ الترانسفير :

مصطلح صهيونى بدأ يطرح بقوة بعد مقتل المنادى به وزير السياحة الصهيونى السابق رحبعام زئيفى فى عام ٢٠٠١، حيث طالب به بشكل واضح وعلنى أورى اليتسور محرر مجلة نكوداه الاستيطانية، والذى كان مديراً لديوان رئيس الحكومة الصهيونى الأسبق بنيامين نتنياهو مدة عامين، ونشر رأيه على شبكة الإنترنت التابعة للقناة التلفازية السابعة والتابعة للمستوطنين، وقال: «إن من المهم طرح الترانسفيرفى مواجهة مطالبة الفلسطينيين بحق العودة». وكثير من الحاخامات وقادة الكيان الصهيونى يؤيدون بوضوح مبدأ الترانسفير .

٣٧ ـ تصفية (حيسول) :

مصطلح أطلقه قادة الكيان الصهيونى السياسيين والعسكريين على عمليات اغتيال أو إعدام نشطاء المقاومة الفلسطينية فى الانتفاضة . وأول عملية اغتيال فى ٢٠٠١/١١/٩ بحق الشهيد حسين عبيات فى بيت ساحور ثم تتتابعت عمليات الاغتيال ، وشاع المصطلح الصهيونى "التصفية ".

وقد لقى هذا المصطلح والعمل دعم رئيس الوزراء الإسرائيلى فى حينه إيهود باراك، كما أن المحكمة العليا الإسرائيلية باركت هذه الأعمال .

٣٨ ـ عملية إحباط موضعى :

مصطلح أطلق مترافقا مع مصطلح التصفية بديلا عن عمليات الاغتيال ضد نشطاء المقاومة الفلسطينية ، وقد رضخت هيئة الإذاعة البريطانية (بى بى سى) للطلب الصهيونى منذ ٢٠٠١/٧/٥ بعدم استخدام المصطلح الفلسطينى (اغتيال)، وفرضت على موظفيها استخدام التعبير الصهيونى

٣٩ ـ عملية قتل مستهدف :

مصطلح أطلق مترافقاً مع مصطلحى التصفية وعملية إحباط موضعى، وجرى عليه ما جرى على سابقه.

٤٠ ـ الحىّ :

مصطلح أطلق على المستوطنات اليهودية فى محيط القدس المحتلة ، والتى أقيمت على الأراضى الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وقد فرض هذا المصطلح بوجه الخصوص على مستوطنة جيلو المقامة على أراضى مدينة بيت جالا وغيرها من القرى الفلسطينية القريبة. وقد رضخت لهذا الطلب الصهيونى شبكة سى إن إن الأمريكية حيث تذكر مستوطنة جيلو فى نشراتها باعتبارها حياً يهودياً فى القدس ، وفى هذا نسف للموقف الدولى الذى يعتبر المستوطنات غير مشروعة ويعتبر القدس ضمن الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧.

٤١ ـ كشف الأراضى، أو تعرية الأراضى :

مصطلح ابتدعه جيش الاحتلال وصفاً لعمليات تدمير الحقول الزراعية الفلسطينية واقتلاع الأشجار المثمرة وتجريف الأراضى وحتى هدم المنازل الفلسطينية ، كما تم مثلاً فى مخيمات قطاع غزة ومخيمات الضفة الغربية ومدينة رفح .

٤٢ ـ احتياجات ميدانية :

مصطلح صهيونى ابتدعته قيادة جيش الاحتلال ليشمل كل أعمال جيش الاحتلال ضد الشعب الفلسطينى ، فبات مصطلحاً جارفاً لا ى عمل لم يسبق وأن تم إيجاد

مصطلح له ، فهو يشمل عمليات الإعدام المبرمجة والتصفيات ، وهدم المنازل واقتلاع الأشجار ، وتدمير المزروعات ، وفرض الحصار ، حتى إنه تم استخدام هذا المصطلح فى عمليات جرف أراض مزروعة بالبندورة والقِثّاء والخيار وغيرها من المزروعات التى يمكن أن توفر مخبأ لقط فى أفضل الأحوال حسب تعبير صحيفة «هآرتس» الصهيونية!

٤٣ ـ اللاسامية :

مصطلح يطلقه الصهاينة كلما شعروا بتزايد الضغط الدولى عليهم ، وقد زاد طرحه هذه الأيام ضد التوجهات السياسية فى بعض الدول الأوربية التى أخذت توجه انتقادات متتالية لسياسات الكيان الصهيونى ضد الشعب الفلسطينى وأرضه ، وتطالبه بالالتزام بالشرعية الدولية وتنفيذ قراراتها .

٤٤ ـ توغُّل :

مصطلح يطلقه الصهاينة على إعادة احتلال المدن والقرى الفلسطينية كلياً أو جزئياً، وذلك بهدف "تلطيف" معنى الاحتلال وإظهاره وكأنه آنىٌّ ولغرض محدد وهو حماية أمن الكيان الصهيونى .

٤٥ ـ نشاطات إرهابية :

مصطلح يطلقه الصهاينة على أية أعمال فلسطينية مقاومة للاحتلال الصهيونى ، ومن هنا فإنها تستخدم مصطلح "توغل" بحجة ما تسميه القضاء على نشاطات إرهابية متوقعة.

***

ثانياً :

تغيير أسماء الأماكن والمقدسات والآثار الفلسطينية

الحرب الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى لم تتخذ وجهاً أو مساراً واحداً، بل اتخذت أوجهاً ومسارات بمقدار تعدد مجالات حياة الشعب الفلسطينى كلها . وقد اهتمت الحركة الصهيونية منذ مؤتمر بازل عام ١٨٩٨ – لا ، بل وقبله – بتغيير أسماء الأماكن والآثار الفلسطينية وطمس اية أدلة على عروبتها او إسلاميتها او امتدادها الحضارى الانسانى غير اليهودى .

ومثّل هذا المسار حرباً شرسة ضد المواطن الفلسطينى العادى الذى بات يجبر على التعامل مع اسماء أماكن غريبة عنه كلياً، فيما هو يحافظ على أسمائها العربية والإسلامية فى أحاديثه وقصصه الشعبية، وينقلها إلى أبنائه من باب نقل الأمانة والتراث إلى الخلف الذى بات ـ وفي ظل قطع الروابط تدريجياً بينه وبينها من قبل سلطات الاحتلال ـ غير قادر على الاحتفاظ بها كلها. وتراه يتحدث بأسى وحزن عن الأسماء المزيفة التى أحلِت قسْراً محل الأسماء العربية والإسلامية وبطرق عدة.

وبين قوة الحكم والتغيير الصهيونى وقوة الإرادة والتمسك الفلسطينية بالحق تظهر فى هذه الأيام خطورة دور الإعلام الفلسطينى والعربى والإسلامى فى مواجهة الحملة الصهيونية لتهويد فلسطين جغرافيا. هذا الإعلام الذى يمكنه أن يلعب دوراً مهما فى غرس وتثبيت وتوطين الاسم العربى الإسلامى والحضارى للمواقع والأماكن والبلدان والأعلام الجغرافية الفلسطينية، من خلال التعامل معه وحده، ورفض أى اسم يطلقه الكيان الصهيونى.

من المهم ان نبدأ الآن فى هذه المواجهة، وأن لانستكين إلى ما يشاع عن التعايش العربى والإسلامى مع ظاهرة الطمس والتغيير، والقبول بتدجين الأجيال العربية على الاسماء العبرية. ففى هذه المرحلة الراهنة يمكن النجاح أكثر مما كان متاحاً فى أية مرحلة سابقة، وذلك بتأثير ما ولّدته انتفاضة الأقصى من تضامن مع فلسطين ـ شعباً وأرضاً وتاريخاً ـ فى العالمين العربى والإسلامى.

لقد عمدت الحركة الصهيونية منذ البداية إلى اختلاق علاقة بين اليهود وفلسطين

من خلال تغيير أسماء المواقع والأماكن والبلدان، وربطها بالتوراة والتاريخ اليهودى الطارئ، فى فلسطين. وقد قاموا بعملية تزوير وتغيير واسعة لكل مكان وأثر وشارع وحيٍّ وطريق ووادٍ ونهر وجبل وسهل وتل فى فلسطين ، بحيث يتطلب رصد عملية التغيير والتزييف عملاً كبيراً وجهداً متكاملاً يتجاوز حدود هذا البحث.

وبياناً لاهمية الموضوع أضرب أمثلة لعملية التغيير والتزييف اليهودية لجغرافيا فلسطين ضمن أربعة عناوين أساسية هى :

أولاً : القيام بترجمة كثير من الأسماء العربية إلى اللغة العبرية :

لقد عمد الصهاينة إلى هذه الوسيلة نتيجة وجود تلك الصلة الكبيرة بين اللغة العبرية واللغة العربية، إذ ان كثيراً من المفردات الأولى هى مفردات عربية.. وقد أكد الدكتور ريحى كمال على أن حوالي ٢٥٪ من مفردات العبرية هى عربية، فضلاً عن عدم وجود أسماء لهذه الأماكن فى التوراة أو التاريخ اليهودى، وهذا ما يمكن أن نسميه «عبرنة الأسماء» :

م	الاسم العربى	الاسم العبرى
١	تل الربيع	تل أبيب
٢	الناصرة	نتسرات
٣	بيسان	بين شآن
٤	عسقلان	أشكلون
٥	بئر السبع	بير شيفع
٦	أسدود	أشدود
٧	الضفة الغربية	جداه معرييت
٨	قطاع غزة	رتسوعات عزة
٩	خليج حيفا	مفراتس حيفا

١٠	طلعة الدم (الخان الأحمر)	معالية أدوميم
١١	رأس العين	روض هاعين
١٢	زكريا	زخاريا
١٣	جبل الزيتون	هار هازتيم
١٤	بيت عور الفوقا	بيت حورون عليون
١٥	بيت عور التحتا	بيت حورون تحتون
١٦	بين جبرين	بيت جوبرين
١٧	البصة	بيتست
١٨	النقب	هاليكب
١٩	بيت نقوبا	بيت نكوفا
٢٠	غور الأردن	بقعات هايردين

ثانياً : تحريف الاسم العربى ليلائم الاسم العبرى :

لقد عمد الصهاينة إلى هذه الوسيلة نتيجة لقرب الحروف العبرية من العربية، ولعدم وجود أسماء عبرية لغالبية الأماكن. ويتم التحريف باستبدال حرف أو أكثر من الأسماء، وذلك بما يتناسب والنطق العبرى. ومثال ذلك :

م	الاسم العربى	الاسم العبرى
١	البحر الميت (بحر الملح)	يم ها ميلح
٢	بحيرة الحولة	بيمات حولة
٣	يازور	أزور
٤	دورا	أدورا
٥	الخضيرة	حديرة
٦	دير طريف	بيت عوريف
٧	ساجور	شزور
٨	السطرية	ستريا
٩	السموع	أشتموع
١٠	شلتا	شيلات
١١	عين حوض	عين هوض
١٢	الفالوجة	فلوجوت
١٣	فصايل	فتسئيل
١٤	النصيرات	نتساريم
١٥	يالو	أيالوت
١٦	ياصيد	يصيت
١٧	الظاهرية	زوهر
١٨	كفر عطا	كريات آتا
١٩	خربة الصوانة	صونام
٢٠	جبل الذكرى	هار هازكرون

ثالثاً : أخذ الأسماء العربية كاملة مع تحريف بسيط فيها :

عمد الصهاينة إلى هذه الوسيلة عندما دمروا كثيراً من المواقع وأقاموا مستوطنات مكانها، فأخذوا الاسم العربى وأجروا فيه بعض التحريف ليلائم اللسان العبرى. ومثال ذلك :

م	الاسم العربى	الاسم العبرى
١	كفر سابا	كفار سابا
٢	مجدل بنى فاضل	مجد اليم
٣	أريحا	يريحو
٤	أشوع	أشتاؤل
٥	إقرت	يوكرات
٦	برعم	برعام
٧	أم الرشراش (أيلة)	إيلات
٨	حوارة	هورون
٩	حطين	كفار حيطيم
١٠	أعبلين	أبليم
١١	نعلين	نعلة
١٢	شطة	بيت هاشيطة

رابعاً : تغيير الأسماء العربية بأسماء توراتية أو يهودية :

عمد الصهاينة إلى هذه الوسيلة بهدف إيجاد صلة بين اليهود الذين جلبوهم من أنحاء العالم المختلفة وبين أرض فلسطين العربية، من خلال ربط الأماكن والمواقع الفلسطينية بأسماء وردت فى التوراة، أو بأسماء شخصيات يهودية كان لها شأن فى التاريخ اليهودى. ومثال ذلك :

م	الاسم العربى	الاسم العبرى
١	فلسطين	إيرتس يسرائيل (إسرائيل)
٢	القدس	يروسلايم، أورشليم
٣	نابلس	شخيم
٤	الضفة الغربية	يهودا والسامرا
٥	الخليل	حبرون
٦	بيتين	بين إيل (بيت الله)
٧	سلوان	كفار هاسيلوح
٨	عيون قارة	ريشون لتسيون
٩	قريش شبيب	هرتسليا
١٠	ملبس	بتا تكفا
١١	جبل الطور	هارجريز (جبل جنوب نابلس)
١٢	جبل الشيخ	هارحرمون
١٣	الخالصة	كريات شمونة
١٤	سنجل	شيلو
١٥	الحرم القدسى الشريف	جبل الهيكل (خار هابيت
١٦	حائط البُرَاق	حائط المبكَى (كوتل هامعراف)
١٧	جبل فقوعة	هار هاجلبوع
١٨	جبل المكبر	هار تسوفيم
١٩	جبل المشارف	هارسكوبس

ومن المهم إيراد الأمثلة السابقة على التغيير الذى قامت به الحركة الصهيونية على أسماء المواقع والأماكن الفلسطينية، والتنبيه على أن كثيرين من الباحثين أشاروا إلى ما تم تغيير أو ألفوا فيما تم تغييره من أسماء الأماكن الفلسطينية، ومن أهم الكتب التى وضعت فى ذلك :

١ ـ الأعلام الجغرافية الفلسطينية بين الطمس والتحريف، يحيى جبر، الطبعة الأولى، وزارة الإعلام الفلسطينية، رام الله، ١٩٦٦.

٢ ـ كل مكان وأثر فلسطين، ترجمة عيد حجاج، الطبعة الأولى، مركز الدراسات العبرية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٠، مجلدان.

٣ ـ بلادنا : فلسطين، مصطفى مراد الدباغ.

٤ ـ بلدانية فلسطين المحتلة، أنيس الصانع.

٥ ـ معجم المواقع الجغرافية فى فلسطين، قسطندى نقولا أبو حمود، الطبعة الأولى جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٤.

وبعد.. فإن من المهم أيضاً ملاحظة أن ما وضع فى الكتب السابقة وغيرها ـ وبالرغم من أهميته ـ لا يعلم به إلا من يراجعها، وبقيت كنوزها مخبأة لم يتداولها الإعلاميون ولا عموم الناس. ومن هنا؛ فإن المطلوب من اتحاد الصحفيين العرب أن يفكر بإيجاد حل لهذه المعضلة، فالمعلومات موجودة لكنها بحاجة إلى نشر وبث وترويج، وهذا بلا شك دور الإعلاميين، وعلى رأسهم القائمون على اتحاد الصحفيين العرب. ومن هنا اقترح أن يصار إلى تجميع المعلومات من جديد وإضافة ما استجد إلى الكتاب الجديد، وطبعه ونشره بين الناس. ثم إصدار خريطة جديدة لفلسطين وعليها الأسماء العربية كاملة وتعميمها على وسائل الإعلام العربية كلها، والطلب من الإعلاميين التعامل مع هذه الأسماء فقط.

***

ثالثاً :

أساليب مقترحة لتخليص اللغة الإعلامية العربية من المدسوسات الصهيونية

تقوم وسائل الإعلام بدور كبير فى صناعة مواقف المجتمعات تجاه قضايا كثيرة تهمها، وتزداد أهمية وسائل الإعلام المرئية والمسموعة فى زمن الحرب، انطلاقاً من فكرة أن من يربح الإعلام هو الذى ينتصر فى المعركة، باعتبار أن وسائل الإعلام هى الطف وأخف الوسائل لممارسة المقاومة من دون خسائر بشرية أو فى الممتلكات المادية، وذلك لأن الإذاعة والتلفاز يمتازان بالسرعة فى معالجة الأحداث مهما كان نوعها، إذ هما قادران ـ مثلاً ـ على قطع برامجهما الاعتيادية فى أية لحظة للتعليق على أية قضية ومعالجتها بالطريقة المطلوبة. وتزداد خطورتهما بسبب عدم وجود مساحة زمنية أمام السامع والمشاهد لتحرى الخبر المنقول إليه، فضلاً عن قوة تأثير الصوت والصورة على السامع والمشاهد.

من هنا ؛ فإن من المهم والضرورى أن تقوم وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية والإسلامية بدورها كاملاً تجاه أحداث انتفاضة الأقصى والصراع الفلسطينى والعربى مع الكيان الصهيونى، وأن لا تلعب أى دور خارج إطار الحق العربى بذريعة ما يسمى بالموضوعية أو الحياد فى نقل الأخبار، لأن الصراع لا يخضع للحياد والموضوعية بقدر ما يخضع للحق وحشد كل الطاقات من أجل نصرته.

إن مهمة الإعلام هى صناعة رأى عام، وتشكيل ثقافة، وترسيخ سلوك، وصياغة موقف محدد. ومهمة الإعلام العربى يجب أن لا تكون بعيدة عن هذه المهمة، إذ يجب ان تنصبَّ على إعادة ترتيب القيم الوطنية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحشدها لصالح نصرة الحقوق الفلسطينية والعربية.

بناءً على ما سبق؛ فإننى أقترح الطرق الآتية من أجل تخليص وسائل الإعلام العربية من المصطلحات الإعلامية الصهيونية التى سربت إليها بطرق مختلفة :

١ ـ إقامة مركز إعلامى مهنى، يهتم .. لا، بل يتخصص فى قضية المصطلحات، فيُعنى بكل عنصر من عناصر العملية الإعلامية، ويوفر له متطلباته، ويكون بمثابة

وكالة الإعلام المركزية لهذه القضية، وإقامة الروابط مع جميع الجهات المعنية بفلسطين ومواجهة التزييف والغزو الثقافى والصهيونى فى العالمين العربى والإسلامى.

وتكون مهمة هذا المركز الحرص فى على صياغة خطاب إعلامى مؤثر وفاعل، وبأسلوب جذاب ولغة واضحة، وحبذا لو يكون فى مقدمة أعماله :

(أ) الاهتمام بقضية القدس وما تتعرض له من خنق وحصار وتهويد، وبخاصة أنه يفرض على قضيتها تعتيم إعلامى كبير جداً، منذ بدأت قوات الاحتلال بإعادة احتلال المدن الفلسطينية، وذلك من خلال القيام بإعداد ثبت (رُزْمانة) بأيام شعبنا وأمتنا فى بيت المقدس، ووضع مخطط لإحياء تلك الأيام بأساليب متعددة، بما يؤدى إلى شحن ذاكرة الشعوب العربية والإسلامية بقضية القدس، وإعادتها إلى مكانتها فى الذاكرة الفردية والجماعية للأمة.

(ب) تحديد الجهات الرسمية والشعبية والأهلية التى يجب التوجه إليها بخطاب إعلامى وعربى وإسلامى، ووضع الدراسات اللازمة حول كيفية مخاطبتها.

٢ ـ استخدام أدوات العصر وثقافته فى توثيق الأحداث وتسجيلها، وبخاصة الجرائم التى يرتكبها المستوطنون وقوات الاحتلال الصهيونى والمستوطنين ضد الإنسان الفلسطينى وأرضه وممتلكاته، وإظهار ذلك بصورة مؤثرة ومثيرة للعواطف والأحاسيس البشرية، لأن التوثيق والتسجيل الفاعل هو الطريقة المثلى لإقناع العالم بمصداقية قضيتنا، فى عالم أصبحت الصورة الموثقة والكلمة المنطوقة هى التى تخاطب العقل فيه.

ومن المهم هنا الإشارة إلى ما قاله الإرهابى المجرم آرييل شارون رئيس الحكومة الصهيونية من أن كسب المعركة من الشعب الفلسطينى يرتبط بنسبة ٨٠ ـ ٩٠٪ بفاعلية الإعلام، وبناء على ذلك فإن المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى العاصمة البلجيكية بداية أيار الماضى رصد ٣٠٠ عمل ضد أفراد أو منشآت يهودية فى الأسابيع الثلاثة التى سبقت المؤتمر، ووثقها بالزمان والمكان والأدوات، مما أدى إلى تحقيق أهدافه بشكل واضح. كما أن شارون يحمل معه دائماً إلى أمريكا كتباً ووثائق ـ كما يدعى ـ يحاول بها إقناع بوش وإدارته بتبنى مواقفه وحكومته من السلطة الوطنية الفلسطينية ورئيسها!

٣ ـ الكف عن توفير ما يمكن أن نسميه التوثيق المضاد وتسجيله. فمنظر العملاء الذين قتلوا فى رام الله وبيت لحم أساء بشكل أو بآخر إلى الشعب الفلسطينى ونضاله الوطنى من أجل التحرر والاستقلال، ولم يقدم إلينا وإلى صورتنا تعزيزاً دولياً، بل أضاف إلى مواقفنا الضعف والخسارة على الساحة الدولية، كما أنه أعطى للصهاينة فرصة للدعاية ضدنا باننا لم نقدر على التعامل مع المنشقين بطريقة متحضرة ومن خلال محاكمات مقنعة وعقوبات تحفظ كرامة الإنسان حياً وميتاً، فضلاً عن أن الصور التى بثتها وسائل الإعلام لفتت الأنظار بعيداً عن مآسى شعبنا الذى يعانى ويلات الاحتلال، وصوّرتنا على أننا جماعات همجية هدفها الانتقام والتمثيل بالجثث فقط.

٤ ـ ضرورة الاهتمام بما يسمى فى الإعلام بإدارة العلاقات العامة بصورة ناجحة، لأن هذه تسير بموازاة النضال المادى على الأرض الذى لا نستطيع تحقيق نصر كاسح فيه فى ظل المعطيات الموجودة. لذلك فإننا بامتلاكنا الحق والإدارة نستطيع ـ بأسلوب يتماشى وطبيعةُ إدارة الصراعات فى العلاقات الدولية ـ القيامَ بتوثيق الانتهاكات الصهيونية تقديمها للرأى العام الدولى، ليصار عاجلاً أو آجلاً إلى محاكمته دولياً عليها محاكمة المجرمين.

ولناخذ على ذلك مثالاً، وهو عدم اهتمام الكيان الصهيونى بقرارات الشرعية الدولية مع أنه مدين فى قيامه لتلك القرارات، فيمكننا إعداد فيلم وثائقى (مثلاً) عن تلك القرارات بكل تفاصيلها والتصويت عليها وكيفية إجهاضها من قبل الكيان الصهيونى، ثم التساؤل بطريقة مؤثرة : كيف مر هذا التحدى الصهيونى للأمم المتحدة من دون عقاب؟!

٥ ـ فى قضية الاستشهاديين، من المهم إبراز الجانب الإنسانى فى حياتهم، من خلال تصوير حالة اليأس التى أجبرت شاباً أوشابة فى ريعان الشباب على الإقدام على وضع حد لحياته بهذه الصورة، والتركيز على أن الدافع لذلك هو وقوعه تحت الإذلال وعدم احترام آدميته وإنسانيته ـ لا، بل وامتهانها ـ من قبل قوات الاحتلال فى كل زمان ومكان، وتصوير الممارسات الصهيونية على أنها هى السبب المطلق فى هذه الظاهرة، والتأكيد للصهاينة على أن لاستخدام القوة والبطش والإذلال ثمناً غالياً.

٦ ـ عدم استخدام المصطلحات الصهيونية، لا .. بل تحريم استخدامها، حتى وإن كان ذلك عند بعضنا من باب النقل الحرفى عن تصريحات مسؤولين صهاينة أو بيانات ونشرات صهيونية أو مؤيدة لها، وهذا يجب أن يأتى من خلال ضبط وتحرير جميع الموضوعات التى يكون مصدرها صهيونياً أو أمريكياً أو موالياً لهما، وبخاصة من خلال النقل أو الترجمة وتنبه المحررين فى وسائل الإعلام إلى خطورة مهماتهم.

٧ ـ عدم إفساح المجال فى وسائل الإعلام العربية أمام الصهاينة لإبداء وجهات نظرهم، لأن ذلك يسهم فى نشر المصطلحات الصهيونية المغرضة وفى بث الآراء الصهيونية، وذلك مهما تكن المبررات التى يسوقها بعضنا مثل سماع رأى الطرف الآخر، والحياد، والموضوعية. فلا يجوز أن يكون الإعلام العربى محايداً فى موقفه من قضيته الوطنية العادلة.

ولنا دروس كثيرة فى الأوامر التى أصدرها الإرهابى والمجرم أرييل شارون لسلطة البث الإسرائيلية فى الإذاعة والتلفاز بعدم إجراء أية مقابلات مع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات والمسئولين الفلسطينيين بحجة عدم توفير منصة لهم لإبداء آرائهم فى وسائل الإعلام الصهيونية، كما أنه منع رئيس الكيان الصهيونى موشيه قصاب ورئيس الكنيست الصهيونى إبراهام بورغ من زيارة المجلس التشريعى الفلسطينى لنفس الحجة.

وكذلك فعل جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حيث طالب وسائل الإعلام الأمريكية بعدم بث أية مقابلات مع أسامة بن لادن وزعماء حركة طالبان لمنع توفير منصة إعلامية لهم، والتزمت بذلك الطلب أهم الوسائل الإعلامية الأمريكية ومنها: (سى إن إن)، و(إن بى سى)، و(فوكس أمريكا).

كما أن هيئة الإذاعة البريطانية بى بى سى رضخت منذ ٥ / ٧ / ٢٠٠١ للضغوط الصهيونية وحظرت ـ كما سبق بيانه ـ على موظفيها استخدام لفظ اغتيال ضد قيادات الانتفاضة، واضطرت إلى استخدام المصطلحات الصهيونية: «تصفية» أو «عملية إحباط موضعى» أو «عملية قتل مستهدف»، ثم تبعتها شبكة (سى إن إن)

الأمريكية فى تسمية مستوطنة جيلو جنوب القدس بأنها «حى من أحيائها» بالرغم من أن ذلك يشكل خرقاً فاضحا لقرارات الشرعية الدولية بشأن القدس المحتلة، وعدم شرعية الاستيطان اليهودى فيها.

٨ - استخدام شبكة الإنترنت وسيلة لنشر المصطلحات العربية فى مواجهة المصطلحات الصهيونية المنتشرة بشكل ذكى فى الخطاب الإعلامى الصهيونى الموجه للعالمين العربى والإسلامى والدول الأجنبية.

٩ - رسم خريطة مجسمة للأراضى العربية المحتلة، وأهمها فلسطين، يتم من خلالها توضيح المعالم الجغرافية والدينية والأثرية والتاريخية عليها، وتوزيعها على كل بيت عربى، وإقامة مسابقات ثقافية فى الوطن العربى، أو من خلال برامج الإذاعة والتلفاز التى يتم فيها توجيه أسئلة منوعة للسامعين أو المشاهدين تتضمن ما يتم تغييره من معالم الأرض المحتلة من قبل الصهاينة.

١٠ - التركيز فى الخطاب الإعلامى العربى على فضح الممارسات الصهيونية العنصرية وإثارة الرأى العام حولها. فمثلاً .. لا يجوز أن تمر عمليات القتل فى المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمى ومهاجمة مسجد حسن بيك فى يافا من قبل اليهود لساعات أمام شاشات التلفاز، ولا قصف المساجد وانتهاك حرمأتها وتمزيق المصاحف، ولا قصف كنيسة المهد وإحراق أجزائها.. كما مرت حتى الآن. يجب أن تصبح مثل هذه الجرائم حدثاً سياسياً مهماً يتم التوجه به ضمن خطاب إعلامى عربى وإسلامى لدول العالم من أجل وقف عنصرية اليهود وتهديد الحريات الدينية.

كما يجب التركيز على قدسية المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وربطها بالحج وشد الرحال إليه وزيارته والصلاة فيه، وكذلك إبراز ثواب المرابطة فى أرض فلسطين والشام.

إضافة إلى ذلك يجب استغلال ما تنشره وسائل الإعلام الصهيونية من تصريحات وممارسات عنصرية ضد العرب والشعب الفلسطينى بطريقة أو أخرى، ومن ذلك مثلاً :

١ - صحيفة يديعوت أحرنوت قالت فى ١١ شباط ٢٠٠٢ : «الوصف المثالى

للجندى الإسرائيلى هو : قاسى القلب، أعمى العينين، وهو يخوض الحرب بعقلية الحيوان المفترس». وقالت: «إن الجندى الذى يحظى بالاحترام والتقدير الأكبر هو الذى يكثر من القتل». واعترف رامى كفلين من الضباط الاحتياط الذين وقعوا رسالة رفضوا فيها الخدمة فى الضفة والقطاع، وكان قائد فصيل مدرعات فى جنوب لبنان عام ١٩٩٦، فقال : «دربت جنودى بوضوح على عدم أسر مقاتلى حزب الله، بل على إطلاق النار على الجرحى». وقال أيضاً : «إن أيديولوجية الجيش الإسرائيلى تقوم على عرض العرب على أنهم أعداء وسفلة ومتآمرين وغرباء ولا ينتمون للإنسانية».

٢ ـ تحدث أمير أورين فى صحيفة هآرتس الصهيونية عن أحد الضباط الذى قال له : «إنه يجب تعلم كيف دمر النازيون غيتو وارسو كجزء من الاستعداد للقتال فى المدن الفلسطينية».

٣ ـ نشرت صحيفة كوله زمان الصهيونية يوم ٢٠٠١/١١/١٦ عن ممثل سلاح المشاة أنه عندما زار طلاب الصف الثانى عشر فى مدرسة هيرتمان بالقدس المحتلة «حاول إقناع الطلاب بالتجنيد فى الجيش من خلال وعدهم بأن يتصوروا مع الجثث».

٤ ـ التركيز على الجرائم التى يرتكبها جنود وجيش الاحتلال على الحواجز العسكرية، ومنحها وقتاً أكثر فى وسائل إعلامنا بدلاً من إجراء مقابلات مجانية مع القادة الصهاينة والسماح له ببث سمومهم للعالم، وبخاصة أن التقرير الداخلى للجيش الصهيونى كشف عن مظاهر الإهانات والتنكيل والإذلال التى تقع فى الحواجز، ولا شك فى أنه يمكن يومياً كتابة قصص وإنجاز أفلام حية على كل حاجز لجيش الاحتلال.

٥ ـ قالت صحيفة يديعوت أحرنوت الصهيونية فى عددها يوم الثلاثاء ٧ / ٥/ ٢٠٠٢ (وترجمتها صحيفة «القدس العربية» فى عدد الأربعاء ٨ / ٥ / ٢٠٠٢، ص ٨ عدد ٣١٩٥) : «إن الجنود الاحتياط الذين احتلوا طولكرم تلقوا رسائل مع هدايا من طلبة مدرستين، هما «أورات» فى بات يام و«معلون نريه» فى بنى براك، حثوا فيها

الجنود على قتل أكبر عدد من العرب» .. وأوردت أمثلة من هذه الخطابات :

١ ـ جندى تلقى رسالة فيها : «يجب أن تقتل عشرة من العرب على الأقل .. رُشَّهم ببندقيتك. العربى الجيد هو العربى الميت».

٢ ـ جندى آخر تلقى رسالة فيها : «الفلسطينيون، محا الله ذكرهم، ليحترقوا بنيران جهنم، احصدوهم ببنادق إم ١٦، واقصفوهم».

٣ ـ جندى ثالث تلقى رسالة فيها : «أطلب منك طلباً خاصاً : اقتل أكبر عدد ممكن من العرب».

٤ ـ طالب كتب إلى جندى أمنيته فقال : «أرغب بأن أكون هناك، وأن أطلق النار على الجميع .. ويا ليت أن يموت جميع العرب».

***

خاتمة

من المهم جداً أن يكمل اتحاد الصحفيين العرب هذه الدراسة، ليصل بها إلى عملية رصد مستمر لكل ما يقوم به الصهاينة ويحاولون ترويجه عبر وسائل الإعلام بهدف تدجين الناشئة العربية والإسلامية على تلك المصطلحات والقبول بها ونسيان الأسماء العربية والثقافية العربية والحضارة العربية الإسلامية ضاربة الجذور.

وهذا يستوجب التوسع فى هذا البحث وتوفير الأدوات لاستكماله بحيث يتم أولاً :

١ ـ وضع معجم جغرافى بأسماء البلدان والمواقع الفلسطينية يضم ما وضعه السابقون ويمنهجه، ويشرحه.

٢ ـ تزويد المعجم بخرائط تفصيلية.

٣ ـ وضع معجم أثرى للمساجد والكنائس والمقابر والمقامات والمواقع التاريخية الفلسطينية ـ وحبذا لو يكون مصوراً ـ .

٤ ـ وضع معجم زراعى فلسطينى يحافظ على الأسماء العربية ويمنع تهويدها، وحبذا لو تضم إلى ذلك صور طبيعية يقوم الاتحاد بتوزيعها مع شروحات لها كبطاقات معايدة.

إن ما سبق يتطلب جهداً كبيراً، لكننى آمل أن نبدأ به، وأن نحشد الدعم لإنجاحه ونشره بين وسائل إعلامنا وإعلاميينا ليخاطبوا به ناشئتنا ويسهموا فى تحصينهم ضد ثقافة التهويد والصهينة. ولاشك فى أن اتحاد الصحفيين العرب هو، بمواقفه الرافضة للتطبيع والصهينة، خير من يقوم بهذه المهمة التى لم يتصد لها أحد أو جهة من قبل.

***

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

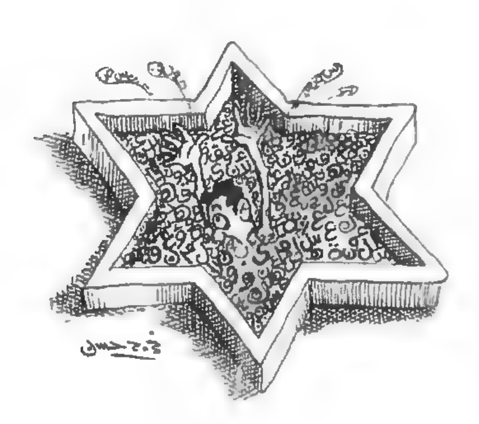
[illegible]

القسم
الثانى

(٥)

عـَثـراتُ الأقـلام فى مـصطلحـات الإعـلام !

مسارد للتعابير والمصطلحات المدسوسة فى الإعلام العربى



أ. فايز قنديل*

* المدير الأسبق لإذاعة الجمهورية العربية السورية، وعضو اتحاد الصحفيين السوريين



مقدمة

أعلم مقدماً أن عنوان هذه الدراسة التى تتبعت فيها بعض الذى دسته الصهيونية فى مفردات الإعلام العربى ومصطلحاته، وفى أسماء الأماكن فى الأراضى العربية المحتلة، سوف يبدو للكثيرين، وكأنه خارج لتوّه من «عصر الانحطاط» لما فيه من بعض «السَّجْع» !

إننى أعلم هذا. ولكننى تعمدت هذا «السَّجْع» فى العنوان، لا من باب السّباحة ضد تيار «لغة» الصحافة العربية الراهن، وهو تيار يحتاج إلى تطهير وتنظيف و«كَرْى» (وهذه المفردة الأخيرة، أى «الكَرْى»، تبدو بدورها وكأنها تطفو من أعماق العصر العباسى أو المملوكى! وهى تعنى تنظيف مجرى النهر وتعميقه). كلا .. ولكن فرض «السَّجْع» نفسه فرضاً، إذا انتممتُ فيه بأئمة اللغة واقتديت بهم القُدوة الحسنة..

وكان الآباء المؤسسون للمجمع العلمى العربى السورى قد استنُّوا سنةً لُغوية طيبة، حدثنا عنها العلامة الراحل الأستاذ «سعيد الأفغانى» فقال : إنهم تتبعوا منذ عام ١٩٢١ ميلادية، ما ينشر فى الصحف والمجلات، فإذا وقعوا على لحن شائع، أو تركيب ركيك، أو تعبير غيرُه أعربُ منه - جمعوا ذلك ثم نشروه على الناس مبينين موضع العيب فيه، ومشيرين بما يقوم مقامه من تعبير سليم .. وبدأ المجمع العلمى السورى بنشر هذه المسارد من الأخطاء وتصحيحاتها فى مقالات متتابعة تحت عنوان «عثرات الأقلام» . وقد نشر العلامة الأستاذ «سعيد الأفغانى» قوله هذا فى كتابه الممتاز «حاضر اللغة العربية فى الشام» الذى يضم محاضرات ألقاها فى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة.

وإذن، فإننى لست سجّاعاً، ولكن «السَّجعة» فرضت نفسها فرضاً!

أما موضوع «الدسائس» اللغوية الصهيونية، فإننا نُذكِّر بما يعرفه معظم الكتّاب العرب وطلبة التاريخ والأدب العربيين، والعلوم الدينية الإسلامية حول ما يُعرَف «بالإسرائيليات»، أى ما دسّه اليهود القدماء أو بعض من أسلَم منهم، من خرافات سقيمة فى بعض تفاسير القرآن الكريم.. هذا الدسُّ الإسرائيلى القديم استأنفه صهاينة هذه الأيام. وهو ما ننظره فى هذه الدراسة، فنجده السلوك الذى لا سلوك

للصهاينة غيره. فالذين سرقوا أرضنا العربية زعموا «ثوب» القروية الفلسطينية المطرز، وهو أجمل ثوب نسائى فى العالم .. زعموه «إسرائيلياً»، وألبسوه مضيفاتِ الخطوط الجوية الإسرائيلية «العال» ! كذلك سرقوا الرقصة العربية المعروفة «بالدبكة» وزعموها رقصة يهودية أو إسرائيلية، كما سرقوا ألوان الطعام العربى لكى يزعموها «أطباقاً» إسرائيلية .. هؤلاء الذين سرقوا بعض مظاهر الثقافة العربية هم الذين زوروا «الأعلام» العربية الفلسطينية، أى أسماء المدن والقرى والدساكر والقلاع، والجبال والتلال والبحيرات والأنهار.

اى انهم «عَبْرَنوا» هذه الأسماء العربية مستغلين التشابه بين اللغتين العربية والعبرية، باعتبارهما من عائلة اللغات «السامية». وبهذه العَبرنة ـ بل التزوير ـ شوّه الصهاينة اسم مدينة «يافا» فصار «يافو» على سبيل المثال .. وأما بلدة «مجد شمس» فى الجولان العربى السورى المحتل، فقد أقحموا إلى جوارها مستعمرة صهيونية، لم يجدوا لتسميتها أسهل من سرقة اسم البلدة العربية بعد «عبْرنَته» ـ بل تشويهه ـ، فلقد أسموا مستعمرتهم تلك «مغدال هاشيمش» .. فالمجدل ـ وهو الصخر أو الأراضى الصخرية بالعربية ـ هو «المغدال» بالعبرية، وأما الشمس بالعربية، فهى «شميس» بالعبرية.

وأشير إلى ان هذه دراسة، اعتمدت فى شطرها الثانى وهو تصحيح «الأعلام» على «الموسوعة الفلسطينية» التى أشرف على إنجازها العلامة العربى الفلسطينى الأستاذ الدكتور «أنيس صايغ»، وكذلك على موسوعة العلامة العربى الفلسطينى الراحل الأستاذ «مصطفى مراد الدباغ» وهى «بلادنا : فلسطين» والتى استقت منها الموسوعة الفلسطينية أيضاً . وقد قيل لى بعد أن أنجزت هذه الدراسة ـ هذا إذا كانت انجزت فعلاً! ـ إن باحثاً عربياً فلسطينياً مقيماً فى «لندن» قد صنَّف مسرَداً أو مسارد للأماكن التى غيَّر العدو الصهيونى أسماءها، ولكننى مع أسفى البالغ لم أطلع على هذا العمل، ولو اطلعت عليه لاغنيت به بحثى هذا، وأشرت إليه.

هذا عن أسماء الأماكن والمواقع. وأما المصطلحات السياسية والإعلامية التى دستها الدعاية الصهيونية فى الإعلام العربى، فأظن دراستى هذه الصفحة الأولى،

إذا جاز التعبير، فى هذا الباب، ولو عرفت فى هذا الباب أعمالاً أخرى لأفدتُ منها، وسجلت ذلك فى هذه المقدمة..

وإذا تزايدت «المدسوسات» الإسرائيلية فإننى أعِد بمتابعتها وتزويد اتحاد الصحفيين العرب، بقوائم تحتويها . أقول هذا، مع أن عمل «الفريق الواحد المتكاتف» سيكون أفضل من عمل الأفراد مهما تكن كفاءتهم، حتى وإن كان فريق العمل هذا متوزِّع الأعضاء فى أصقاع الوطن العربى الكبير، لكن الصلات معقودة بينهم كما آمل - عبر الاتحادات الصحفية العربية، والاتحاد الجامع لها، وإن كنت أرجو ألا تطول قائمة «المدسوسات الإسرائيلية»، وذلك بتحرير المحتل من أرضنا العربية.

لقد قلت ما تقدَّم، وأنا ألاحظ بأسف شديد أن بعض الكتّاب العرب يخطئون «طوعياً» _ إذا جاز القول، أى بدون «دس» إسرائيلى. فهناك على سبيل المثال كتاب أصدرته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عام ١٩٨٥ تحت عنوان «المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة»، ولقد ذهلت عندما قرأت فى هذا الكتاب ملحقاً بعنوان «جدول كرونولوجى للقدس» ولم يجد الناشرون ضرورة لتعريب كلمة كرونولوجى! _ وهى «التأريخ» بهمزة بعد التاء . ولكن هذا هو الجانب الهين فى المسألة، وأما الجانب الخطير، لكيلا أقول «المروِّع» -؛ فهو أن هذا الجدول «الكرونولوجى» عندما تحدث عن العرب فى «القدس»، تحدث عما أسماه «الغزو» العربى للقدس بين أعوام (٦٣٨ _ ١٠٧٢) للميلاد، ولم يقل : «الفتح» مثلاً، أو «التعريب»، أو «التحرير».. كذلك كرر الكتاب هذه الخطيئة الصاعقة، عندما تحدث هذا «الكرونولوجى» عن تحرير العرب «للقدس» من الغزاة «الفرنجة» فأسماه «الغزو الجديد للمدينة على يد العرب»! بل لقد اقترف الكتاب هذه الخطيئة الفاحشة ثالثةً عندما أسمى تحرير العرب «للقدس» بين عامى ١١٨٧ _ ١٢٢٩ (أى بعد تحريرها على يد البطل «صلاح الدين الأيوبى») بأنه «غزو العرب للمدينة مرة أخرى»!.

فهل يعقل أن يصدر هذا «الكرونولوجى» عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، حتى وإن عقدت الجامعة العربية الندوة التى أسفرت عنه هذا الكتاب فى مدينة «واشنطن» عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ؟!

وبالإضافة إلى ما تقدم؛ فإن «وجدانى اللغوى» – إذا جاز التعبير يُملى علىّ أن أسجل ملحوظة عابرة، وإن تكن خارج موضوع هذه الدراسة. فنحن نرى اللغة العربية تتدهور بشكل عام فى الصحافة العربية خارج إطار القضية الفلسطينية .. وهو شأن يضيق عن تتبعه نطاق هذه الدراسة (التى رجوت أن يتاح لى وقت أطول لإعدادها لكى تكون أكثر إحاطة بموضوعاتها.. ولكن ما لا يُدرك كلُّه .. لا يُترك جُلُّه) .. ولكن تجب الإشارة إليه، لعل الغيورين ومن بيدهم الأمر يقومون بواجبهم إزاءه. والله المستعان.

***

القسم الأول

التعابير المدسوسة وتصحيحها

١ ـ أورشاليم :

والصواب : القدس. وأما كلمة «أورشاليم» فهي كلمة كنعانية وقد وردت في المؤلفات والمواثيق والمعاهدات العربية مع الآخرين في العصور الوسيطة، ومعناها بالكنعانيةُ مدينة السلام . وكلمة «أور» هي اسم مدينة قديمة في العراق القديم، وأما كلمة «شاليم». فمعناها الكنعاني هو «السلام». وأما «السلام» بالعبرية فهو «شالوم» وليس «شاليم» ومع ذلك فقد حملت هذه الكلمة الكنعانية القديمة إيحاءات «عبرية» ثم «إسرائيلية» أو يهودية تُملي الكفّ عن استخدامها. وعلى كل حال فهذه الكلمة «أورشاليم» لم تستخدم في الأدبيات والتواريخ العربية منذ الغزوة «الفرنجية» ـ أي الصليبية ـ . ولسنا نظنُّ عربياً واحداً، يُبدل القدس، أو بيت المقدس، أو «إيلياء» التي ورد ذكرها في «العهدة العُمَرِيّة»، وخصوصاً كلمتي «القُدس أو بيت المقدس» بكلمة «أورشاليم».

٢ ـ اجهزة الأمن الإسرائيلي :

هذا تعبير يوحي بأن هذه الأجهزة طبيعية في دولة طبيعية، ولذلك يجب إبدالها بأجهزة «الجاسوسيّة الإسرائيلية» مثل «الموساد» وهو المخابرات الخارجية، و«الشين بيت» وهو «المخابرات الداخلية» و«الشاباك» وهو المخابرات العسكرية، ويمكن إبقاء تعبير «الشرطة الإسرائيلية» أو «البوليس الإسرائيلي» كما هي، تمييزاً له عن تلك الأجهزة.

٣ ـ إيلات :

هي ميناء «العقبة» الفلسطيني المحتل، وهناك مدينة «العقبة» الأردنية أيضاً. وأما «العقبة» العربية فتُدعى «أمّ الرشراش». ويحسن استخدام كلمة «العقبة» و«خليج العقبة» فهي الأوسع انتشاراً.

٤ ـ الإجراءات الأمنية الإسرائيلية :

هذا التعبير يُوحى «بالأمن»، وهو أمر طبيعى ولكن ليس بالنسبة إلى جرائم العدو. والأصوب هو تعبير الإجراءات القمعية الإسرائيلية.

٥ ـ الإرهاب :

الإرهاب هو الإرهاب الإسرائيلى، ويحسن تسميته فى بعض الحالات «جرائم الحرب». ولكن المقاومة والانتفاضة والثورة.. كل أولئك ليس «إرهاباً» كما تزعم إسرائيل.

٦ ـ اعتداءات فلسطينية :

للأسف تستخدم بعض الصحف هذا التعبير، أى «الاعتداءات الفلسطينية»، ربما نقلاً حرفياً عن وكالات الأنباء الأجنبية.

٧ ـ الانتحاريون :

هذه الكلمة هى التعبير الخاطىء عن الاستشهاديين، ولئن كان للصحافة الغربية عذرها فى هذا الاستخدام، فلا وجهَ ولا عُذرَ لأى قلم عربى فى أن يكتب كلمة «الانتحارى» بدلاً من الاستشهادى.

٨ ـ بُحيرةُ كِنيرِت :

هى بحيرة «طبريا»، وهى منسوبة إلى الامبراطور الرومانى «طيباريوس قيصر». وتزعم إسرائيل المدينة المجاورة للبحيرة ـ وهى مدينة «طبريا» ـ تزعمها «تيفيريا» لتبعد بها عن الأصل الرومانى اللاتينى للكلمة، وهو أصل غير «عبرى» على كل حال.

٩ ـ بحيرة الجليل :

هى نفسها بحيرة «طبريا» التى تزعمها إسرائيل بحيرة «كنيرت». وكلمة «غَل» أو «جلّ» فى جذْرها السامى تعنى «المَوج» ومقلوبها بالعربية هى «اللَّج».. وسواء أكانت «جَلاً» أم «لُجّاً» ؛ فإن فى «لبنان» مثلاً بلدة بَحريةً تدعى «جَلّ الديب». وأما مُجْتمع المياه فهو «المَجَلّ» من «الجلّ». وأما «المجَلّةُ» فهى تجمع المواد الصحفية أو الكتابية.

وهى باللغات الأوروبية «ماغازين» التى تعنى «المخزن»، وليست هذه المعانى فى أصلها المادىّ بعيدة عن «خزّان المياه» أى الخزّان .. أو «المجلّ» الذى تتجمع فيه المياه.

١٠ ـ توجت إسرائيل .. :

يقال مثلاً : «توّجت إسرائيل إجراءاتها الأمنية، أو القمعية، بتدمير عدد من المبانى الفلسطينية» .. أين التتويج هنا؟!. الواجب أن يُقال : «أضافت» إسرائيل، أو «أكملت» إسرائيل، أو «صعّدت» إجراءاتها إلى كذا وكذا ..

١١ ـ تدمير منظّم :

الصواب أن يُقال إنه تدمير متعمّد أوْ مُخططٌ له مسبقاً، وذلك لأن التنظيم مضاد للفوضى، علماً بأن التدمير الإسرائيلى «عشوائى» أو «فوضوى» أو «شامل» أى أن هدفه هو «التدمير للتدمير»، وحتى لو لم يكن الأمر كذلك فلا يجوز إسباغ صفة «النظام» على جريمة حرب هى تدمير منازل المواطنين العرب.

١٢ ـ ترتقى إلى .. :

يُقال مثلاً إن تلك العملية الإسرائيلية «ترتقى» إلى مستوى جرائم الحرب. والأصح، بل الصحيح، أن يُقال إنها جريمة «تنحدر» إلى حضيض «جرائم الحرب»، فلا رُقى فى الجريمة.

١٣ ـ تركيع :

يقال مثلاً : إن الإرهاب الإسرائيلى يهدف إلى «تركيع » الشعب العربى الفلسطينى، ومن الواضح طبعاً أن هذه الكلمة مُهينة، ويحسن أن يُقال إن إسرائيل تهدف إلى «الفتّ فى عضد» الشعب الفلسطينى أو «تحطيم إرادته».

١٤ ـ جبل الهيكل :

والمقصود بهذا التعبير الكاذب هو «الحرم القُدسىُّ الشريف» أى قُبة الصخرة المشرفة، والمسجد الأقصى المبارك، وجامع عمر وكل المنشآت العربية التاريخية المجاورة لهذه المقدسات. وأما «الهيكل» فهو الهيكل المزعوم الذى تريد إسرائيل بناءه

على أنقاض الأوابد والمقدسات العربية والإسلامية، وكذلك المسيحية، لولا حاجة الكيان الصهيونى إلى دعم الدول المسيحية فى «أوربا وأميركا». والتعبير الصحيح، الذى لا صحيح غيره، هو «الحرم القدسىّ الشريف».

١٥ ـ جيش الدفاع الإسرائيلى :

للأسف أيضاً نرى بعض الصحف العربى تستخدم هذا التعبير، مع أن جيش إسرائيل ليس جيش دفاع، بل هو جيش غزو واستعمار، وبالتالى يجب أن يوصف بجيش الاستعمار، أو جيش الاحتلال الإسرائيلى أو الجيش الصهيونى، ولا يجوز أن يوصف بأنه جيش الدفاع الإسرائيلى.

ومن هذا يتفرّع وصف وزير الشؤون العسكرية الإسرائيلية بأنه «وزير الدفاع»، والتعبير غير صحيح، ولقد أبدلَ هذا التعبير بتعبير آخر نراه غير موفّق هو «وزير الحرب الإسرائيلى»، وهذا تعبير ينال من المعنويات العربية ولا يسيىء إلى إسرائيل فى العالم، ونحن نفضل أن يوصف وزير الدفاع الإسرائيلى بأنه وزير الجيش الإسرائيلى.

١٦ ـ الجاليات اليهودية :

يجب أن يقال: الفرنسيون اليهود أو الإنجليز اليهود.. وهكذا، وأما تعبير الجاليات فيكرس انفصالهم المتعمد عن أوطانهم، كما يكرس ولاءهم لإسرائيل على حساب ولائهم لأوطانهم الأوربية الأصلية.

١٧ ـ حبرون :

هى مدينة «الخليل» العربية الفلسطينية، وأما الخليل الذى تُنسب إليه المدينة، فإنه إبراهيم خليل الرحمن أبو الأنبياء وجد العرب عليه السلام.

وهناك أيضاً تعبير «مغارة الأنبياء فى الحرم الإبراهيمى»، والتى تزعمها إسرائيل «الماطفيلا»، والتى يجب أن تسمى مع الجامع الذى يضمها بالتسمية العربية وهى «الحرم الإبراهيمى الشريف» فى مدينة الخليل.

١٨ ـ حرب التحرير الإسرائيلية :

هى مـا يعرفـه العـرب بحـرب عـام ١٩٤٨ لإنقـاذ فلسطين. وهـى عـبـارة تـعنى أن فلسطين أرض اليهودِ وقد حاربوا لتحريرها من أهلها المغتصبين!

١٩ ـ حرب الأيام الستة :

هى العدوان الإسرائيلى على العرب فى الخامس من حزيران على مصر وسورية والأردن «الضـفـة الغـربيـة». وكمـا هو واضـح فـإن تـعـبيـر «حـرب الأيام السـتـة» مـهـين للوجـدان العربى، وبالتـالى لا يجـوز التـعـبيـر عنهـا إلا بتـعـبيـر «عـدوان حـزيران عـام ١٩٦٧».

٢٠ ـ حرب يوم الغفران :

هى حرب تشرين التحريرية المجيدة عام ١٩٧٣، أو «حرب أكتوبر» كما تدعى فى جمهورية مصـر العربيـة، وتزعمهـا إسرائيل حرب «يوم الغـفـران»، أو «يوم كيبور» باللغة العبرية. وقد لاحظنا أن بعض الصـحـفـيين العرب يكتبون عن يوم «كيبور» مسـتـخـدمين هذه الكلمـة العـبـرية، دون أن يشـيـروا إلى حـرب تشـرين، وهـم يظنون هذا سـعـةً فى المعلومات!

٢١ ـ الحلْم الصهيونى :

ويقصد به المطامع الصهيونية فى الأرض العربية، أى الحلم الصهيونى فى إقامة الامبـراطورية الصـهـيـونية بين الفرات والنيل. وصـوابه «المؤامـرة الصـهـيـونيـة»، أو «المخطط الصهيونى» لمن يسخر من تعبير «المؤامرة»، وهؤلاء يرفضون طبعاً أن نقترح عليهم مثلاً تعبير «أضغاث أحلام» الصهيونية !

٢٢ ـ الخطّ الأخضر :

هو «خط الهدنة» لعام ١٩٤٩، ولا يجوز اسـتـخـدام هذا التـعـبـيـر؛ لأن إسـرائيل تريد للعـالم أن ينسى أن مـا تزعـمـه حدود الرابع من حـزيران إنما هو خطّ الـهـدنة، وليس حدوداً، لأن إسرائيل اغتصبت من أرض فلسطين أكثر مما أعطاها قرار «التقسيم» الجائر.. كذلك تريد إسرائيل أن توهِمَ أنها هى التى أشاعت «الخُضرة» حـول ذلك الخطّ على الأرض العربية الفلسطينية، علماً بأن تلك الخُضرة، إنما هى نتاج جهود

الفلاحين العرب الفلسطينيين عبر التاريخ، ويكفى أن نتذكر هنا أسماء بعض المدن والبلدات الفلسطينية القريبة من ذلك الخطّ، فمدينة «جنين» تعنى الجِنَان أى الجنائن، ومدينة، «طولكرم» فيها معنى «الكروم» هذا فضلاً عن الخضرة، و«باقة»، و«عصيرة».. وكلها تفيد معنى الخضرة والزهور وعصير الفواكه .

٢٣ ـ الدولة العبرية :

هذا التعبير قد يوحى بمعنى أو محتوى «قومى»، وهو غير صحيح، لأن اللغة العبرية لغة ميتة، وإن حاولت إسرائيل أن تنفخ الحياة فيها. فضلاً عن أن سكان إسرائيل من اليهود ليسوا هم «العَبْرانيين» القدامى، بل هم إما يهود عرب أو شرقيون، وإما يهود «اشكناز» أوربيون وأميريكيون. وبالتالى؛ فإن إسرائيل إما أن تسمى «الدولة الصهيونية» أو «الكيان الصهيونى» أو «إسرائيل» وحسب، لا «دولة إسرائيل». كما لا يحسن تسميتها بالدولة «اليهودية»، فالدولة الفرنسية مثلاً لاتُسمى «الدولة المسيحية» .. وعلى ذلك فَقِسْ.

٢٤ ـ زيارة شارون :

لا تزال بعض وسائل الإعلام تتحدث عما يسمى «زيارة شارون» إلى الحرم القدسى الشريف فى سبتمبر عام ٢٠٠٠، تلك «الزيارة» التى أشعلت انتفاضة الأقصى المبارك. إن جريمة «شارون» هذه ليست زيارة، بل من الواجب وصفها «بتدنيس» الحرم القدسى الشريف. وإذا كان ولابُدَّ من كلمة أخرى يُسيغها غير العرب؛ فمن الممكن وصفها بأنها جولة شارون، ويسرى هذا التعبير على أى صهيونى «يتجول» فى الأراضى العربية المحتلة.

٢٥ ـ سقوط الشهيد :

الواجب أن يقال «استشهد» ، فالشهيد لا يسقط ، بل يرتفع إلى الجنة .

٢٦ ـ سياسة التدمير، أو سياسة التهجير، أو سياسة القتل :

هذه كلها «جرائم حرب» وليست سياسة أو سياسات، واستخدام هذا التعبير يخفف من وطأة الجريمة . والأفضل، بل والأصح، وصفها بجرائم الحرب أو جرائم

القتل والتدمير. وإذا كان ولابُدّ من نسقٍ ينتظمها، فيمكن وصفها «بالمؤامرة»، وإلاّ فيمكن وصفها «بالمخطط» لمن يرى فى كلمة المؤامرة كلمة «غير واقعية» أو مستهلكة، ولمَن يَسخرون «بعقلية المؤامرة» حسب تعبيرهم !

٢٧ ـ الشعب اليهودى :

ليس هناك شعب يهودى، وبالتالى يجب أن يقال «اليهود». كذلك ليس هناك «شعب إسرائيلى»، وأما سكان إسرائيل اليهود، فينتمون إلى مائة شعب على الأقل، ولم يشكلوا شعباً واحداً، وبالتالى فإن الوصف الحقيقى لهم هو «المجتمع الإسرائيلى». وانتفاء وجود «الشعب اليهودى» يعنى استطراداً انتفاء كل مشتقات الكلمة.. فمن الخطأ أن يقال مثلاً: إن «شعبية» شارون أوغيره من المسؤولين الإسرائيليين قد ارتفعت أو انخفضت، والأجدر أن يقال إن «منزلة» هذا الصهيونى» أو «مكانته» ارتفعت أو انخفضت.

٢٨ ـ الشغْب :

تتحدث إسرائيل وحلفاؤها عن الانتفاضة والتظاهرات والمصادمات الفلسطينية مع جنود العدو على أنها أعمال «شغْب، وأن من يقومون بها هم من «مثيرى الشغب»، وأن الشرطة الإسرائيلية هى شرطة «مكافحة الشغب». والأصح استخدام تعابير «الانتفاضة، والتظاهرات، والاصطدام، والاشتباكات مع العدو».

٢٩ ـ الشتات :

حكم هذه الكلمة هو حكم كلمة «الجاليات اليهودية»، فليس هناك شتات لأبناء أمة واحدة هى «الأمة اليهودية» غير الموجودة أصلاً، وإن كان هناك يهود بين أبناء كل الشعوب، كذلك يسرى هذا الحكم على الكلمة العالمية التى تعبر عما يسمى «الشتات اليهودى»، وهى كلمة «الدياسبورا»، ولعلها من لغة «اليديش». والأصح أن يوصف اليهود خارج إسرائيل باليهود الفرنسيين، أو اليهود الروس، أو اليهود العرب .. إلخ. أما اليهود المتجمعون فى أرضنا المحتلة، فهم يهود إسرائيل أواليهود الإسرائيليون.

٣٠ ـ شمرون :

تزعم إسرائيل منطقة نابلس «شمرون»، وهى تسمية مشتقة من «السّامريين» الذين لا تعترف إسرائيل بأنهم يهود. ولكن لعل الكلمة مشتقة من «السّامر» أى «النادى»، وهو تجمع الناس، وبالتالى تجمع المساكن.

٣١ ـ عزّزت القوات الإسرائيلية :

يقال مثلاً «عزّزت القوات الإسرائيلية وجودها بجنود أو إمدادات جديدة». والتعزيز فيه معنى القوة والكرامة. والصواب والأجدر أن يقال: «كثّفت» أو «أضافت» إسرائيل قوات جديدة، أو بعثت إلى ذلك المكان بإمدادات جديدة من الجنود.. ونحو ذلك.

٣٢ ـ الفلسطينيون :

ليس هناك مواطن عربى فلسطينى واحد إلاّ ويفخر بأنه فلسطينى فخرَه بأنه عربى، وبالتالى فإن جمع هذه الكلمة «الفلسطينيون» ليس فيه ما ينقص من انتمائهم أو مكانتهم السياسية أو حقوقهم الوطنية شيئاً. ولكن الملاحظ أن استخدام هذه الكلمة يشوبه الكثير من سوء النوايا، خصوصاً على ألسنة الإسرائيليين وحلفائهم .. وأيضاً، مع الأسف، على ألسنة أو أقلام بعض العرب ممن يعرفون الموقع الذى يحسن أن تستخدم فيه كلمة «الفلسطينيون»، والموقع الذى يجوز فيه ذلك، بل يجب ألاّ تستخدم فيه.

وبعبارة أكثر وضوحاً، فإن البعض يستخدمون كلمة «الفلسطينيون»، لأنهم ببساطة لا يريدون أن يقولوا «الشعب الفلسطينى». وبالتالى فإن هؤلاء «الفلسطينيين» لا يستحقون وطناً ولا دولة، لأنهم ليسوا شعباً، بل لقد بلغ الأمر بجولدا مائير رئيس حكومة إسرائيل السابقة أن قالت مرةً : «أين هو الشعب الفلسطينى؟!». ولذلك يجب أن يقال دائماً: إن مطالب الشعب الفلسطينى هى كذا وكذا، ويحسن ألاّ يقال: إن مطالب الفلسطينيين هى كذا وكذا.

بعد هذا لابد من الإشارة إلى أن الشعوب المسيحية فى أوروبا وأميركا تحمل احتقاراً لشعب قديم غير عربى اسمه «الفلسطينيون» ولكن ترجمته إلى اللغات الأجنبية ليست Palestinians أى بحرف الـ "P" بل بحرف الـ (ف) "Ph"، أى "Philisteens" وكانوا شعباً جاء إلى فلسطين من جزيرة «كريت» وبعض الجزر

اليونانية، وحل فى فلسطين وأعطاها اسمه.. والتوراة تتحدث عن هؤلاء «الفلستينيين» باحتقار شديد . وتحاشياً لكل هذه المزالق، يجب أن يتحدث الإعلام العربى عن «الشعب العربى الفلسطينى».

٣٣ ـ المستوطنة والمستعمرة :

نقترح الإقلاع عن استخدام كلمة المستوطنة بدلاً من المستعمرة. وأتذكر أن هذه الكلمة ـ أى المستوطنة ـ دخلت التداول الإعلامى العربى عام ١٩٦٦، مشتقة من كلمة «الوطن»، وبالتالى فهى كلمة محترمة نسبياً، فالوطن والوطنية والمواطنة والمواطن كلمات بريئة ومشرفة ولها حرمتها فى كل اللغات. وقد يقال إن المستعمرة مشتقة بدورها من «الإعمار والتعمير» وهذا صحيح، ولكن هذه الكلمة باللغات الأجنبية ـ وهى كلمة Colony ـ مرذولة فى كل كتب التاريخ منذ الامبراطورية الرومانية القديمة إلى اليوم.

٣٤ ـ المتسلِّلون أو المخرِّبون :

هذا التعبير الكاذب تصف به إسرائيل الفدائيين ورجال المقاومة الفلسطينية، وطبعاً لا أحد من العرب يستخدمه، وإن روجته الدعاية الصهيونية فى الغرب، تماماً كما شوهت فيما مضى كلمة الفدائيين العربية وروجتها بصيغتها الغربية الـ Phi-daeen وشحنتها بمعنى التسلل والتخريب. وبالتالى يجب أن نلح فى الإعلام العربى باللغات الأجنبية على أن المناضلين ضد إسرائيل هم مناضلون وطنيون ورجال مقاومة، وليسو متسللين ولا مخربين.

٣٥ ـ مطار بن غوريون :

هذا المطار هو مطار مدينة «اللدّ» العربية الفلسطينية وقد أنشأه الإنجليز زمنَ حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين ليكون أهم مطار فى منطقة الشرق الأوسط، واستولت عليه إسرائيل عام ١٩٤٨ وزعمته مطار بن غوريون، أو مطار «تل أبيب» لأن اللدّ قريبة من تل أبيب ـ وعلى الأدق : من مدينة «يافا» العربية الفلسطينية ـ .. المهم أن هذا المطار ليس مطار تل أبيب، ولا مطار بن غوريون .. إنه مطار اللدّ، ويجب ألاّ يُسمى غير ذلك.

***

القسم الثاني

تعريب ما تحرف من الأسماء

الرقم	الاسم المدسوس	الاسم الحقيقي « العربي »
١	أشدود	آسدود
٢	إلياكيم	أم الزّينات « في مدينة عكا »
٣	أحيهود	البُروَة قرب مدينة «عكا»
٤	أقيعيزر	بيت نتَيف
٥	أورا (١٩٥٠)[1]	قرية «الجورة » قرب مدينة القدس
٦	أحوزات نفتالي (١٩٤٨)	قرية «حطين» قرب مدينة طبريا
٧	إيرغون درور (١٨٤٨)	قرية «الحميدية » شمال بيسان – نسبة إلى السلطان عبد الحميد
٨	ابن يتسحاق «إسحاق»	قرية «خُبيزة » – جنوب حيفا
٩	إيال (١٩٤٩)	قرية «الدردارة – جنوب غرب «طولكرم»
١٠	أشدود يعقوب (١٩٣٣)	قرية «البطيحة» بين نهري الأردن واليرموك
١١	أما تُزياه	قرية «الدّوايمة » – غرب مدينة الخليل
١٢	إيزر «عيزر»	دير أسنيد – شمال غزة
١٣	إلقوش	دير القاسي – شمال «عكا»
١٤	أوب (١٩٤٨)	زرنوقة – منطقة مدينة «الرملة»

---

(١) التاريخ الذي بين القوسين هو تاريخ استعمار المكان أو تأسيس المستعمرة .

١٥	إليغليط	قريتا «الزنغرية » وزحلق – منطقة صفد
١٦	أور يهودا (١٩٤٨)	على طريق يافا – اللد
١٧	إيلانيا شجيرا (١٩٠٢)	غرب مدينة طبريا .
١٨	آلوني آبا ١٩٤٨	أم العمد – قرب مدينة حيفا
١٩	إلياشيف (١٩٤٨)	قرية «الشيخ محمد » – شمال غرب مدينة طولكرم.
٢٠	إشتاؤول	قرية «عسلين » العربية غربي القدس
٢١	أور عقيفا	على أرض بلدة قيصرية جنوب حيفا
٢٢	أوميتس	قرية المنشية – شرقي عكا
٢٣	إشزِب	بلدة الزّيب ، وهي قرية الموات قرب عكا
٢٤	إيليت هاشحر	على أراضي قريتي «أكرا البقارة» وأكراد الغنامة
٢٥	أبيم	قرية : نجد « شمال شرق مدينة غزة »
٢٦	يازور	بلدة «بازون» جنوب شرق يافا .
٢٧	إيريز (١٩٤٨)	بلدة «عمرة» شمال غزة .
٢٨	أهيتف (١٩٤٨)	قرية الجلمة قرب طولكرم .
٢٩	أشكلون (١٩٤٨)	بلدة «عسقلان» العربية الفلسطينية .
٣٠	بن عامي	قرية أم الفرج – قرب مدينة عكا .
٣١	برور حايل	قرية بُرير في قطاع غزة .
٣٢	بناياه	قرية «بَشيت» قرب مدينة الرملة .
٣٣	بِتست	قرية «البصته» بين عكا ورأس الناقورة .
٣٤	بيت عزيل	قرية «أبو شوشة» قرب الرملة .

٣٥	بيت جفريم (١٩٤٨)	بيت جبرين
٣٦	بيت داغان (١٩٤٨)	بلدة بيت دَجَن العربية بين يافا وتل أبيب .
٣٧	بيت شيمش	قرية «دير أبان» العربية .
٣٨	برحيواره (١٩٤٨)	بلدة بيت عطّاب العربية .
٣٩	بيت مائير (١٩٤٨)	بلدة بيت محسير العربية
٤٠	بيت نفوفاه (١٩٤٩)	بلدة «بيت نفويا» العربية
٤١	بئير شيفع	مدينة بئر السبع في منطقة النقب .
٤٢	بيريا	قرية «بيريا» العربية قرب صفد .
٤٣	بيت شقَما (١٩٤٨)	قرب غزة .
٤٤	بيت عزرا (١٩٤٨)	قرية «حمامة» شمال غزة والمجدل
٤٥	بنُ شيمن	قرية دير أبو سلامة – قر. مدينة اللد
٤٦	بيت يف (١٩٤٩)	دير طريف – قرب ال[illegible] .
٤٧	بقوع (١٩٤٨)	دير محيسن – جنوب شرق الرملة .
٤٨	زرنوقة (١٩٤٨)	قرية «زرنوقة» العربية قرب مدينة الرملة
٤٩	بيت هُليل (١٩٤٨)	الزّوق التحتاني – شمال مدينة صفد
٥٠	بيت هاشيطا (١٩٤٥)	قرية «شطا» شمال غرب بيسان
٥١	بيرون	قرية «صلحة» شمال غرب مدينة صفد
٥٢	بيت يوسف (١٩٤٨)	قرية «زَبعة» شمال شرق بيسان
٥٣	بيت شموئيل	بلدة العباسية شرقي يافا
٥٤	بيت يهوشوع	في أرض غابة «كفر حور» قرب طولكرم
٥٥	بارود	قرية «فرّاضية بين صفد والناصرة
٥٦	ياتيس	قرية «فطيس» شمال بئر السبع

٥٧	بيت هُليل – مكرر	قرية «قيطيّة» شمال صفد
٥٨	برديس حنا	ضمت أراضي قرية «كركور» جنوب حيفا
٥٩	بِرْعم	قرية «كفر بِرعِم» العربية شمال صفد
٦٠	بيت هاعيمق	قرية «كويكات» العربية شمال شرقي عكا
٦١	بني رئيم	قرية «المَسمية» الكبيرة شمال شرق غـزة وجنوب الرملة .
٦٢	بتاح تِكفا	بلدة «ملّبس» العربية وأراضي قرية فجّة
٦٣	بلمايم	على أرض قرية النبي «روبين» العربيـة بين الرملة ويافا
٦٤	برقاي	وادي «عارة» جنوب حيفا وشمال شـرق الخضيرة
٦٥	بيت نوبا	بلدة «بيت نوبا» وبلـدة «يـالو» وبلـدة «عمواس» وكلها هُدمت عام ١٩٦٧
٦٦	بيت شآن	مدينة بيسان العربية المحتلة
٦٧	بيت يوسف – مكرر	جبول
٦٨	بيت زيرع	جنوب شرق مدينة طبريا
٦٩	تموريم (١٩٤٨)	تل الترمس
٧٠	تسروفاه (١٩٤٩)	قرية «جَبَع» قرب حيفا
٧١	تلمي يافه (١٩٤٨)	شمال غزة
٧٢	تيرات زفي	قرية «الحمراء» جنوبي بيسان
٧٣	تسلافون (١٩٥٠)	قرية بيت فار – الرملة
٧٤	تل شجر (١٨٤٨)	جنوبي مدينة الرملة

٧٥	تيرات في – مكرر	قرية الزراعة ، ضمت أراضي هذه القرية إلى مستعمرة تيرات زقي
٧٦	تيرات في	قرية الخنيزير ، ضمت أراضي هذه القرية إلى مستعمرة تيرات زقي
٧٧	تسغيرياه أو شافير (١٩٤٨)	بلدة السافرية – شرق مدينة يافا
٧٨	تُسيمَخ	قرية «سَمَخ» العربية على بحيرة طبريا
٧٩	تُسروفاه	قرية «الصَّرفند» جنوب غرب حيفا
٨٠	تُسرفين	صَرَفَند العمار*
٨١	تل حنان	بلد الشيخ – قرب حيفا
٨٢	تسيفوري	قرية صفورية شمال غرب الناصرة
٨٣	تُسوفا	قرية صوبا غربي القدس
٨٤	تُساهلا	عرب السوالمة – شمال شرق يافا
٨٥	تل إسحاق	غابة كفر صور – قضاء طولكرم
٨٦	تغيرت زقي	غابة «مِسكة» قضاء طولكرم
٨٧	تل يوسف	على أراضي قرية قوميَة قرب بيسان
٨٨	تل مَجِدّو	تل المُتسلم قرب حيفا – معركة مجدو القديمة الشهيرة
٨٩	تلمي يحيئيل	قرية المسمية الكبيرة
٩٠	تسارعاه	قرية «صرعة» العربية غرب القدس
٩١	تلاميم	قرية بُرير العربية الفلسطينية
٩٢	تَلمي مينشة	قرية أبو الفضل العربية
٩٣	جن يفنه	بلدة برقه – في منطقة غزة

٩٤	جليلوت – وهي ضاحية هرتسليا	«إجليل» قريتان على الساحل الفلسطيني وصارت المستعمرة ضاحية لمدينة هيرتسليا
٩٥	جنيعام	على أنقاض بلدة بيار عدس العربية قرب يافا
٩٦	جفعاتي	على أنقاض قرية «بيت دارس» قرب غزة
٩٧	جفع كرمل	قرية جبع العربية قرب حيفا
٩٨	جريشة (وألحقت بتل أبيب)	قرية جريشة العربية
٩٩	جيشر(١٩٤٨)	قرية جسر المجامع العربية
١٠٠	جفعتايم (١٩٢٢)	على أراضي بلدة سلمة الفلسطينية
١٠١	جمزو (١٩٥٠)	قرية جمزو العربية قرب اللد والرملة
١٠٢	جنيجر (١٩٢٢)	جنجار – قرب الناصرة
١٠٣	جياه (١٩٤٨)	شمال غزة
١٠٤	جبل البيت ، أو جبل الهيكل	الحرم القدسي الشريف
١٠٥	جفعات شاؤول	على أنقاض قرية دير ياسين حيث المذبحة الشهيرة عام ١٩٤٨
١٠٦	جفر (١٩٤٨)	على أراضي قرية سمسم شمال غزة
١٠٧	جفعات يشعياهو	قرية عجور شمالي الخليل
١٠٨	جت	على أراضي قرية عراق المنشية بين غزة والخليل
١٠٩	جفعات أولغا	قرية عرب النفيعات جنوب غرب حيفا
١١٠	جديرة	قطرة ، أو قطرة إسلام قرب الرملة
١١١	جبعة	على أراضي قرية قومية جنوب بيسان

١١٢	جبعات هاشالوشا	المحمودية – شمال شرقي يافا
١١٣	جِف	قرية مُغلّس – قضاء الخليل
١١٤	جفعات حاييم	قرية المنشية – قضاء طولكرم
١١٥	جَنّ سوريق	على أرض قرية النبي روبين بين الرملة ويافا
١١٦	جيف	قرية حوج العربية شرقي غزة
١١٧	جينو شار	غوير أبوشوشة شمال غرب طبريا
١١٨	جيلو	على أراضي قرية بيت جالا – قرب القدس
١١٩	جيئولي تيمان (١٩٤٨)	قرية الشيخ محمد شمال غرب طوكرم
١٢٠	حلتس	بُرير
١٢١	حاتسور (١٩٥٣)	تل القدح – قرب صفد
١٢٢	حاتسور (١٩٤٦)	قرب أسدو شمال غزة
١٢٣	حائط المبكى	حائط البراق النبوي الشريف
١٢٤	حاديد (١٩٤٨)	قرية الحديثة قرب مدينة رام الله
١٢٥	حاديرا (١٩٤٨)	قرب قرية الخضيرة العربية . دمرها الصهاينة عام ١٩٤٨
١٢٦	حلتس (١٩٤٨)	قرية الحليقات شمال شرق غزة
١٢٧	الحَمّة «منتجع سياحي»	قرية الحمّة العربية الشهيرة بينابيع المياه المعدنية
١٢٨	حولون (١٩٤٨)	مستعمرة أقيمت على أرض تابعة لمدينة يافا العربية ، ويقيم فيها اليهود «السامريون» الذين يقيمون أيضاً في مدينة نابلس

١٢٩	حبرون	هي مدينة الخليل أو خليل الرحمن ، وتراجع في القسم الأولى لمزيد من التفاصيل في التعابير المدسوسة .
١٣٠	حصون أوسكين	قرية دَفنة شمال شرق الحولة
١٣١	حاريم (١٩٥٠)	دير الهوى – جنوب غرب القدس
١٣٢	حوسن ١٩٤٨	سُحماتا – شمال شرق عكا
١٣٣	حاتساف	شمال شرق غزة
١٣٤	حاتسور – مكرر	قرية فِرعم قرب صفد
١٣٥	حاتسور – مكرر	قرية بَردا شمال شرق صفد
١٣٦	ديشون	ديشوم – شمال شرق صفد
١٣٧	دوش	قرية زَبعة شمالي شرق بيسان
١٣٨	ديمونا: (وفيها المفاعل النووي)	قرية كُرْنُب في النقب قرب بئر السبع
١٣٩	دوروت	قرية هوج العربية شرقي غزة
١٤٠	دور	بلدة الطنطورة العربية
١٤١	روش هانيكرا	رأس الناقورة شمالي عكا
١٤٢	رامات رازئيل (١٨٤٨)	بيت أم الميس – منطقة القدس
١٤٣	روحاما (١٩٤٨)	الجمامة قرب مدينة بئر السبع
١٤٤	رفاحا (١٩٤٨)	قرية حتّا – شمالي شرق غزة
١٤٥	رشف قرب «هيرتسليا»	قرية الحرم – قرب مدينة يافا
١٤٦	راموت نفتالي (١٩٤٥)	قرية الهراوي – شمال شرق صفد
١٤٧	ريف	قرية الخلصة – جنوب غرب بئر السبع وقرية عسلوج – جنوب بئر السبع

١٤٨	ريناتيا (١٩٤٩)	بلدة رنتية – شرق يافا
١٤٩	روش بينا	قرية الجاعونة – منطقة صفد
١٥٠	روش هاعين (١٩٥٠)	قرية راس العين – شمال شرق يافا
١٥١	رامات هلشوفت (١٩٤١)	الريحانية – جنوب شرق حيفا
١٥٢	رامات حايل	قرية عرب السّوالمة شمال شرق يافا
١٥٣	رشبون	غابة العبايشة
١٥٤	روقين	بلدة قاقون طولكرم
١٥٥	ريفاقيم	قرية قنير جنوب حيفا
١٥٦.	راموث مائير	قرية النّعاني – جنوب غرب الرملة
١٥٧	رامات هاكوفيتش	قرية مسكة جنوب غرب طولكرم
١٥٨	مستعمرة رعنانا	قرية تبصُر العربية – قرب طولكرم
١٥٩	ريشون لتسيون	مزارع وادي جنين وصرفند الخراب
١٦٠	رامات غن	شمال يافا
١٦١	رامات راحيل	بين القدس والخليل
١٦٢	رامات دافيد	في منطقة الجليل «حيث المطار العسكري»
١٦٣	راما (١٩٢٥)	أراضي قرية العفولة العربية في مرج ابن عامر
١٦٤	روميما	أحد أحياء القدس المهودة خارج الاسوار
١٦٥	مستعمرة زوهر	بُربر – قطاع غزة
١٦٦	مستعمرة زوموروتت	بيت داراس – قطاع غزة
١٦٧	زفدئيل	الجُسّير شرق غزة
١٦٨	زراميا (١٩٤٨)	قرية الجلدية – قرب غزة

١٦٩	زرنوقاه (١٩٤٨)	منطقة الرملة
١٧٠	زافربريم	قرية عجّور – شمال غرب الخليل
١٧١	زفروف	أراضي قرية «بشيت» العربية – قرب الرملة
١٧٢	زيكيم	قرية «هربيا» قضاء غزة
١٧٣	سُفاد	مدينة صفد العربية شمالي فلسطين
١٧٤	سدي الياهو	قرية الحمراء جنوبي بيسان
١٧٥	سدي بوكر	قرية عبيدة – منطقة النقب جنوبي فلسطين قرية عبيدَة
١٧٦	ساسا	بلدة سعسع شمال صفد
١٧٧	سدوت ميخا (١٩٥٠)	قرب بلدة زكريا جنوبي الخليل
١٧٨	سدي يوآف	عراق سويدان – قرب غزة
١٧٩	سدي موشيه	عراق المنشية بين غزة والخليل
١٨٠	سدي إلياهو	قرية عِرب العريقة قرب بيسان
١٨١	سدي واربورغ	غابة مسكة – قضاء طولكرم
١٨٢	سدوت يام	على أرض بلدة قيسارية جنوب غرب حيفا
١٨٣	سدي يتسحاق	قرية المجدل – قرب طولكرم
١٨٤	سهل «يزرعيل»	هو مرج بني عامر ، أو ابن عامر
١٨٥	سديروت	قرية نجد – شمال شرقي غزة
١٨٦	شدما	قرية بَشّيت – قرب الرملة
١٨٧	شومراه	بلدة تربيخا العربية قرب عكا
١٨٨	شوريش	قرية ساريس غربي القدس

١٨٩	شوئيفا (١٩٥٠)	قرية ساريس غربي القدس
١٩٠	شعلقيم (١٩٥١)	قرية سلبيت – جنوب شرق الرملة
١٩١	شافيز	السوافير – شمال شرق غزة
١٩٢	شحاريه	بين غزة والخليل
١٩٣	شمون نافيه هدار	قرية كشك شمال يافا
١٩٤	شفاييم	غابة مِسكة – قضاء طولكرم
١٩٥	شحر	الفالوجة – شمال النقب
١٩٦	شفوت عام	قرية المغيَّر – غربي طولكرم
١٩٧	شعار حاجاي	جنوب الرملة
١٩٨	شيلو سارووية	قرب قرية السّيله – بين جنين ونابلس. وسارية قرية غربية ضُمت إلى تل أبيب عام ١٩٤٨
١٩٩	صفصوفا	قرية الصّفصاف – شمال غرب صفد
٢٠٠	طيرة الكرمل	طيرة – حيفا
٢٠١	طيرة يهودا	طيرة دَنْدَن – شرقي الرملة ويافا
٢٠٢	عِزرياه	قرية البرّية
٢٠٣	عسيرِت	قرية بشيت – قضاء الرملة
٢٠٤	عين هاشوفت (١٩٤٥)	قرية جعارة – قرب حيفا
٢٠٥	عين تسوريم	قرية الشوافير
٢٠٦	عميقام	بلدة صبّارين جنوب حيفا
٢٠٧	عين شبعا	قرية الطّابغة ساحل بحيرة طبريا الشمالي
٢٠٨	عالونيم	قرية قصقص جنوب شرق حيفا

٢٠٩	عتليت	قرية عتليت العربية
٢١٠	عجّور	قرية عجور – شمال شرقي الخليل
٢١١	عراد	عراد – غربي البحر الميت – شرقي الخليل
٢١٢	عيتسيم	عراق سويدان – قرب غزة
٢١٣	عطاروت	بين رام الله والقدس
٢١٤	العفّولة	قرية العفّولة العربية – مرج بني عامر
٢١٥	عين حَوض	قرية عين حوض جنوب حيفا
٢١٦	عين زيتيم	بلدة عين الزيتون – شمال صفد
٢١٧	عين أيالات	بلدة عين غزال العربية – جنوب حيفا
٢١٨	هين حارود	على أراضي قرية قومية قرب بيسان
٢١٩	عوتسيم	قرية كرتيا العربية – شمال شرق غزة
٢٢٠	عين غيف	النقيب – ساحل بحيرة طبريا الشرقي
٢٢١	عكور	مدينة عكا العربية ، فإذا ذكروها بالعبرية قالوا : عكور ، وأما إذا تحدثوا بالعربية فهم يحتفظون بالنطق العربي لأن المدينة شهيرة وتاريخية
٢٢٢	غونن (١٩٤٨)	الدرباشية – شمال شرق صفد
٢٢٣	غان هاشيلوشا (١٩٤٨)	قرية الساخنة شمال بيسان
٢٢٤	غيشر هزيب	قرية الزيب العربية – شمال عكا
٢٢٥	غازيت	طيرة بيسان
٢٢٦	غان ليتونسكي	غابة الطيبة – قرب طولكرم
٢٢٧	غان حاييم	غابة مسكة – قضاء طولكرم

٢٢٨	غان يوشيبا	بلدة قاقون – قرب طولكرم
٢٢٩	غالون	قرية كدنا – شمال غرب مدينة الخليل
٢٣٠	فَرُوَنة	قرية فَرُوَنة العربية جنوب بيسان
٢٣١	قدرون	قريتا شحمة وقِدرة – قضاء الرملة
٢٣٢	قوميموت	قرية كَرتيا – شمال شرق غزة
٢٣٣	كفار مردخاي	بلدة بشيت العربية قرب الرملة
٢٣٤	كرمون	قرية جولس قرب غزة
٢٣٥	كفار زيتيم	قرية حطين العربية حيث معركة حطين
٢٣٦	كفار حيتيم	قرية حطين العربية قرب طبريا . معركة حطين
٢٣٧	كريات شمونا (١٩٤٨)	بلدة الخالصة العربية شمال شرق صفد
٢٣٨	كفار فيتسكين	قرية الشيخ محمد شمال غرب طولكرم
٢٣٩	كفار هاروع (١٩٤٨)	قرية الشيخ محمد – شمال غرب طولكرم
٢٤٠	كفار همسابين (١٩٥٠)	قرية الخيرية شرقي يافا
٢٤١	كفار داروم (١٩٦٧)	على أراضي بلدة دير البلح
٢٤٢	كفار ترومان (١٩٤٩)	دير طريف – قرب الرملة
٢٤٣	كفار ساليا (١٩٤٨)	قرية ساقية العربية – جنوب الخيرية
٢٤٤	كفار شمّاي (١٩٦١)	قرية السمّوعي
٢٤٥	كدما	قرية صُمّيل شمال شرق غزة
٢٤٦	كفار زخريا	بلدة زكريا في منطقة الخليل
٢٤٧	كريات طبعون	قرية طبعون جنوب شرق حيفا
٢٤٨	كفار عقرون	بلدة عاقر جنوب غرب الرملة

٢٤٩	كريات جات	قرية عراق المنسية بين غزة والخليل
٢٥٠	كفار شموئيل	بلدة عنّابة جنوب شرق الرملة
٢٥١	كتسيوت	عوجاء الحفير – جنوب غربي بئر السبع
٢٥٢	كفار شمارياهو	غابة العبابشة بين جنين وطولكرم
٢٥٣	كفار نيتر	غابة كفر سور – قضاء طولكرم
٢٥٤	كريات آتا	كفر عطا – قرب حيفا
٢٥٥	كريات موتسكين.	شمال شرق حيفا
٢٥٦	كريات يام	شمال شرقي حيفا
٢٥٧	كاستل	القسطل – قرب القدس " معركة القسطل ١٩٤٨ "
٢٥٨	كَبري	قرية الكابري العربية شمال شرق حيفا
٢٥٩	كسالون	قرية كسلا قرب القدس
٢٦٠	كفار سابا	على أرض قرية كفر سابا العربية قرب طولكرم
٢٦١	كوخاف ميخائيل	قرية كوكبا شمال شرق غزة
٢٦٢	كرميال	مدينة مستحدثة أقحمت على منطقة الجليل لتكثيف الوجود الصهيوني الضعيف خصوصًا قرب الناصرة
٢٦٣	كفار أهرون	بلدة وادي حنين قرب الرملة
٢٦٤	كفار هارثاه	وادي الحوارث على الساحل الفلسطيني
٢٦٥	كفار فيتكين	وادي الحوارث حيث اندلعت ثورة ١٩٣٣
٢٦٦	كفار تافور	قرية مَسحة العربية شرقي الناصرة

٢٦٧	كفار هاريف	المسمية الصغيرة شمال شرق غزة
٢٦٨	كفار هنسي	منصورة الخيط – قرب صفد
٢٦٩	كريات أربع	في مدينة الخليل
٢٧٠	كفار شالم أحياء تل أبيب	هي قرية سلمة العربية شرقي يافا
٢٧١	كفار هاناغيد (١٩٤٨)	قرية القبيبة – قرب الرملة
٢٧٢	كفار دانيل (١٩٤٨)	قرية دانيال العربية – قرب الرملة
٢٧٣	كرم مهرال	قرية إجزم العربية جنوب حيفا
٢٧٤	لوزيت	قرية دير الدبان – شمال غربي الخليل
٢٧٥	لاقي	قرية لوبيا بين طبرية والناصرة
٢٧٦	مَفقعيم	بلدة بربرة العربية في منطقة غزة
٢٧٧	ميشار	على أراضي بلدة «بشيت» قرب الرملة
٢٧٨	مشمار هاعيمق	أراضي بلدة أبو شوشة قضاء حيفا
٢٧٩	مشمار دافيد (١٩٤٨)	جنوبي مدينة الرملة
٢٨٠	معاليه هاياشان (١٩٤٨)	قرية خيام الوليد .
٢٨١	مَحسياه	دير ايان قرب القدس
٢٨٢	مرج غزلان (١٩٤٨)	قرية زكرين – منطقة الخليل
٢٨٣	معيان باروخ (١٩٤٨)	الزوق الفوقاني – شمال فلسطين . وأراضي قرية الستنبرية .
٢٨٤	مزكريت باتيا	أراضي بلدة عاقر جنوب غرب الرملة .
٢٨٥	ماسو	أراضي قرية عجّور شمال غرب الخليل
٢٨٦	مَعبَرة	قرية عرب السوالمة شمال شرقي يافا
١٨٧	مشابه سدي	قرية عسلوج العربية جنوبي بئر السبع

٢٨٨	مَطاع	قرية علاّر في منطقة القدس
٢٨٩	مشفي هداسا الجديد	على أنقاض بلدة عين كارم القدس
٢٩٠	ماعوز حاييم	قرية الغزاوية – قرب بيسان
٢٩١	مفحور	أراضي قرية الفالوجا – شمال النقب
٢٩٢	مفسرت يوروشالايم	قرية قالونيا شمال القدس
٢٩٣	مَجدو	تل المتسلم شمال غرب جنين بين مدينتي الناصرة وحيفا
٢٩٤	هي نفتوّح	بلدة القنا العربية شمال غرب القدس
٢٩٥	منامات	المالحة – جنوب غربي القدس
٢٩٦	ملكياه	قرية المالكية – شمال مدينة صفد
٢٩٧	مغدال هاعيمق	بلدة المجيدل – جنوب غربي الناصرة
٢٩٨	مغدال أفك	مجدل الصادق أو مجدل يابا – قرب الرملة
٢٩٩	مازور	قرية المزيرعة – شمال شرق الرملة
٣٠٠	مسادا	قلعة مسعدة أو مصعدة – حيث خرافة الانتحار اليهودي قديماً
٣٠١	مِشميرِت	قرية مسكة – جنوب غربي طولكرم
٣٠٢	معالوت	ترشيحا – شمالي فلسطين
٣٠٣	مشميع شالوم	أراضي قرية المسمية الكبيرة – شمال شرق غزة وجنوب الرملة
٣٠٤	مكفيلا مغارة مكفيلا	مشهد إبراهيم عليه السلام في الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل
٣٠٥	مينوراه	قرية المنارة جنوب طبريا

٣٠٦	ميرون	قرية ميرون العربية قرب صفد
٣٠٧	ميشيك شوارتز	قرية الناعمة شمال شرقي صفد
٣٠٨	متسورت يشع	قرية النبي يوشع العربية شمال شرق صفد
٣٠٩	مارغولويوت (نسبة إلى المستشرق البريطاني الصهيوني)	قرية هونين شمال صفد
٣١٠	محانابيم	قرية الويزية العربية قرب صفد
٣١١	مينوحاه	أراضي قرية الجسير شمال شرق غزة
٣١٢	ميكور حاييم	اراضي قرية بتّير قرب القدس
٣١٣	ناتانيا	قرية أم خالد العربية
٣١٤	نيفي أور (١٩٤٨)	قرية عرب «البشاتوة»
٣١٥	نير يائيم	قرية الجسير شمال شرق غزة
٣١٦	نس تسيونا	قرية بير سالم العربية
٣١٧	نس هاريم (١٩٤٨)	أراضي «دار الشيخ» و«بيت عَطاب»
٣١٨	ناؤوت مردخاي (١٩٤٨)	قرية «الزوبة» الفلسطينية شمال صفد
٣١٩	ناروم	أراضي قرية «صَرعة» العربية قرب القدس
٣٢٠	نير تسفي	قرية «صرفند» العمار العربية الفلسطينية
٣٢١	نحلا	أراضي قرية صُمّيل العربية شمال غزة
٣٢٢	نحشوليم	أراضي قرية الطنطورة العربية الفلسطينية
٣٢٣	نوجا	أراضي قرية عراق سويدان قرب غزة
٣٢٤	نير يمتسيون	قرية عين حوض جنوب حيفا

٣٢٥	نير هاشياراه	أراضي قــرى الغابســية ، والشــيخ داوود والشيخ دنون شمال شرقي عكا
٣٢٦	نيرحَن	أراضي بلدة الفالوجا – شمال النقب
٣٢٧	نير عقيقا	قرية الكوفحة – جنوب شرقي غزة
٣٢٨	نعماه	أراضي قرية الناعمة – شرق صفد
٣٢٩	نوريث	قرية نورس العربية شمال شرقي جنين
٣٣٠	نيفي يامين	شمال شرق تل أبيب
٣٣١	نيفي شعنان	قرب حيفا
٣٣٢	نيفي يعقوب	بين القدس ورام الله
٣٣٣	نيفه يارون	تسيل الجزل – جنوب بيسان
٣٣٤	نهوراه	أراضي قرية كرتيا – شمال شرق غزة
٣٣٥	نحلت يهودا	قرية أبو الفضل العربية
٣٣٦	نيتاعم	أراضي قرية أبو الفضل العربية
٣٣٧	هاغوشريم	قرية الخصاص قرب صفد شمال فلسطين
٣٣٨	هاؤون (١٩٤٨)	قرية السمرة – جنوب شرق بحيرة طبريا
٣٣٩	هارتوف	قرية عرطوف غربي القدس
٣٤٠	هاتسيا	عين حصب – شرقي النقب
٣٤١	هازوريع	قريتا قيره وقامون العربيتان – قرب حيفا
٣٤٢	هيرتسليا	شمال يافا – قرية الحرم وقرية سيدنا علي
٣٤٣	هوديا (١٩٤٨)	أراضي قرية جولس قرب غزة
٣٤٤	هوغلا (١٩٤٨)	قرية الشيخ محمد – شمال غرب طولكرم
٣٤٥	هامعيان	قضاء طولكرم

٣٤٦	هوهاغيم	أراضي قرية نورس شمال شرقي جنين
٣٤٧	هيوتيم	قرية كفر لام – جنوب حيفا
٣٤٨	هارويت (١٩٥٥)	قرية إننبة العربية – قضاء الرملة
٣٤٩	يناحيا	أراضي قرية أبو شوشة – قضاء الرملة
٣٥٠	يارهيف	قرية خريش
٣٥١	ياد مردخاي	أراضي قرية دير سنيد – شمال غزة
٣٥٢	يزرعيل	قرية زرعين العربية
٣٥٣	يهود	قرية العباسية شرقي مدينة يافا
٣٥٤	يادها مسير	أراضي قرية عرب السوالمة – شمال شرق يافا
٣٥٥	ينون	شمال شرق غزة وجنوب الرملة
٣٥٦	يالو	بين القدس ويافا هدمت عام ١٩٦٧
٣٥٧	يفنه	بلدة يُبنا العربية بين اللد والرملة
٣٥٨	فتنيل	قرية يَمّة الفلسطينية – جنوب غرب طبريا
٣٥٩	ياجور/ ميشك ياجور	قرية الياجور العربية بين حيفا وبلد الشيخ

من مطبوعات اتحاد الصحفيين العرب

١٠	حصار الكلمة ...	حصار الكلمة
١١	الإعلام العربى والانتفاضة الفلسطينية	الاعـلام العـربـى والانتفاضة الفلسطينية
١٢	حرب المصطلحات	حرب المصطلحات

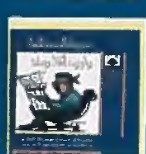
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٦٢٠٦ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى .I.S.B.N
977 - 08 - 1078 - 9

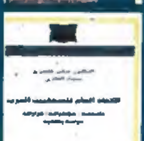
مطابع الأهرام بكورنيش النيل

من مطبوعات اتحاد الصحفيين العرب





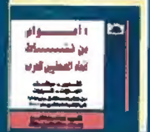
١ حرية الصحافة وقيود التشريعات



٢ الاتحاد العام للصحفيين العرب..
دراسة توثيقية



٣ صحافة عربية حرة ومسئولة



٤ ٤ أعوام من النشاط الصحفى



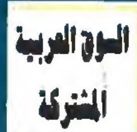
٥ مستقبل الصحافة العربية فى ظل ثورة
المعلومات والتكنولوجيا



٦ نموذج مشروع قانون عربى موحد للصحافة



٧ تذبذب أسعار النفط والاقتصاديات العربية



٨ السوق العربية المشتركة



٩ النظام الأساسى لاتحاد الصحفيين العرب